# معارج القبول

## بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

(في التوحيد)

تأليف

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

المجلد الثالث

والفهارس العلمية

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه

عمر بن محمود أبو عمر

دار ابن القيم

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
مزيدة بفهارس علمية

دار ابن القيم
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الدمام
ص.ب ١٨٦٥ - الدمام الرمز البريدي ٣١٩٨٢
هاتف: ٨٢٦٨٢٤٣ - فاكس: ٨٢٦٩٨٦٤

## باب الإيمان بالقضاء والقدر

والسَّادسُ الإيمان بالأَقدارِ فأيقنَنَّ بها ولا تُمارِ
فكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقَدَر والكلُّ في أمِّ الكتاب مُسْتَطَر

والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر خيره وشره، قال الله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩). وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ (الأحزاب/٣٨)، وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب/٣٧)، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن/١١)، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ (آل عمران/١٦٦)، وقال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾ (البقرة/١٥٦)، وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل/٥ ـ ١٠)، وقال تعالى ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة) إلى آخر السورة.

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدُ الأعلى بنُ حمَّادٍ قال: قرأتُ على مالك بن أَنس (ح). وحدَّثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ عن مالكٍ فيما قُرِىء عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلمٍ عن طاوس أَنَّه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ يقولون «كُلُّ شيءٍ بقدر». قال: وسمعتُ عبدالله بنَ عمرٍ يقول:

قال رسولُ اللهِ ﷺ «كُلُّ شيءٍ بقدرٍ، حتى العجز والكيس»، أو «الكيس والعجز»[1].

حدَّثنا أبو بكر بنُ أبي شيبة وأبو كريب قالا حدَّثنا وكيعٌ عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصِمون رسولَ اللهِ ﷺ في القدر. فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٨ - ٤٩) ورواه الترمذي وابن ماجه[2].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ (الأحزاب/٣٨) حدَّثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالكٌ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا تسأل المرأةُ طلاقَ أُختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإنَّ لها ما قدر لها»[3].

حدَّثنا مالكُ بنُ إسماعيل حدثنا إسرائيلُ عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النَّبيّ ﷺ إذ جاءَهُ رسولُ إحدى بناته وعنده سعد وأبيّ بن كعب ومعاذ أنَّ ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها «للهِ ما أخذ ولله ما أعطى، كل بأجلٍ، فلتصبر ولتحتسب»[4].

حدَّثنا حبَّان بنُ موسى أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن الزُّهريّ قال أخبرني عبدالله بن محيريز الجمحي أنَّ أبا سعيد الخدري أخبره أنَّه بينما هو جالسٌ عند النَّبيّ ﷺ جاء رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّا نصيبُ سبياً ونحبُّ المال كيف ترى في العزل؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ «أو إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا، فإنَّه ليست نسمةٌ كتب اللهُ أن تخرج إلا هي كائنة»[5].

---

(١) مسلم (٤/٢٠٤٥/ح ٢٦٥٥) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) مسلم (٤/٢٠٤٦/ح ٢٦٥٦) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام. والترمذي (٥/٣٩٨ - ٣٩٩/ح ٣٢٩٠) في التفسير، باب ومن سورة القمر، وابن ماجة (١/٣٢/ح ٨٣) في المقدمة، باب في القدر.

(٣) البخاري (١١/٤٩٤) في القدر، باب (وكان أمر الله قدراً مقدوراً).

(٤) البخاري (١١/٤٩٤) في القدر، باب (وكان أمر الله قدراً مقدوراً).

(٥) البخاري (١١/٤٩٤) في القدر، باب (وكان أمر الله مقدراً مقدوراً).

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا بشر بن محمد أخبرنا عبدالله أخبرنا معمر عن همَّام بن منبِّه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدَّرته ولكن يلقيه القدر وقد قدَّرته له أستخرج به من البخيل»[1].

وقال أيضاً: حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدَّثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النَّبيّ ﷺ «لا يأتي ابن آدم النذر بشيءٍ لم يكن قد قُدِّر له ولكن يُلقيه النذر إلى القدر قد قدِّر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يُؤتى عليه من قبل»[2].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابنُ نمير قالا حدَّثنا عبدالله بن إدريس عن ربيعة بنِ عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأَحبُّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإنْ أصابك شيءٌ فلا تقل لو أنِّي فعلت كذا وكذا. ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[3].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الترمذي وغيره قول النَّبيّ ﷺ له «واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[4] الحديث. والأحاديث في القدر كثيرة جداً قد تقدم منها أشياء متفرقة وسنذكر منها ما ييسره الله عز وجل في هذا الباب.

---

(١) البخاري (١١/٤٩٩) في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر.

(٢) البخاري (١١/٥٧٦) في الإيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر ومسلم (٣/١٦٦٢/ح ١٦٤٠) في النذر، باب الأمر بقضاء النذر.

(٣) مسلم (٤/٢٠٥٢/ح ٢٦٦٤) في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

(٤) رواه الترمذي (٤/٦٦٧/ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم «٥٩» وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال وقد رواه أحمد والحاكم والطبراني وابن السني والآجري والضياء، وابن أبي عاصم وقد تقدم تخريجه سابقاً.

## فصل
## الإيمان بالقدر على أربع مراتب

واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبُّه ويرضاه وهداناه وإيَّاك صراطه المستقيم أَنَّ **الإيمان بالقدر على أربع مراتب**:

**المرتبة الأولى**: الإيمان بعلم الله عَزَّ وجَلَّ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأَنَّه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علاّم الغيوب كما قال تعالى ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ**﴾ (الحشر/٢٢) وقال تعالى ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ (الطلاق/١٢)، وقال تعالى ﴿**وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾ (الجن/٢٨)، وقال تعالى ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ**﴾ (سبأ/٣)، وقال تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ (النجم/٣٠)، وقال تعالى ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمِ الشَّاكِرِينَ ـ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمُ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ**﴾ (العنكبوت/١٠)، وقال تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة/٣٠) الآيات، وقال تعالى

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢١٦).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب: اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين، حدثنا محمد بنُ بشار حدَّثنا غُنْدَر حدثنا شعبةُ عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «سُئِلَ النَّبيّ ﷺ عن أولاد المشركين فقال: اللهُ أعلم بما كانوا عاملين»[1].

حدَّثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدَّثنا الليثُ عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني عطاء بن يزيد أنَّه سمع أبا هريرة يقول «سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن ذراري المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[2].

حدثني اسحاقُ أخبرنا عبدُ الرزَّاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «ما من مولودٍ إلا يُولدُ على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو يُنصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها. قالوا يا رسول الله أفرأيْتَ من يموت وهو صغير؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين»[3].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى حدَّثنا آدم حدَّثنا شعبةُ حدَّثنا يزيدُ الرِّشْك قال: سمعتُ مطرِّفَ بنَ عبدالله بن الشخير يحدّث عن عمران بنِ حُصَيْن قال «قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أيُعْرفُ أهل الجنة من أهلِ النار؟ قال نعم. قال فلم يعمل

---

(١) البخاري (١١/٤٩٣) في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، وفي الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/٢٠٤٩/ح ٢٦٦٠) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٢) البخاري (١١/٤٩٣) في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، وفي الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/٢٠٤٩/ح ٢٦٥٩) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٣) البخاري (٣/٢١٨) في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه، وباب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/٢٠٤٧ ـ ٢٠٤٨/ح ٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

العاملون؟ قال: كلٌّ يعمل لما خلق له» أو «لما يسر له»[1].

وقال رحمه الله أيضاً: حدَّثنا سعيدُ بنُ أبي مريم حدَّثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل أَنَّ رجلاً من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين في غزوةٍ غزاها مع النَّبيّ ﷺ، فنظر إليه النَّبيّ ﷺ فقال: مَنْ أحبَّ أن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار فلينظر إلى هذا» فاتبعه رجلٌ من القوم وهو على تلك الحال من أشدِّ الناس على المشركين حتى جُرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النَّبيّ ﷺ مسرعاً فقال: أَشْهَدُ أَنَّك رسولُ اللهِ. فقال: وما ذاك؟ قال: قلت لفلانٍ مَنْ أَحَبَّ أَن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناءً عن المسلمين، فعرفت أَنَّه لا يموت على ذلك. فلما جُرح استعجل الموت فقتل نفسه. فقال النَّبيّ ﷺ عند ذلك: إنَّ العبد ليعمل عمل أهل النار وإنَّه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنَّه من أهل النار، وإنَّما الأعمال بالخواتيم»[2].

وقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدالله بنُ مسلمةٍ بنِ قَعْنَبٍ، حدَّثنا معتمر بنُ سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ الغلام الذي قتله الخضرُ طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[3].

حدَّثني زهيرُ بنُ حربٍ حدَّثنا جرير عن العلاءِ بن المسيَّب عن فُضَيْل بن عمرو عن عائشة بنتِ طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت «تُوفِّي صبيٌّ فقلت طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنة. فقال رسولُ اللهِ ﷺ أولا تدرين أَنَّ الله تعالى خلق

---

(١) البخاري (١١/٤٩١) في القدر، باب جف القلم على علم الله، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر)، ومسلم (٤/٢٠٤١/ح ٢٦٤٩) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) البخاري (١١/٤٩٩) في القدر، باب العمل بالخواتيم، وفي الرقاق، باب العمل بالخواتيم، وفي المغازي، باب غزوة خيبر ومسلم (١/١٠٦/ح ١١٢) في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٣) مسلم (٤/٢٠٥٠/ح ٢٦٦١) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً»[1].

حدَّثنا أبو بكر بنُ أبي شيبة حدَّثنا وكيعٌ عن طلحة بن يحيى عن عمَّته عائشة بنت طلحة عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت «دُعي رسولُ اللهِ ﷺ إلى جنازة صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يارسولَ اللهِ طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: أو غير ذلك يا عائشة! إنَّ الله خلق للجنَّةِ أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[2].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا قتيبة بنُ سعيدٍ حدَّثنا عبد العزيز ـ يعني ابن محمد ـ عن العلاءِ عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: إنَّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُخْتَمُ له عمله بعمل أهل النار، وإنَّ الرجل ليعملُ الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة»[3].

قلت: وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا قتيبةُ بن سعيد حدَّثنا يعقوبُ ـ يعني ابن عبد الرحمن القاري ـ عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال «إنَّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإنَّ الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[4] الحديث يفسر الأول أنَّ عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحُهُ إنَّما هو فيما يبدو للنَّاس.

وقل رحمه الله تعالى: حدَّثنا إسحق بنُ إبراهيم الحنظليُّ حدَّثنا عثمانُ بنُ عمر حدَّثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بنُ الحصين: أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ويكدحون

---

(١) مسلم (٤/٢٠٥٠/ح ٢٦٦٢) رقم (٣٠) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.
(٢) مسلم (٤/٢٠٥٠/ح ٢٦٦٢) رقم (٣١) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.
(٣) مسلم (٤/٢٠٤٢/ح ٢٦٥١) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.
(٤) مسلم (١/١٠٦ ـ ١٠٧/ح ١١٢) في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

فيهِ، أشيءٌ قُضي عليهم ومضى عليهم من قدرِ ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم وثبتت الحجَّة عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال أفلا يكون ظلماً؟ قال ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلتُ: كلُّ شيءٍ خلْقُ الله وملك يده فلا يسئلُ عمَّا يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله تعالى إنِّي لم أُرِدْ بما سألتك إلَّا لأحزر عقلك، إنَّ رجلين من مزينة أتيا رسولَ اللهِ ﷺ فقالا: يا رسولَ اللهِ أرأيت ما يعملُ الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم ﷺ وثبتَتِ الحجَّةُ عليهم؟ فقال لا بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم. وتصديقُ ذلك في كتاب اللهِ عَزَّ وجَلَّ ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس/٨)[1].

وفيه عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ جالساً وفي يده عودٌ ينكتُ به، فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفسٍ منفوسةٍ إلَّا وقد علم منزلها من الجنة والنار. قالوا: يارسولَ اللهِ فلم نعمل، أفلا نتَّكل؟ قال: اعملوا فكل ميسَّر لما خُلق له، ثم قرأ ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**، إلى قوله - **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ (الليل/٥ - ١٠)[2] والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملة في إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات.

**(فصل) المرتبة الثانية من مراتبِ الإيمانِ بالقدرِ**: الإيمانُ بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيءٍ، قال الله عَزَّ وجَلَّ ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ (الأنعام/٣٨) وقال تعالى ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ (يس/١٢) وقال تعالى ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ**﴾ (القمر/٥٣) وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون ﴿**فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولى، قال عِلْمُهَا عِنْدَ**

---

(١) مسلم (٤/٢٠٤١/ح ٢٦٥٠) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) مسلم (٤/٢٠٤٠/ح ٢٦٤٧) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، والبخاري (١١/٤٩٤) فيه، باب (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، وفي التوحيد والتفسير.

رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه/٥٢) وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج/٧٠) وقال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ - إلى قوله - وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام/٥٩) وقال تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس/٦١) وقال تعالى ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/١١) إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يذكر كل على حدته. وكتابه تعالى من علمه.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدان بن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: «كُنَّا جلوساً مع النَّبيّ ﷺ ومعه عودٌ ينكتُ في الأرض وقال: ما منكم من أحدٍ إلا قد كُتِبَ مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجلٌ من القوم: ألا نتكِّل يارسولَ اللهِ؟ قال: لا، اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ. ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (الليل/٥)»[1].

ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا عُثمان بن أبي شيبة وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لزهير - قال إسحق: أخبرنا. وقال الآخران: حدَّثنا جريرٌ عن منصور عن سعدِ بنِ عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنَّا في جنازةٍ في بقيع الغرقد، فأتانا رسولُ اللهِ ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مُخْصَرَةٌ، فنكَّس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسةٍ إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتبتْ شقيةً أو سعيدةً. قال فقال رجلٌ: يا رسول الله

---

(١) البخاري (٧/٧١٨) في تفسير سورة (والليل إذا يغشى) باب (فسنيسره لليسرى)، وفي الجنائز، وفي الأدب، وفي القدر وفي التوحيد.

أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: مَنْ كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال: اعملوا فكل ميسَّرٌ. أَمَّا أهل السعادة فييسَّرون لعمل أهل السعادة، وأَمَّا أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ ﴿**فأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[1] (الليل/٥ ـ ١٠).

وقال رحمه الله تعالى حدَّثنا أحمد بنُ يونس حدَّثنا زهير حدثنا أبو الزبير (ح). وحدثنا يحيى بنُ يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابرٍ. قال: «جاء سراقة بنُ مالكٍ بن جُعْشُم قال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كإنَّا خُلقنا الآن. فيما العمل اليوم؟ أفيما جَفَّتْ به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبلُ؟ قال: لا بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير. قال: ففيم العمل؟ قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيءٍ لم أفهمه، فسألت ما قال؟ فقال اعملوا فكلٌّ مُيَسِّر» ـ وفي رواية قال رسولُ اللهِ ﷺ «كلُّ عاملٍ مُيَسَّرٌ لعمله»[2].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾ (الأنبياء/٩٥) ﴿**إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾ (هود/٣٦) ﴿**وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً**﴾ (نوح/٢٧) وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم: وَحِرْمٌ بالحبشية وجب[3]. حدَّثني محمود بنُ غيلان حدَّثنا عبدالرزاق أخبرنا معمرٌ عن ابن طاوسٍ عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما رأيت شيئاً أشبه باللَّمَمِ مما قال أبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ. إنَّ الله كتب على ابن آدم حَظَّهُ من الزِّنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنَّى وتشتهي والفرجُ يصدق ذلك أو يكذبه» ورواه مسلم

(١) مسلم (٤/٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠/ح ٢٦٤٧) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) مسلم (٤/٢٠٤٠/ح ٢٦٤٨) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٣) ذكره البخاري تعليقاً (١١/٥٠٢). قال الحافظ: لم أقل على هذا التعليق موصولاً. (أي من طريق منصور بن النعمان) وقد وصله من غير طريقه الطبري وعبد بن حميد وابن أبي حاتم. و(حرم) هي قراءة أخرى هي التي ذكرها البخاري في صحيحه.

بهذا اللفظ[1]. وبلفظ قال ﷺ «كُتِبَ على ابنِ آدم نصيبه من الزِّنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناهُ الكلام واليد زناها البطش والرِّجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»[2].

وقال الإمام أحمدُ رحمه الله تعالى: حدَّثنا يونس حدَّثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنّه «ركب خلف رسولِ اللهِ ﷺ يوماً فقال له رسولُ اللهِ ﷺ يا غلام إنِّي معلمك كلمات ينفعك اللهُ بهنَّ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أَنَّ الأُمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرُّوكَ إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف»، ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح[3].

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدَّثنا هاشم بن القاسم حدَّثنا ليثٌ حدَّثني أبو قبيل المعافري عن شفى الأصبحي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ وفي يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال قلنا: إلَّا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى: هذا كتابٌ من ربِّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. ثم قال للذي في يساره هذا كتابُ أهل النار بأسمائهم وأسماءِ آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. فقال أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ: فلأيِّ شيءٍ إذاً نعمل إنْ كان هذا أَمْرٌ قد فرغ منه؟ قال

---

(١) البخاري (١١/٥٠٢ ـ ٥٠٣) في القدر، باب (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وفي الاستئذان، باب زنى الجوارح، ومسلم (٤/٢٠٤٦/ح ٢٦٥٧) في القدر، باب كل شيء بقدر.

(٢) مسلم (٤/٢٠٤٦ ـ ٢٠٤٧/ح ٢٦٥٧) في القدر، باب كل شيء بقدر.

(٣) أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي ((٤/٦٦٧/ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم «٥٩» وقد تقدم تخريجه سابقاً.

رسولُ اللهِ ﷺ: سدِّدُوا وقاربوا فإنَّ صاحب الجنة يختم بعمل الجنة وإنْ عمل أيَّ عمل، وإنَّ صاحب النار ليختم بعمل أهل النار وإنْ عمل أيَّ عمل. ثم قال بيده فقبضها ثم قال: فرغ ربُّكم عَزَّ وجَلَّ من العباد. ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: فريقٌ في الجنة. ونبذ باليسرى فقال: فريقٌ في السعير» ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب[1]. وغير ذلك من الأحاديث كثير.

(فصل) والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

(الأول) التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم، كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ (التوبة/٥١) الآية، وقال سبحانه وتعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير. لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد/٢٢).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ بن غياثٍ حدَّثنا أبي حدَّثنا الأعمش حدَّثنا جامع بنُ شدَّادٍ عن صفوان بن مُحرزٍ أنَّه حدثه عن عمران بنِ حُصَين رضي الله عنهما قال: «دخلت على النَّبيِّ ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: قد بشَّرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا يا رسول اللهِ. قالوا: جئناك نسألك عن أوَّل هذا الأمر. قال: كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيءٍ، وخلق السموات والأرض. فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فواللهِ لوددت أنِّي كنت تركتها»[2].

---

(١) أحمد (٢/١٦٧)، والترمذي (٤/٤٤٩ - ٤٥٠/ح ٢١٤١) في القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) البخاري (٦/٢٨٦) في بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، وفي المغازي، باب وفد تميم، وباب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، وفي =

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثني أبو الطاهر أحمد بنُ عمرو بنِ عبدالله بن عمرو ابن سرح حدَّثنا ابن وهبٍ أخبرني أبو هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول «كتب اللهُ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، قال وعرشه على الماء»[1].

ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى، وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ «احتجَّ آدم وموسى عليهما السلام عند ربِّهما، فحجَّ آدم موسى. قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللهُ برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيءٍ وقرَّبك نجيًّا. فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أُخلق؟ قال موسى بأربعين عاماً. قال آدم فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه/١٢١)؟ قال نعم. قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتب اللهُ عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسولُ اللهِ ﷺ: فحجَّ آدمُ موسى»[2] وله عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة.

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا جعفر بنُ مسافر الهذلي حدَّثنا يحيى بنُ حسَّان حدَّثنا الوليد بنُ رباحٍ عن ابراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة قال: قال عبادةُ بنُ الصامت لابنه يا بنيَّ إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل ما خلق اللهُ القلم فقال له: أكتب. قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتَّى تقومَ الساعة». يا بني إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ مات على غير هذا فليس منّي»[3].

---

= التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم.

(١) مسلم (٤/٢٠٤٤/ح ٢٦٥٣) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) البخاري (٦/٤٤١) في الأنبياء، باب وفاة موسى، وفي التوحيد، ومسلم (٤/٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤/ح ٢٦٥٢) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٣) أبو داود (٤/٢٢٥ ـ ٢٢٢٦/ح ٤٧٠٠) في السنة، باب في القدر. وأبو حفصة قال عنه الحافظ: =

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يا بني أتقرأ القرآن؟ قلت نعم: قال فاقرأ الزخرف. قال فقرأت ﴿**حَمَ وَالكِتَابِ المُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ (الزخرف/١ ـ ٤) قال أتدري ما أُمِّ الكتاب؟ قلت الله ورسولُهُ أعلم. قال فإنَّه كتابٌ كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض فيه: إنَّ فرعون من أهل النار، وفيه تبَّت يدا أبي لهبٍ وتبّ. قال عطاءُ: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسولِ اللهِ ﷺ فسألته: ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال دعاني فقال: يا بني اتَّقِ الله، واعلم أنَّك لن تَتَّقي الله تعالى حتى تؤمن باللهِ وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإنْ متَّ على غير هذا دخلت النار. إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد» هذا حديث غريب[1].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: قال أصبغ اخبرني ابنُ وهب عن يونس بن يزيد عن ابنِ شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ إنِّي رجلٌ شابٌّ وأخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عنِّي. ثم قلت مثل ذلك فسكت عنِّي، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال النَّبيّ ﷺ «يا أبا هريرة جفَّ القلم بما أنت لاقٍ فاختصر على ذلك أو ذر»[2]، وغير ذلك من الأحاديث.

(**فصل**): التقدير (**الثاني**) من تقادير الكتابة: كتابةُ الميثاق يوم ألستُ بربكم

---

= مقبول. والحديث صحيح له شواهد عدّة من حديث عبادة منها الحديث الآتي. وانظر مسند الطيالسي (ح ٥٧٧) وأحمد (٥/٣١٧) والآجري في الشريعة (ص ١٧٧).

(١) الترمذي (٤/٤٢٤/ح ٣٣١٩) في التفسير، باب من سورة ن.

(٢) البخاري (تعليقاً (٩/١١٧) في النكاح، باب ما يكره من التبتُّل والخصاء.
وقد وصله الجوزقي في الجمع بين الصحيحين والإسماعيلي والفريابي في القدر انظر تغليق التعليق (٤/٣٩٦).

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ: وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف/١٧٢) وقال تبارك وتعالى ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف/١٠٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدَّثنا معاوية بنُ عمرو حدَّثنا ابراهيم بنُ محمدٍ أبو اسحق الفزاري حدَّثنا الأوزاعي حدَّثني ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن الديلمي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ خلق خلقه في ظلمةٍ ثم ألقى عليم من نوره يومئذٍ فمن أصابه من نوره يومئذٍ اهتدى ومن أخطأه ضلَّ، فلذلك أقول جفَّ القلم على علم الله عز وجل» حسنه الترمذي[1].

وقال أحمد رحمه الله عز وجل: حدَّثنا هشيم وسمعته أنا منه قال حدَّثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذريةً بيضاء كأنَّهم الذَّر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنَّهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي»[2].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا الحسنُ بنُ سوار حدَّثنا الليث ـ يعني ابن سعد ـ عن معاوية بن راشد بنِ سعدٍ عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه

---

(١) أحمد (٢/١٧٦ و١٩٧) والترمذي (٥/٢٦/ح ٢٦٤٣) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان في صحيحه (٨/١٦ ـ إحسان) والحاكم في المستدرك (١/٣٠) والآجري في الشريعة (ص ١٧٥).
وهو حديث صحيح.

(٢) أحمد وابنه في الزوائد (٦/٤٤١) وإسناده صحيح.

قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. قال فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر»[1] وفي الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وحديثُ عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين إلى الصحابي.

وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى عن زيد بن أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أَنَّ عمر بن الخطَّاب سئل رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ (الأعراف/١٧٢) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُسأل عنها فقال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريه فقال: خلقت هؤلاء للنَّار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجلٌ يا رسولَ اللهِ ففيم العمل؟ قال فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنَّة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة فيدخله ربُّه الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النَّار فيدخله ربُّه النار»[2].

---

(١) أحمد (٤/١٨٦)، وابن سعيد في الطبقات (١/٣٠ و٧/٤١٧)، وابن حبان في صحيحه (ص ٤٤٧/ح ١٨٠٦ ـ موارد) والحاكم في المستدرك (١/٣١) وصححه.

(٢) مالك في الموطأ (٢/٨٩٨ ـ ٨٩٩) في القدر، باب النهي عن القول بالقدر، وأبو داود (٤/٢٢٦ ـ ٢٢٧/ح ٤٧٠٣) في السنة، باب في القدر، والترمذي (٥/٢٦٦/ح ٣٠٧٥) في التفسير، باب ومن سورة الأعراف والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٨/١١٤)، وأحمد (١/٤٤) والبخاري في تاريخه (٤/٢/٩٧) وابن جرير (٩/١١٣) وابن حبان في صحيحه (٨/١٤ ـ إحسان) والآجري في الشريعة (ص ١٧٠) والحاكم في المستدرك (١/٢٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٥٧) وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه واللالكائي وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٣/٦٠١). =

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدَّثنا حسين بن محمد حدَّثنا جرير - يعني ابن أبي حازم - عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيّ ﷺ قال «أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذَّر ثم كَلَّمهم قُبُلاً ﴿قَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مَنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف/١٧٢) صححه الحاكم[1].

وروى ابنه عبد الله في زوائده على مسند أبيه حدَّثنا محمد بنُ يعقوب الربالي حدَّثنا المعتمرُ بنُ سليمان سمعتُ أبي يحدِّث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه في قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأعراف/١٧٢) الآية قال «جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صوَّرهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربِّكم قالوا بلى - قال فإنِّي أُشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأُشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أنْ تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك، اعلموا أنَّه لا إله غيري ولا ربَّ غيري فلا تُشركوا بي شيئاً، إنِّي سأُرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأُنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدنا بأنَّك ربَّنا وإلهنا لا ربَّ غيرك. فأقرُّوا بذلك» الحديث. وقال الإمام الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2].

---

= وفي سنده مسلم بن يسار الجهني. قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن). وذكر بعضهم بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة. وهو مقبول أيضاً. فسنده ضعيف. والحديث صحيح لشواهده سوى مسح الظهر.

(١) أحمد (١/٢٧٢)، والنسائي في التفسير في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٤/٤٤٠) وابن جرير (٦/١١١) والحاكم في المستدرك (١/٢٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٥٨ - ٥٩). وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/٦٠١).
وسنده صحيح. وقد تقدم موقوفاً من قول ابن عباس رضي الله عنهما. وذكر ابن كثير أنَّ وقفه أصح.

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند (٥/١٣٥) وابن جرير (٩/١١٥) وابن منده في الرد =

وقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بنُ بشَّار حدَّثنا غُنْدَرُ حدَّثنا شعبةُ عن أبي عمران قال: سمعت أنس بنَ مالكٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: يقول الله تعالى لِأَهْوَنِ أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أَنَّ لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدى به؟ فيقول نعم، فيقول: أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي، فأبيت إلا أن تشرك بي» ورواه مسلم وغيره[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق. ولله الحمد والمنة.

(فصل) **التقدير (الثالث)** العمري عند تخليق النُّطفة في الرَّحْمِ، فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه. قال الله تبارك وتعالى ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾ (الحج/٥) الآيات، وقال تعالى ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ (فاطر/١١) وقال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (غافر/٦٧) وقال تبارك وتعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**

---

= على الجهمية (ح ٣٠) والحاكم (٢/٣٢٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ واللالكائي وابن مردويه وابن عساكر في تاريخه كما في الدر المنثور (٣/٦٠٠).

(١) البخاري (١١/٤١٦) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وباب من نوقش الحساب عذب، وفي الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٤/٢١٦٠/ح ٢٨٠٥) في المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (النجم/٣٢) وغيرها من الآيات.

وروى البخاري ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال: سمعتُ زيدَ بنَ وهب عن عبدالله - يعني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه - قال حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ وهو الصَّادق المصدوق «إنَّ أحدكم يُجمع خلقُهُ في بطن أُمِّه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1] وهذا لفظ مسلم.

ولهما من حديث حمّادِ بنِ زيدٍ عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «وكَّل الله تعالى بالرَّحم ملكاً فيقول: أي ربِّ نطفة، أيْ ربِّ علقة، أيْ ربِّ مضغة. فإذا أراد اللهُ أنْ يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»[2].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثني أبو الطاهر أحمدُ بنُ عمرو بن سرحٍ أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي أنَّ عامر بن واثلة حدَّثه أنَّه سمع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: الشقيُّ مَنْ شقي في بطنِ أُمِّه، والسعيدُ من وُعِظَ بغيره. فأتى رجلٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ يقال

---

(١) البخاري (١١/٤٧٧) في القدر، باب في القدر، ومسلم (٤/٢٠٣٦/ح ٢٦٤٣) فيه، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) البخاري (١١/٤٧٧) في القدر، في فاتحته، وفي الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، ومسلم (٤/٢٠٣٨/ح ٢٦٤٦) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

لـه حذيفـة بن أسيد الغفـاري فحدَّثـه بذلـك من قولِ ابن مسعـود فقـال: وكيف يشقى رجـل بغيـر عمـلٍ؟ فقـال لـه الـرجـل: أتعجب من ذلـك؟ فـإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إذا مرّ بالنُّطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكـاً فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامهـا ثم قال: يـا ربِّ ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتبُ الملك، ثم يقول: يا ربِّ أجله؟ فيقول ربُّـك ما شاء ويكتب الملك. ثم يقـول يا ربِّ مـا رزقه؟ فيقضي ربُّـك ما شـاء ويكتب الملك ثم يخـرج الملك بالصحيفـة في يده فـلا يزيـد على أمر ولا ينقص» وفي روايـة له من طـريق أخـرى «فيقـول: يـا ربِّ أذكـر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكـراً أو أنثى. ثمَّ يقـول: يا رب أسـويّ أو غيـر سـويّ فيجعله الله تعـالى سـويـاً أو غيـر سويّ. ثم يقول: يا ربِّ ما رزقُهُ، ما أجله، ما خلقُهُ؟ ثم يجعله الله تعـالى شقيّاً أو سعيداً»[1].

وفي رواية لأحمد «فيقول يا ربِّ ماذا أشقي أم سعيد؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيكتبان، فيقول: ماذا؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله عز وجـل فيكتبان: فيكتب عملَهُ وأثرَهُ ومصيبتَهُ ورزقَهُ ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا يُنقص»[2].

وله عن جابـر رضي الله عنه قـال قال رسـول الله ﷺ «إذا استقرت النُّـطفة في الرَّحْم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث الله إليه ملكاً فيقول ياربِّ ما رزقُـه؟ فيقال له. فيقول يا رب ما أجلهُ؟ فيقال له فيقول: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيعلمه. فيقـول يا ربِّ شقي أو سعيد؟ فيعلمه»[3]، تفرد به وإسناده حسن.

وله عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقول «فـرغ الله إلى كلِّ عبدٍ من خمسٍ: من أجله ورزقه وأثره وشقيّ أم سعيد»[4] والأحاديث في ذلك كثير.

---

(١) مسلم (٤/٢٠٣٧/ح ٢٦٤٥) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) أحمد (١/ ٣٧٥ و٣٨٢).

(٣) أحمـد (٣/٣٩٧) وفي سنده حُضيف بن عبـد الرحمن الجـزري: سيّىء الحفظ اختلط قبـل مـوتـه، والخطاب بن القاسم: اختلط قبل موته. والحديث صحيح لشواهده.

(٤) أحمـد (٥/١٩٧) والبزار (٣/٢٤/ح ٢١٥٢ كشف الأستـار) والطبراني في الكبـير والأوسط كما في =

(فصل) **والرابع** التقدير الحولي في ليلة القدر، يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حَم. وَالكِتَابِ المُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ (الدخان/١ ـ ٥) الآيات.

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم، وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، وقال الحسن البصري: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان، وقال مقاتل: يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر، وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية: إنَّك لترى الرَّجلَ غشى في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، والآثار في ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة.

(فصل) **والخامس** التقدير اليومي وهو سَوْق المقادير إلى المواقيت التي قدّرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ (الرحمن/٢٩) وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال «تلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآية ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ (الرحمن/٢٩) فقلنا: يا رسولَ اللهِ وما ذاك الشأن؟ قال: أَنْ يغفر ذنباً

---

= مجمع الزوائد (١٩٨/٧) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٣٠٣ و٣٠٤ و٣٠٥ و٣٠٧ و٣٠٨) وابن حبان (٧/٨ ـ إحسان).
وهو حديث صحيح روي من عِدّة طرق.

ويفرِّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»[1].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «قال الله عز وجل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن/٢٩) قال: مِنْ شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع مقاماً ويضع آخرين»[2]، وعلقه البخاري موقوفاً.

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن/٢٩) قال «يغفر ذنباً ويكشف كرباً»[3].

وله هو وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء دفَّتاه ياقوتة حمراء قلمه نورٌ، وكتابهُ نورٌ، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلَّ يومٍ ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء[4]. وروى ابن أبي حاتم عن سويد بن جبلة الفزاري قال: إنَّ ربَّكم كل يومٍ هو في شأن فيعتق رقاباً، ويُعطى رغاباً، ويقحم عقاباً[5]. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

---

(١) ابن جرير (٢٧/١٣٥) والبزار (كشف الأستار ٣/٧٣/ح ٢٢٦٦) فيه منيب بن عبد الله. قال الحافظ: مقبول إذا توبع وإلافلين. والحارث بن عبده بن رباح لم أجد له ترجمة ووالده ذكره البخاري وابن أبي حاتم وسكتا عنه. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم (المجمع ٧/١٢٠) وهو حسن لشاهديه.

(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٢٩٣) وأخرجه البزار في مسنده (كشف الأستار ٣/٧٣/ح ٢٢٦٧) وابن ماجة (ح ٢٠٢) والطبراني (المجمع ٧/١٢٠) وابن حبان (الإحسان ٢/٣٨/ح ٦٨٨) وأبو الشيخ في العظمة والحسن بن سفيان في مسنده وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر كما في الدر المنثور (٧/٦٩٩) وهو مختلف في إسناده. وفي إسناده الوزير بن صبيح قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلافلين). والحديث حسن لشاهديه السابق والآتي. وجزم البخاري بوقفه (٨/٦٢٠) في التفسير.

(٣) أخرجه البزار (٣/٧٤/ح ٢٢٦٧) وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف. والحديث حسن لشاهديه السابقين.

(٤) ابن جرير (٢٧/٣٥) والحاكم (٢/٥١٩) وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/٦٩٩).
وفي سنده أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف.
والحديث لم يروه البزار. وقد أخذه الشيخ من ابن كثير. وابن كثير لم يعزه له.

(٥) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٢٩٣) وأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/٧٠٠).

(الرحمن/٢٩) قال: من شأنه أن يجيب داعياً. أو يعطي سائلاً. أو يفك عانياً. أو يشفي سقيماً[١]. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كلَّ يومٍ هو يجيب داعياً ويكشف كرباً. ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً. وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيي حياً ويميت ميتاً. ويربِّي صغيراً ويفك أسيراً. وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم، وقال الحسين بن فضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت، وقال أبو سيلمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد بر جديد[٢].

وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين: من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلى ما لايحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء. وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه، في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه، لا يتقدمه ولا يتأخره. كما أن في الآخرة يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوي رحمه الله تعالى: الدهر كله عند الله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعني وغير ذلك، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب[٣] اهـ.

ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين. والإمام المبين هو من علم الله عز وجل، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٧/١٣٥) وأخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي كما في الدر المنثور (٧/٦٩٩ - ٧٠٠).

(٢) انظر (ابن كثير ٤/٢٩٣).

(٣) البغوي (٥/٢٧٤ - ٢٧٥ / معالم التنزيل).

علم الله عز وجل، فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم/٤٢).

**(فصل) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر**: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ (يس/٨٢) وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ ﴿أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (فاطر/٤٤).

**(فصل) والمرتبة الرابعة**: مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالقُ كل عاملٍ وعمله، وكل متحركٍ وحركته، وكل ساكنٍ وسكونه، وما من ذرّة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا ربّ سواه. وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أَغْنى عن إعادته. ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

## فصل

**وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم**، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا عليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلّا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم،

وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلاّ على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إيّاهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غير ما موضع من كتابه كقوله عز وجل ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف/١٧٨) وقال تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (المزمل/١٩)، وقال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ التكوير/٢٧ ـ ٢٩)، وقال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة/٢٨٦) الآية، وقال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق/٧)، وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف/٧٢) أي بسببه، وقال تعالى ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/٢٤). وقال النَّبيّ ﷺ «الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُهُ ونستهديه، ونستغفرُهُ ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ ومَنْ يضلل فلا هادي له»[1].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف/٤٣) ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزمر/٥٧) حدَّثنا أبو النُّعمان أخبرنا جريرُ هو ابنُ حازم عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيتُ النَّبيّ ﷺ يوم الخندق ينقلُ معنا التراب وهو يقول: «والله لولا اللهُ ما اهتدينا. ولا صمنا ولا صلَّينا، فأَنْزِلَنْ سكينةً علينا، وثبِّتِ الأقدام إنْ لاقَيْنا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»[2].

---

(١) رواه أبو داود (ح ٢١١٨) والترمذي (ح ١١٠٥) والنسائي (٣/١٠٥) من حديث ابن مسعود وأصله في مسلم من حديث ابن عباس.

(٢) البخاري (١١/٥١٥ ـ ٥١٦) في القدر، باب في قوله تعالى: (وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

وقال ﷺ في الحمر «ما أنزل الله عليَّ فيها شيئاً إلّا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[1] (الزلزلة/٧ ـ ٨) وغير ذلك ما لا يحصى، وقد تقدم منها جملة وافية في إثبات الإرادة والمشيئة والخلق، فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم. فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم، تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم، وليس مشيئتُهم وإرادتُهم وقدرتُهم وأفعالُهم هي عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله، كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم، حقيقة، وهي من آثارِ أفعالِ الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة، فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة، والله تعالى هادٍ حقيقة، والعبد مهتد حقيقة، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال عز وجل ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (الإسراء/٩٧) فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أنَّ الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالاً حقيقة، وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جلّ وعلا ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن/٢) أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كوناً لا شرعاً، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال تعالى ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأضاف الله تعالى الخلقَ الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة، وأضاف الإيمانَ والكفرَ الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة، والله تبارك وتعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوهُ باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إيَّاها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها.

---

(١) البخاري (١٣/٣٢٩ ـ ٣٣٠) في الاعتصام، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل، وفي الأشربة والمناقب والتفسير، ومسلم (١٢/٦٨٠ ـ ٦٨٢/ح ٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

والمقصود أَنَّ الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعلٌ حقيقة، والعبدُ منفعلٌ حقيقة.

فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر[1].

ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر[2]، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة.

**فالأول قول القدرية النفاة**، وأول من أحدثه في هذه الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر في سياق حديث جبريل السابق في سؤاله النَّبيّ ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة وأئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفّروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضاً بمجانبته والفرار من مجالسته. ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التي انتحلها هو رؤوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد ومن في معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأَنْكَر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر، قال الذهبي: كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرُّفه ... وخالف الرَّاء حتى احتال للشِّعْر
ولم يطق مطراً في القول يجعله ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطر

وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم. هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة[3]. وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان ـ

---

(١) وهم القدريّة القائلين بأن العبد يخلق أفعاله.

(٢) وهم الجبريّة وإخوانهم القائلين بالكسب من الأشاعرة.

(٣) ميزان الاعتدال (٤/٣٢٩) وكان يلثغ بالراء يقلبها غيناً والشعر في وصفه ووصف هذه الخصلة.

ويقال ابن كيسان ـ التيمي مولاهم أبو عثمان البصري من أبناء فارس، قال ابن كثير: هو شيخُ القدرية والمعتزلة، روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس وأبي العالية وأبي قلابة، وعنه الحمَّادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد، وهارون بن موسى ويحيى القطان ويزيد بن زريع. قال الإمام أحمد: ليس بأهل أَنْ يحدث عنه. وقال علي بن المديني ويحيى بن معين: ليس بشيء. وزاد ابن معين: وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنَّما النَّاسُ مثل الزرع. وقال الفلَّاسُ: متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه. وكان ابنُ مهدي لا يحدث عنه، وقال أبو حاتم: متروك، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال شعبة عن يونس بن عبيد: كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث، وقال حماد بن سلمة قال لي حميد: لا تأخذ عنه فإنَّه كان يكذب على الحسن البصري. وكذا قال أيوب وعوف بن عون، وقال أيوب: ما كنت أعدُّ له عقلاً، وقال مطر الوراق: والله لا أُصدقه في شيء، وقال ابن المبارك: إنَّما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر، وقد ضَعَّفهُ غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه، قال الحسن البصري: هذا سيد شباب القراء ما لم يُحْدِث، قالوا فأحدث واللهِ أشَدَّ الحدث، وقال ابن حبان كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة. وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهماً لا تعمداً. وقد روى عنه أنَّه قال: إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد/١) في اللوح فما تعد منه على ابن آدم حجة، وروى له حديث ابن مسعود: حدَّثنا الصادق المصدوق «إنَّ خَلْق أحدكم يجمع في بطن أُمِّه أربعين يوماً ـ حتى قال ـ فيؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[1] إلى آخره، فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببتُهُ، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددْتُهُ، ولو سمعت الله يقول

---

(١) تقدم ذكره.

هذا لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق. وهذا من أقبح الكفر، لعنهُ اللهُ إنْ كان قال هذا، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه. وقد قال عبدُ اللهِ بنُ المبارك رحمه الله تعالى:

أَيُّهَا الطَّالبُ علماً ... إئت حمادَ بنَ زيدٍ
فخذ العلم بحلم ... ثُمَّ قيّدْهُ بقيدٍ
وذر البدعةَ مِنْ ... آثار عمرو بنِ عبيدٍ

وقال ابن عدي: كان عمرو يغر الناس بتقشُّفِهِ، وهو مذموم ضعيف الحديث جِدّاً معلن بالبدع. وقال الدارقطني: ضعيف الحديث. وقال الخطيبُ البغدادي: جالس الحسن واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى[1].

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصَوْا به، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات، ثم افترقوا في أفعال الله كما افترقوا في علمه:

ففرقةٌ قالت: كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له، لا خيرها ولا شرها. والأخرى قالت: الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له، وأما الشر فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له، فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه، وأثبتوا خالقين. فهم في الحقيقة مجوس ثنوية، بل أعظم منهم، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين، ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس، فإنَّ اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخلة في ربوبيته عز وجل، وأنَّه يكونُ في ملكه ما

(١) البداية والنهاية (١٠/٧٨ ـ ٧٩).

لا يريد ويريد ما لا يكون، وأنَّهم أغنياءُ عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستهدونه الصراط المستقيم، فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول لا حول ولا قوة إلّا بالله لا معنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام/٣٩) هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

**(فصل) والقول الثاني وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة** الذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبورٌ على أفعاله مقسور عليها كالسَّعفة يحرِّكُها الريح العاصف وكالهاوي من أعلى إلى أسفل. وأنَّ تكليف الله سبحانه وتعالى عباده ـ من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي ـ كتكليف الحيوان البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب، وأنَّ تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم، وأنَّ ذلك كتعذيب الطويل لِمَ لم يكن قصيراً والقصير لِمَ لم يكن طويلاً والأسود لِمَ لَمْ يَكُنْ أبيض والأبيض لِمَ لَمْ يَكُنْ أسود، فسلبوا العبدَ قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدله وشرعه. فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل ما لا يطاق والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيراً، وأنَّ غضبَ اللهِ عليهم ولعنَهُ وعقابَهُ إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا إنَّه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه، لأنهم إنْ كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيراً

من عباراتهم[1] التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أنّ الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله، فمن ذلك قول بعضهم:

ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال لهُ ... إيَّاك إيَّاكَ أنْ تبتلَّ بالماءِ

وقول آخر قبحه الله:

دعاني وسدَّ الباب عنِّي فهل إلى ... دخولي سبيل بينوا لي قضيَّتي

وقول كافر آخر فضّ الله فاه:

وضعوا اللَّحْمَ للبزا ... ةِ على ذروتي عَدَن
ثُمَّ لاموا البزاةَ إذ ... خلعوا عنهم الرَّسن
لو أرادوا صيانَتي ... ستروا وجهك الحسن

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال: لي خمس بناتٍ لا أخاف على إفسادهن غيره. وصعد رجلٌ يوماً على سطح دارٍ له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام: إنَّ القضاءَ والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحَبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ، أنت حرٌّ لوجه الله. ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول: القضاء والقدر. فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوه تركت السنَّة وأخذت بمذهب ابن عباس، فتنبه ورمى بنسوص من يده واعتذر إليها وقال: لولاكِ لضللتُ. ورأى آخر رجلاً يفجر بامرأتِهِ فقال: ماهذا؟ فقالت: هذا قضاء الله وقدره. فقال: الخيرة فيما قضى الله. فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعى به غضب. وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكُفْر؟ فقال: دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده. وما أفسدنا غيره. ولقد بالغ بعضهم في ذلك حتى قال: القدر عذر لجميع العصاة، وإنما مثلنا في ذلك كما قيل:

---

(١) ذكرها في كتابه القيم طريق الهجرتين تحت قسم (القدرية الابليسيّة) وقد طبع الكتاب بتحقيقي. نشر دار ابن القيم فانظره ففيه ما ينفعك.

إذا مَـرِضْنَـا أَتيـنـاكُمْ نَعـودَكُمْ وتُـذْنِبُـونَ فنـأتيكُـمْ فنعتَـذِرُ

وبلغ بعض هؤلاء أَنَّ علياً مرَّ بقتلى النهروان فقال: بؤساً لكم، لقد ضركم مَنْ غركم. فقيل: مَنْ غرَّهم؟ فقال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأماني. فقال هذا القائل: كان عليٌّ قدرياً، وإلا فالله غرَّهُمْ وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد. واجتمع جماعةٌ من هؤلاء يوماً فتذاكروا القدر، فجرى ذكر الهدهد وقوله ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (النمل/٢٤) فقال: كان الهدهد قدرياً، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله. وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (صٓ/٧٥) أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه. قال له: فما معنى قوله عز وجل ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ﴾ (النساء/٣٩) إذا كان هو الذي منعهم؟ قال: استهزاء بهم. قال: فما معنى قوله ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء/١٤٧)؟ قال: فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى. وقال بعض هؤلاء. وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال: إِنْ كُنْتُ عاصياً لأمره فأنا مطيعٌ لإرادته. وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللَّومُ؟ ولو خلى لسجد، ولكن منع، وأخذ يقيم عذره. فقال بعض الحاضرين: تبّاً لك سائر اليوم، أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن؟. وجاء جماعةٌ إلى منزل رجلٍ من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنت أصلح بين قوم. فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحت إِنْ لم يفسد الله، فقيل له: بؤساً لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربِّكَ. ومرّ بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها. وقيل لبعضهم: أترى الله كلَّف عباده ما لا يطيقون ثم يعذِّبهم عليه؟ قال: والله قد فعل ذلك، ولكن لا نجسر أَنْ نتكلم. وقال بعض هؤلاء: ذنبة أنذبها أحب إلى من عبادة الملائكة. قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأَنَّ الله قضاها عليّ وقدرها، ولم يقضها إلّا والخيرة لي فيها، وقال بعض هؤلاء: العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره

بسرّ الله في القدر. قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: عاتبتُ بعض شيوخ هؤلاء، فقال لي: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأيُّ شيءٍ أبغض منه؟ قال فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت ووالیتهم، أكنت ولياً للمحبوب، أو عدواً له؟ قال فكأنّما أُلقم حجراً. وقرأ قارىء بحضرة بعض هؤلاء ﴿قَالَ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ (ص/٧٥) فقال: هو الله منعه، ولو قال إبليس ذلك لكان صادقاً. وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنتُ حاضراً لقلت له: أَنْتَ منعته. وسمع بعض هؤلاء قارئاً يقرأ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾ (فصلت/١٧) فقال: ليس من هذا شيء، بل أضلّهم وأعماهم اهـ - إلى أن قال: فيقال: الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظّموه حق تعظيمه، ولا نزّهوه عمّا لا يليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء - الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث «يقال يوم القيامة أين خصماء الله؟ فيؤمر بهم إلى النار»[1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته[2]:

ويُدْعَى خصومُ اللهِ يوم معادِهم ... إلى النَّار طراً فرقة القدريَّةِ

سواء نفوه أَوْ سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشَّريعةِ

قال وسمعته يقول: القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث: نفاته وهم القدرية المجوسية. والمعارضون به للشريعة

---

(١) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣٥٦) واللالكائي في أصول الاعتقاد (ح/١١٣٢ و١١٥٨ و١١٥٩) والطبراني في الأوسط (المجمع ٢٠٨/٧ - ٢٠٩) من حديث ابن عمر وفي سنده ضعف شديد. فيه محمد بن الفضل: كذبوه. وكرز بن وبرة: مجهول. ورواه ابن أبي عاصم في السُّنة (ح ٣٣٦) من طريق عمر رضي الله عنه. وسنده ضعيف. فيه حبيب بن عمر وهو ضعيف مجهول.
وهذا من أحاديث القدريّة التي هي على أفرادها لا تخلو من مقال. وبمجموعها يطمئن القلب لها وسيأتي بعضها بعد قليل.

(٢) انظرها في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٦/٨).

الذين قالوا ﴿لو شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ (الأنعام/١٤٨) وهم القدرية المشركون. والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداءُ اللهِ تعالى وخصومُهُ وهم القدريةُ الإبليسيَّةُ وشيخُهم إبليس وهو أوَّل من احتج على الله بالقدر فقال ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ ولم يعترف بالذَّنب ويبوء به كما اعترف به آدم. فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه فما ظلم. ومن برّأ نفسه واحتجّ بالقدر فقد أشبه إبليس. ثم ساق كلاماً طويلاً في فرق القدرية وضلالهم إلى أنْ قال رحمه الله تعالى: فانْظُر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إمَّا في جميع تركتهم وإمَّا في كثير منها وإمَّا في جزءٍ منها، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيِّهم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فلم يؤمنوا ببعض الكتّاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنَّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يَكُنْ، وأنَّه مقلِّب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنَّه هو الذي جعل المؤمن مؤمناً والمصلي مصلياً والمتّقي متقياً، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنَّه ألهم كُلَّ نفس فجورها وتقواها، وأنَّه يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وأنَّه هو الذي وفَّق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنَّه تعالى حال بين الكُفَّار وقلوبهم فإنَّه تعالى يحول بين المرءِ وقلبه فكفروا به، ولو شاء لوفَّقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنَّه من يهده الله فلا مُضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأنَّه لو شاء لآمنَ من في الأرض كلهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنَّه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد، ولو شاء ربُّك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

## القضاء والقدر أربع مراتب

والقضاء والقدرُ عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربِّه تعالى:

**الأول**: علمُهُ السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

**الثانية**: كتابته ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

**الثالثة**: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

**الرابعة**: خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء.

فالخالق عندهم واحد وما سواه فمخلوق، ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق. ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنَّه حكيمٌ في كلِّ ما فعله وخلقه، وأنَّ مصدر ذلك جميعه عن حكمةٍ تامَّةٍ هي التي اقتضت صدور ذلك وخلقه، وأنَّ حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرُّون بلفظها دون حقيقتها، بل هي أمر وراء ذلك، وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدّر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضلَّ وهدى ومنع وأعطى، وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة إليها، فإثباتُ الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال، إذ نفي الغاية مستلزم لنفي الوسيلة، فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة ونفيُ قيام الفعل والحكمة به نفي لهما في الحقيقة، إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا تقوم بالحكيم شيء لا يعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته، وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد له عنه وإنْ أبى التزامه. وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءَتْ به الرسل لم يلزم من قوله محذور البتة بل قوله حقٌّ ولازم الحق حق كائناً ما كان.

والمقصود أنَّ ورثةَ الرُّسُلِ وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاءِ والقدر والحكم والغايات المحمودة في أفعال الربِّ تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي وصدَّقوا بالوعدِ والوعيد، فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وبالأمرِ الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعدَ الناس بالحق وأقربهم عصبة في هذا الميراث النبوي،

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1]. انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى. وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى. رحمه الله تعالى.

والمقصود **أَنَّ الإيمانَ بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر**، وانفكاك أحدِهما من الآخر محال:

فإنَّ الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وطعن في حكمته وعدله، وانتقاد عليه في إرسال الرُّسُل وإنزال الكتب، وخلق الجنَّة لأوليائه المصدقين بها، وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين ـ الحكيم في خلقه وشرعه، العدل في قوله وفعله وحكمه ـ إلى العبث والظلم في ذلك كله.

وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدىء ولا يعيد ولا يغني عنكَ شيئاً، تعالى رَبُّنا وتقدَّسَ وتنزّه وجلّ وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون عُلُوّاً كبيراً. بل الإيمان بالقدر، خيره وشره، هو نظام التوحيد، كما أَنَّ الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلّا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النَّبيّ ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا نتَّكِلُ على كتابنا وندع العمل؟ قال: لا ﴿**اعْمَلُوا فَكلّ ميسر لما خلق له**﴾[2].

فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطَّل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقاً لها، فأثبت خالقاً مع الله

---

(١) من طريق الهجرتين وباب السّعادتين (ص ٢١٥) انظرها بتحقيقي ونشر دار ابن القيِّم.
(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

تعالى، بل أثبت أَنَّ جميع المخلوقين خالقون، ومَنْ أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافياً عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعماً أَنَّ الله تعالى كلَّف عبادَهُ ما لا يطاق فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى ما لا يليق به، ورجح حُجّة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه في ذلك إذ يقول ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الأعراف/١٦)، وأَمَّا المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأَنَّ الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا ربٌّ سواه، وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويصدقون خبر الكتاب والرسول، ويحكمونه في أَنْفُسِهِم سِرّاً وجهراً، وأَنَّ الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (النجم/٣٠) وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأَنَّ الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر، ويعزُّون أنفسهم بالقدر عند المصائبِ، ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب، فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد لله الذي هدانا سبلنا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف/٤٣) ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص/٧٨) وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف/٢٣) ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الأعراف/١٦)، وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/١٥٦) ولم يقولوا كما قال الذين كفروا ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران/١٥٦).

## فصل
## القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الإتكال

واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أَنَّ القَدَرَ السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النَّبيّ ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العملَ؟ قال «لا، اعملوا فكلٌّ ميسر» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل/٥ ـ ١٠)[1] كما في الأحاديث التي قدمنا وغيرها. فالله سبحانه وتعالى قدَّر المقادير وهيأ لها أسباباً وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له، فإذا علم العبد أَنَّ مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً في وجود الزرع، والنكاح سبباً في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار. وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر «ما كنتُ بأَشَدَّ اجتهاداً مني الآن»[2] وقال النَّبيّ ﷺ في الحديث المتقدم «احرص على ما ينفعك واستَعِنْ بالله ولا تعجزنَّ، وإِنْ أصابك شيء فلا تقل لو أَنِّي فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل»[3].

وفي المسند والترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلاً أتى النَّبيّ ﷺ فقال: أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ووجدت قريباً منه وهو قوله «الآن حق العمل» رواه ابن أبي عاصم في السنة (ح ١٧٣) من طريق أبي حنيفة رحمه الله تعالى والقول فيه معروف.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

نتقيها هل تردُّ مِنْ قدرِ اللهِ شيئاً؟ قال «هي مِنْ قدرِ اللهِ»[1] يعني أن الله تبارك وتعالى قدَّر الخير والشر وأسباب كل منهما.

## ذكر ما جاء من الأحاديث في ذمّ القدرية

تقدم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أَنَّ هذه الآية ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر/٤٧ ـ ٤٩) أنها نزلت في المخاصمين في القدر[2]. وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التي سقناها متفرقة في مواضع من هذا المجموع.

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا موسى بن اسماعيل حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ أبي حازم قال حدَّثني بمنى عَنْ أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيّ ﷺ قال «القدريَّةُ مجوسُ هذه الأمَّة، إنْ مرضوا فلا تعودوهم وإنْ ماتوا فلا تشهدوهم»[3]، ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لكلِّ أُمَّةٍ

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٢١)، والترمذي (٤/٣٩٩ ـ ٤٠٠/ح ٢٠٦٥) في الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية، وابن ماجة (٢/١١٣٧/ح ٣٤٣٧) فيه، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.
وهو حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) أبو داود (٤/٢٢٢/ح ٤٦٩١) في السنة، باب في القدر، والحاكم (١/٨٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر. ووافقه الذهبي قال ابن حجر: روى عن ابن عمر وابن عمرو ولم يسمع منهما. وقال ابنه: من حدثك أن أبي سمع من أحد من الصحابة غير سهل بن سعد فقد كذب. وقد رواه ابن عدي في الكامل (٣/١٠٦٨) من طريق أبي حازم عن نافع عن ابن عمر. ورواه اللالكائي (ح ١١٥٠) والآجري في الشريعة (ص ١٩٠) وإسناده واه. فيه عبد الرحمن بن واقد وهو منكر الحديث. وزكريا بن منظور وهو ضعيف وقد أنكر أحمد رحمه الله رواية أبي حازم عن نافع (انظر مسائله من رواية أبي داود ص ٢٩٩.
وقد روى من عدّة طرق من حديث ابن عمر: فقد رواه أحمد (٢/٨٦) وابنه في السُّنة (ح ٩١٥) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٣٣٩) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٥٢) واللالكائي في الاعتقاد (١١٥٣). من طريق عمر بن عبد الله المدني (مولى عفرة) عن ابن عمر. وإسناده ضعيف فعمر هذا في حفظه شيء.
وقد رواه من حديث حذيفة فاضطرب فيه. وحديث حذيفة رواه أبو داود (٤/٢٢٢/ح ٤٦٩٢) =

مجوس، ومجوسُ أُمَّتي الذين يقولون لا قدر، إنْ مَرِضوا فلا تعودوهم، الخ»[1] وفي رواية «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ مجوساً وإنَّ مجوس أُمَّتي المكذِّبون بالقدر»[2] الخ وله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية»[3]. وله عن نافع قال: كان لابن عمر رضي الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبدُ اللهِ بن عمر: إنَّه بلغني أنَّك تكلَّمت في شيءٍ من القدر، فإيَّاك أن تكتب إليَّ فإنِّي سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول «سيكون في أُمَّتي أقوامٌ يكذِّبون بالقدر»[4] وللترمذي عن نافع عنه رضي الله عنه جاءه رجل فقال إنَّ فلاناً يقرأ عليك السَّلام. فقال: إنَّه بلغني أنَّه قد أحدث، فإنْ كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإنِّي سمعت رسولَ اللهِ ﷺ

---

= وأحمد (٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧) واللالكائي في أصول الإعتقاد (ح ١١٥٥) وابن الجوزي في العلل (١/١٥٧).
ورواه أحمد عن نافع عن ابن عمر (٢/١٢٥).
مما يدل على اضطرابه.
وروي عند الطبراني في الصغير (٢/١٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٣٤٠) وابن عدي في الكامل (٢/٦٢٥) والآجري في الشريعة (ص ١٩٠) وابن الجوزي في العلل (١/١٥٢). من طريق الحكم بن سعيد عن الجعيد بن عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر.
وإسناده ضعيف جداً فالحكم بن سعيد: منكر الحديث.
ورواه ابن عدي في الكامل (١/٢٨٧) من طريق إسماعيل بن اسحق عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر.
وإسناده ضعيف. فإسماعيل وابن أبي ليل: فيهما كلام من قبل حفظهما. فالحديث يشعر بمجموع طرقه أنّ له أصلاً يطمئن القلب له. مع ما يأتي من شواهده.

(١) أحمد (٢/٨٦). انظر الحديث السابق.

(٢) أحمد (٢/٤٠٦ ـ ٤٠٧) وقد تقدم قبل الحديث السابق.

(٣) أحمد (٢/١٠٨) من طريق رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر. ورشدين ضعيف وتابعه عند أحمد (٢/١٣٦ ـ ١٣٧) هرون بن معروف. فالحديث حسن ورواه قريباً منه دون قوله (الزنديقيّة). الترمذي (٤/٤٥٦/ح ٢١٥١ و٢١٥٢) في القدر، باب (١٦) وأبو داود (٤/٢٠٤/ح ٤٦١٣) في السُّنة، باب لزوم السنة. وابن ماجة (٢/١٣٥٠/ح ٤٠٦١) في الفتن، باب الخسوف. والحاكم (١/٨٤) وإسناده حسن. وهو من طريق أبي صخر (حميد بن زياد) وفي حفظه شيء يسير وحديثه حسن إن شاء الله تعالى..

(٤) أحمد (٢/٩٠) وسنده حسن كالذي قبله. ورواه ابنه في السُّنة من حديثه (ح ٩١٧).

يقول «في هذه الأمة ـ أو في أمتي، الشك منه ـ خسفٌ أو مسخٌ أو قذف في أهل القدر»[1] هذا حديث حسن صحيح غريب[1].

وقال أبو داود رحمه الله أيضاً: حدَّثنا محمد بن أبي كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لكُلِّ أُمَّةٍ مجوس، ومجوسُ هذه الأُمَّة الذين يقولون لا قدر. من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومَنْ مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعةُ الدَّجَّال، وحقٌّ على اللهِ أَنْ يلحقهم بالدجَّال»[2].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أحمدُ بن حنبل حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ يزيد المقري أبو عبد الرحمن قال: حدَّثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدَّثني عطاءُ بنُ دينارٍ عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الحرشي عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»[3] صحيح.

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمدُ بنُ كثير أخبرنا سفيانُ عن أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال: أتيت أبيَّ بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيء لعلَّ الله أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قلبي، فقال: لو أَنَّ اللهَ عذَّب أهلَ سمواته وأَهْل أرضه عذَّبهم وهو غير ظالمهم، ولو رحِمَهُمْ كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أَنْفَقْتَ مثل أُحُدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أَنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وأَنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبَكَ، ولو متَّ على غيرِ هذا لدخلْتَ النَّارَ. قال: ثم أَتَيْتُ

---

(١) الترمذي (٤/٤٥٦/ح ٢١٥١ و٢١٥٢) في القدر، باب (١٦) وهو حسن وقد تقدم قبل حديث.

(٢) أبو داود (٤/٢٢٢/ح ٤٦٩٢) في السُّنة، باب في القدر، وهو حسن وقد تقدم.

(٣) أبو داود (٤/٢٢٨/ح ٤٧١٠) وأحمد (١/٣٠) وابن حبان (١/١٤٨/ح ٧٩ ـ إحسان) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٤٥/ح ٣٣٠) والحاكم (١/٨٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤/٣٦٠/ح ١١٢٤) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٤٨ ـ ١٤٩) والآجري في الشريعة (ص ٢٣٩) والبيهقي في السنن (١٠/٢٠٤). وفي سنده حكيم بن شريك وهو مجهول ويشهد له ما تقدم فهو حسن.

عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت حذيفةَ بنَ اليمانِ فقال مثل ذلك، قال ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابتٍ فحدثني عن النبي مثل ذلك[1]. وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه في ذلك.

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدَّثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلى أخبرنا محمَّدُ بنُ فضيل عن القاسم بن حبيب وعلي بنُ نزارٍ عن نزارٍ عن عكرمة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «صِنْفَانِ من أُمَّتِي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ: المرجئة والقدرية» هذا حديث حسن غريب[2].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبةُ عن منصور عن ربعيٍّ بنِ حراش عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمِنَ بأَرْبَعٍ: يشهد أَنْ لا إله إلّا اللهُ وأَنِّي رسولُ اللهِ بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالموتِ، ويؤمِنَ بالبعث بعد الموت، ويؤمِنَ بالقدرِ»[3].

وقال رحمه الله تعالى: باب ما جاء مِنَ التشديد في الخوض في القدر. حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ معاوية الجمحي أنبأنا صالح المري عن هشام بن حسّان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أبو داود (٤/٢٢٥/ح ٤٦٩٩) في السنة، باب في القدر، وأحمد (٥/١٨٥) وابن ماجة (١/٢٩/ح ٧٧) في المقدمة، باب في القدر، وابن حبان في صحيحه (٢/٥٥/ح ٧٢٥) والآجري في الشريعة (ص ١٨٧) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٩/ح ٢٤٥). وهو حديث صحيح.

(٢) الترمذي (٤/٤٥٤/ح ٢١٤٩) في القدر، باب ما جاء في القدرية، وابن ماجة (١/٣١/ح ٦٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٤٧/ح ٣٣٤و٢/٤٦١/ح٩٤٦) وابن عدي في الكامل (٥/١٨٣٨) والخطيب في تاريخ بغداد (٥/٣٦٨) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٥٨). والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٢/١٣٣) والطبراني في الكبير (١١/٢٦٢/ح ١١٦٨٢) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤/٦٤٣/ح ١١٥٦) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٥٨). رووه من طرق عِدّة. وهو حديث حسن.

(٣) الترمذي (٤/٤٥١/ح ٢١٤٤) في القدر، باب ما جاء في الايمان بالقدر خيره وشره. وابن ماجة (١/٣٢/ح ٨١) في المقدمة، باب في القدر، وأحمد (١/١٣٣) وابن حبان في صحيحه (١/٢٠٢ ـ إحسان) والحاكم في المستدرك (١/٣٢ ـ ٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين وافقه الذهبي وابن أبي عاصم في السنة (١/٥٩/ح ١٣٠). من طرق. وهو حديث صحيح.

ونحنُ نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كأنَّما فقئ في وجنتيه حَبُّ الرُّمان، فقال: أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرْسِلْتُ إليكم؟ إنَّما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألاّ تنازعوا فيه»[1].

ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال «خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ والناس يتكلَّمون في القدرِ، قال وكأنَّما تفقأ في وجهه حَبُّ الرمان من الغضب، قال فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب اللهِ بعضه ببعضٍ؟ بهذا هلك من كان قبلكم. قال فما غبطت نفسي بمجلسٍ فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أنِّي لَمْ أشهده»، ورواه ابن ماجه[2]. ولأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «لا يدخل الجنَّة عاقٌّ ولا مدمنُ خمرٍ ولا مكذّب بقدر»[3].

وله عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما إنَّ رجلاً قدم علينا يكذِّب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذٍ قد عمى، قالوا وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال والذي نفسي بيده لئن استمكنْتُ منه لأعضنّ أَنْفه حتى أقطعه، ولئن وقعتْ رقبتُهُ في يدي لأدقنَّها فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «كأنِّي بنساءِ بني فهر يَطُفْنَ بالخزرج تصطفِق إلياتهن مشركات» هذا أَوَّلُ شرك هذه الأُمَّة، والذي نفسي بيده لينتهينَّ بهم سوء رأيهم

---

(١) الترمذي (٤/٤٤٣/ح ٢١٣٣) في القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، وقال: وفي الباب عن عمر وعاشئة وأنس وهذا الحديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب يتفرد بها) لا يتابع عليها. قلت: فسنده ضعيف وهو صحيح لشواهده كالآتي. وأحاديث النهي في الكلام في القدر عديدة.

(٢) أحمد (٢/١٧٨) وابن ماجة (١/٣٣/ح ٨٥) في المقدمة، باب في القدر والحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في زوائد ابن ماجة (١/٥٣) وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
قلت: للاختلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه. فسنده حسن.

(٣) أحمد (٦/٤٤١) وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/٢/٣٢) كما في الصحيحه (٢/٢٩٠/ح ٦٧٥) وروى ابن ماجة قوله «لا يدخل الجنة مدمن خمر» (٢/١١٢٠/ح ٣٣٧٦) في الأشربة، باب مدمن الخمر. قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن، وسليمان بن عتبة مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات.

حتَّى يخرجوا الله من أَنْ يكون قدَّر خيراً كما أخرجوه من أَنْ يكون قدَّر شَرّاً»[1].

وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه قال: ما نزلت هذه الآيات ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر/٤٧ ـ ٤٩) إلا في أهل القدر[2].

ولابن أبي حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النَّبيّ ﷺ أنه تلا هذه الآية﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر/٤٨ ـ ٤٩) قال «نزلتْ في أناسٍ مِنْ أُمَّتي يكونونَ في آخرِ الزمان يكذِّبون بقدر الله»[3].

وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيتُ ابنَ عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: تُكلم في القدر. فقال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم. قال: فواللهِ ما نزلت هذه الآية إلّا فيهم ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر/٤٨ ـ ٤٩) أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إنْ رأيتُ أَحداً منهم فقأتُ عينيهِ بأصبعي هاتين[4].

---

(١) أحمد (١/٣٣٠ من طريقين). واسحق (المطالب العالية ح ٢٩٣٦). واللالكائي في أصول الاعتقاد (ح ١١١٦) وإسناده ضعيف. ففي سند أحمد الأول رجل مبهم. وسنده الثاني وسند اللالكائي. ضعفاء عِدّة. منهم بقيّة ومحمد بن عبيد المكي.

(٢) البزار (٣/٧٢ ـ ٧٣/ ٢٢٦٥) وأخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٧/٦٨٣). فيه يونس بن الحارث وهو ضعيف. وأصل الحديث عند مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه (٤/٢٠٤٦/ح ٢٦٥٦) في القدر، باب كل شيء خلقناه بقدر. وأحمد (٢/٤٤٤ و٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبراني (٥/٢٧٦/ح ٥٣١٦) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٢٨٦) وابن مردويه وابن شاهين وابن منده والباوردي في الصحابة وابن عساكر كما في الدر المنثور (٧/٦٨٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٢/١٠٣) قال الهيثمي: فيه لم أعرفه. قلت: يشهد له ما تقدم.

(٤) الحسن بن عرفه (ص ٤٠٧/ح ١٠). واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤/٦٤٣/ح ١١٦٢) وابن بطة في الإبانة (٢/١٩٠ ـ ١٩١) كلاهما من طريق الحسن عن مروان بن مالك الجزري. ومروان: قال الحافظ: صدوق له أوهام.

ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (ح/١٢٠٤) من حديث عبد الرحمن بن سابط عن أبي بكر. وروايته عنه مرسلة.

## ذكر أقوال الصحابة في هذا الباب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر، وقول أُبيٍّ بن كعب وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمي، ووصية عبادة بن الصامت لابنه.

وروى عبدالله بن أحمد عن ابن عباس قال: أَوَّل ما خلق اللهُ القلم ثم قال اكتُبْ، قال ما أَكْتب؟ قال: اكْتُبْ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة. وله عنه فكتب فيما كتب ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[1] (المسد/١). وله عنه قال: أَخْرَجَ اللهُ ذريَّةَ آدم مِنْ ظهرِهِ مثل الذرِّ فسمَّاهم، قال هذا فلانٌ وهذا فلانٌ، ثم قبض قبضتين فقال للَّتي في يمينه: أدخلوا الجنَّةَ، وقال للتي في يده الأُخرى: ادخلوا النَّار ولا أبالي[2].

وله عنه قال: إنَّ الرَّجلَ ليمشي في الأسواق وإنَّ اسْمَهُ لفي المَوْتى[3].

وله عنه ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد/٣٩) قال: إلاّ الشَّقَاوَةَ والسَّعادة والحياة والموت[4].

وله عنه إنَّ أَوَّل ما خلق الله القلم فأَمره أَنْ يكتب ما يريده أَنْ يخلق فالكتاب

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٧١ و٨٧٢ و٨٩٤ و٨٩٨) بأسانيد بعضها صحيح. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٧١). وزيادة «تبت يدا أبي لهب». أخرجها الحاكم في المستدرك (٢/٤٩٨) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وابن جرير (٢٩/١٤ تفسير).

(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٧٦) بسند صحيح. ورواه ابن جرير في تفسيره (٩/١١١) والآجري في الشريعة (ص ٢١١) وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٣/٥٩٨).

(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٨٧) بسند صحيح. ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٥/١٠٩).

(٤) عبد الله في السنة (ح ٨٩٧) بسند ضعيف. فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وهو سيء الحفظ. ورواه ابن جرير (١٣/١٦٦) وعبد الرزاق والفريابي وابن المنذر والبيهقي في الشعب (الدر المنثور ٤/٦٥٩).

عنده، ثم قرأ ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم﴾[1] (الزخرف/٤).

وله عن عكرمة قال: سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ كيف تفقَّد سليمانُ الهُدْهُد من بين الطّيرِ؟ قال: إنَّ سليمانَ نزل منزلاً فلم يدْرِ ما بعد الماء وكان الهدهد مهندِساً قال فأراد أنْ يسأله عن الماءِ ففقده. قلت وكيف يكون مهندِساً والصبيُّ ينصب له الحبالة فيصيده. قال إذا جاء القدر حال دون البصر[2].

وله عن أبي الزبير أنَّهُ كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهني. فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه، فقال: أنْتَ المفتري عل الله القائل ما لا تعلم. قال معبد: يُكذب عليّ. قال أبو الزبير فعدلْتُ مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس: يا أبا عباس الذين يقولون في القدرِ؟ فقال ابن عباس أروني بعضهم، قال قلنا صانع ماذا؟ قال إذنْ أجعل يدي في رأسه ثم أَدُقُّ عنقه[3].

وله عنه قال: ليس قومٌ أبغض إليَّ من القدريَّةِ إنَّهم لا يعلمون قدرة اللهِ، إنَّ الله تعالى قول ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[4] (الأنبياء/٢٣).

وله عن طاوس قال: كنت مع ابن عبَّاسٍ في حلقة قال فذكروا أَهْل القدر، قال فقال: أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأُ عليه ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ (الإسراء/٤) وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا[5]. وله عنه وذكر عنده القدرية قال فقال: لو رأيتُ أحداً منهم لعضضت أنفه[6].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٩٨) بسند صحيح. ورواه ابن جرير (٢٥/٤٨) وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٧/٣٦٦).

(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٠٠ و٩٣١) بسند حسن. ورواه ابن جرير في تفسيره (١٩/١٤٤) والحاكم في المستدرك (٢/٤٠٦).

(٣) عبد الله في السنة (ح ٩١١) وسنده صحيح. وأخرجه الآجري في الشريعة (ص ٢١٤ و٢٤١).

(٤) عبد الله في السنة (ح ٩١٢) وسنده حسن.

(٥) عبد الله في السنة (ح ٢٩٢) وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم (٢/٣٦٠) والآجري في الشريعة (ص ٢١٤).

(٦) عبد الله في السنة (ح ٩٢٤ أ) وسنده صحيح وقد تقدم.

وله عنه قال: الإيمان بالقدرِ نظامُ التوحيد، فمن آمَنَ وكذب بالقدر فهو نقضٌ للتوحيد[1].

وفي لفظ: فمن وَحَّدَ وكذَّب بالقدر فقد نقض التَّوحيد[2].

ولـه عن أبي يحيى مولى ابن عفـراء قال: أتيت ابن عبـاس ومعي رجلان من الذين يذكرون القدر أو ينكرونه، فقلت: يـا ابن عباس مـا تقولُ في القـدر لو أَنَّ هؤلاء أتوك يسألونك ـ وقال مرة ـ يسألونك عن القدر إنْ زنا وإنْ سرق أو شـرب؟ فحسـر قميصه حتى أَخْـرج منكبيه وقـال: يا أبـا يحيى لعلّك من الذين ينكـرون القدر ويكذِّبون به، واللهِ لـو أعلم أَنَّك منهم أو هـذين معك لجـاهدْتُهم، إنْ زنـا فبِقَدَر، وإنْ سرق فبقدر، وإن شرب الخمر فبقدر[3].

وروى إسحاقُ بن الملائي عنه في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ (**الأعراف/١٧٢**) قـال: إنَّ الله تعالى أَخـذ على آدم ميثاقـه أَنَّه ربه، وكتب رزقه، وأَجله، ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الـذر فأخـذ عليهم الميثاق أَنَّه ربُّهم، وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم[4].

وفي تفسيـر اسباط عن السـدي عن أصحابـه أبي مالـك وأبي صالـح عن ابن عبـاس. وعن مرة الهمـداني عن ابن مسعود، وعن أنـاس من أصحاب النَّبيّ ﷺ ورضي عنهم في قـولـه ﴿**وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُـورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ (**الأعراف/١٧٢**) الآية قال: لما أخـرج الله آدم من الجنة قبـل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثـل اللؤلؤ كهيئة الـذر فقال

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٢٥) وفي سنده مجهول. ورواه الآجري (ص ٢١٥) بسند فيه رجل مبهم. واللالكائي (ح/١٢٢٤) بسند فيه انقطاع.
وقـال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيـه هانيء بن المتـوكل وهـو ضعيف (المجمع ٧/٢٠٠) فأسانيده لا تخلو من مجاهيل أو ضعفاء.

(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٢٨). وهو كالذي قبله.

(٣) عبـد الله في السنـة (ح ٩٣٧) وفي سنـده من لا يعـرف. ورواه الـلالكـائي في أصـول الاعتقـاد (ح/١٢٣٠) بسند عبد الله في السنة.

(٤) ورواه الطبري في تفسيره من طرق عِدّة (٩/١١٢) أسانيد بعضها حسنة.

لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: ادخلوا النار ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقيَّة، فقال هو والملائكة ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (الأعراف/١٧٢) الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلّا وهو يعرف أنَّ الله ربَّهُ، ولا مشرك إلّا وهو يقول ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف/٢٣) فذلك قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف/١٧٢) وذلك حين يقول تعالى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ (آل عمران/٨٣) وذلك حين يقول ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام/١٤٩) قال يعني يوم الميثاق[1].

وعن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/٢٩) قال: تستنسخُ الحفظةُ من أُمِّ الكتاب ما يعملُ بنو آدم، فإنَّما يعملُ الإنسان على ما استنسخ الملَكُ من أُمِّ الكتاب[2]، وعنه رضي الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد، ثم قرأ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/٢٩)[3] وفي تفسير الضحاك عنه رضي الله عنه في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله، وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم.

---

(١) انظر الطبري (٩/١١٦).

(٢) (٣) انظر الطبري (٢٥/١٥٦) واللالكائي (ح ٩٤٤). وابن كثير (٤/١٦٤).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي[1].

ولعبد الله ابن الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يزال أمر هذه الأُمَّة قواماً، أو مقارباً، ما لم يتكلَّموا في القدر[2].

وله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال حين طُعِنَ: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾[3] (الأحزاب/٣٨).

وله عن عبدالله بن الحارث الهاشمي قال: خطب عمرُ رضي الله عنه بالجابية وفي لفظ بالشام والجاثليقُ ماثل فتشهَّدَ فقال: «مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فلا هاديَ له» فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعني نفضه، وقال: إنَّ الله لا يُضِلُّ أحداً. فقال: ما يقول: فقالوا ما قال. فقال كذبْتَ عدُوَّ اللهِ، اللهُ خلقك، واللهُ أضلَّكَ ثم يميتُكَ فيدخلك النَّار إنْ شاء الله، والله لولا عقد لك لضربْتُ عُنقَكَ ثم قال: إنَّ اللهَ خلق آدم فنثر ذريَّتَهُ في يديه ثم كتب أهْل الجنَّةَ وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هُمْ عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. قال فتصدَّع الناس وما يتنازع في القدر[4].

---

(١) رواه سفيان بن عيينة في جامعه عن عمرو بن دينار أن أبا بكر الصديق قام على المنبر. . . وذكره (كنز العمال ح ١٥٤٢) وعمرو بن دينار ثقة إلا أنه لم يدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٧٠) وإسناده صحيح. وأخرجه الحاكم (١/٣٣) واللالكائي (ح ١١٢٧).

(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٩٢) وإسناده صحيح.

(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٢٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (ح ١١٩٧ و١١٩٨ و١١٩٩) وأخرج بعضه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٢٥٧). كلهم من رواية عبد الأعلى بن عامر القرشي: وعبد الأعلى قال عنه الحافظ: مقبول وقد روى عنه خالد الحذاء والحارث بن عبدالله بن القاسم وعمرو بن الأصبغ ومخلد والد أبي عاصم وذكره خليفة في الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة. فحديثه حسن إن شاء الله.

وعزاه صاحب الكنز (ح ١٥٤٥) لابن بشران وابن منده في غرائب شعبة وخشيش في الإستقامة. والجاثليق هو: رئيس للنصارى في بلاد الإسلام.

وقال علي رضي الله عنه: ما مِنْ آدمِيٍّ إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدَّر له، فإذا جاء القدر خَلَّاهُ وإياه[1].

وله عنه رضي الله عنه قال وذكر عنده القدر يوماً فأدخل إصبعيه السَّبابة والوسطى في فيه فرقم بهما باطن يديه فقال: أَشْهَدُ أَنَّ هاتين الرقمتين كانتا في أُمِّ الكتاب[2].

وله عن أسير بن جابر قال: طلبتُ علياً في منزله فلم أَجِدْه، فنظرتُ فإذا هو في ناحية المسجد. قال فقلت له ـ كأنّه خوفه ـ قال فقال: إيه ليس أَحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر. فإذا نزل القدر لم يغنِ شيئاً[3].

وله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ـ وقال له رجل إنَّا نسافِرُ فنلقى قوماً يقولون لا قدر ـ قال إذا لقيت أُولَئِكَ فأَخْبِرهُمْ أَنَّ ابْنَ عمر منهم بريءٌ وهم منه براء ثلاث مرات[4].

ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر: إن أُناساً عندنا يقولون الخير والشر بقدر. وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر ـ فقال ابن عمر: إذا رجعت إليهم فقل لهم: إنَّ ابْن عمرَ يقول إنه منكم بريء وأنتم منه برآء[5].

ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه قال: مَنْ زعم أَنَّ مع اللهِ بارئاً أو قاضياً أو رازقاً أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً بعثه الله يوم القيامة فأخرسه وأعمى بصره وجعل عمله هباءً منثوراً وقطع به الأسباب وكبّه على وجهه في النَّار[6].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٧٤) وإسناده صحيح.

(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٥٥) والآجري في الشريعة (ص ٢٠٢) واللالكائي (ح ١٢١٣) وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: قال عنه الحافظ في تعجيل المنفعة؛ فيه نظر.

(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٧٧) وإسناده صحيح. وقد تقدم قوله دون القصة قبل حديث.

(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٢١) وأصله في مسلم.

(٥) عبد الله في السنة من طريقه (ح ٩٢٦). وأصله في مسلم..

(٦) عبد الله في السنة (ح ٩٥٧) وسنده حسن.

وله عن نافع قال قيل لابن عمر: إنَّ قوماً يقولون لا قدر. فقال: أُولَئِكَ القدريُّونَ. أُولَئِكَ مجوسُ هذه الأمة[1].

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مضت الكُتُبُ وجفَّت الأقلامُ فشقيٌّ أو سعيد. فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السعير[2].

وله عن الحسن بنِ عليٍّ رضي الله عنه قال: رُفع الكتابُ وجفَّتِ الأقلامُ وأمور تقضى في كتابٍ قد خلا. وفي رواية قضى القضاءُ وجَفَّ القلمُ وأمور تكفي في كتابٍ قد خلا[3]. وله عنه رضي الله عنه قال: سيكوُن ناسٌ يصدِّقون بقدر ويكذِّبون بقدر فيلعنهم أبو هريرة عند قوله هذا[4].

وله عن عمار مولى بني هاشم قال: سألْتُ أبا هريرة عن القَدَرِ فقال: اكْتَفِي بآخر سورة الفتح[5].

وله عن أبي الحجاج الأزدي عن سلمان رضي الله عنه قال لقيته بماء سبذان قال فقلتُ له: أخبرني كيف الإيمان بالقدر؟ قال: أَنْ تعلمَ أَنَّ ما أصابك لم يكن ليخطِئك، وما أَخْطأَك لم يكن ليصيبك، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا[6].

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: وددت أنِّي وجدْتُ مَنْ أُخاصم إليه ربِّي. فقال أبو موسى: أنا. فقال

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٥٨) وسنده حسن.

(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٧٨ أوب وفي الأول ابن لهيعة وفي الثاني فيه من لم يُعرف.

(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٧٥ و٨٨١) ورواه الطبراني في الكبير (ح ٢٦٨٤) والآجري في الشريعة (ص ٢٤٨) واللالكائي (رقم ١٢٣٤) بأسانيد بعضها صحيحة.

(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٢٠) وسنده حسن. ورواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة (المجمع ٢٠٥/٧).

(٥) عبد الله في السنة (ح ٩٣٠) وسنده حسن.

(٦) عبد الله في السنة (ح ٩٢٣) وعبد الرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٠٨٣) والآجري (ص ٢٠٦) واللالكائي في الاعتقاد (ح ١٢٤٠) والطبراني (المجمع ٢٠٢/٧) قال الهيثمي: فيه أبو الحجاج الآزدي لم أعرفه.

عمرو بن العاص: أيقدّر عليَّ شيئاً يعذبني عليه؟ فقال أبو موسى نعم، قال لم؟ قال لأنَّه لا يظلمك. فقال عمرو: صدقت[1].

وله عن ابن الديلمي سألت عبدالله بن عمرو عن «جَفَّ القلم» فقال: إنَّ الله حينَ خَلَق الخَلْقَ أَلقى عليهم من نوره، فمَنْ أصابه شيءٌ منه اهتدى[2].

وكلام الصحابة في هذا الباب يطول ذكره، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة.

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٢٧) وعبد الرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٠٩٧) وفي سنده انقطاع.

(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٣٢) وسنده صحيح.

## ذكر أقوال التابعين

قال عبيد بن عمير: إنَّكم مكتوبون عِنْد الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم[1].

وقال سعيد بن جبير ﴿يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ﴾ (الأنفال/٢٤) قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان[2].

وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بخت نصر وملك ابنه فرأى كفاً فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين. فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت له أمه: إنَّك لو أعدت لدانيال منزلتَهُ التي كانت له من أبيك ـ وكان قد جفاه ـ أخبرك. فدعاه فقال: إنِّي معيدٌ لك منزلتك مِنْ أبي فأخبرنا ما هذان السطران؟ قال أما ما ذكرت أنَّك معيد لي منزلتي مِنْ أبيكَ فلا حاجة لي بذلك. وأمَّا هذان السَّطران فإنَّك تقتل الليلة. فأخْرجَ مَنْ في القصر أجمعين وأمر بقفلة جلَّاد فقفلت بها الأبواب عليه، وأدْخل معه آمن أهل القرية في نفسه، معه سيف، وقال له: مَنْ جاء مِنْ خَلْقِ اللهِ فاقتله وإنْ قال أنا فلان. وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي والآخر مستيقظ، حتَّى إذا كان على شطْرِ الليل رقدَ ورقد صاحبه، ثم نبَّهه البطن فذهب يمشي والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربه بالسَّيْفِ فقتله[3].

وقال ابن المسيب: ما قدَّر الله فهُوَ قدر[4].

وكان إياس بن معاوية يقول: أعلمُ النَّاس بالقدرِ ضعفاؤهم، يقول: إن كل

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٧٩) وسنده صحيح.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٨٠) وابن جرير (٩/٢١٥) وسنده صحيح.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٨٢) وإسناده إليه صحيح.
(٤) عبد الله في السنة (ح ٨٨٣) وسنده إليه صحيح.

من لم يدخل في خصومة القدر كان مِنْ قوله إذا تكلم: كان من قدر الله كذا وكذا[1].

وقال معمر: إنَّ ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له مَدَّ الله في عُمُرك، يقول: إنَّ العمر لا يزاد فيه ولا ينقص منه[2].

وقال أبو حازم: قال الله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/٨) قال: فالفاجرة ألهمها الله الفجور، والتقية ألهمها الله التقوى[3].

وقال مجاهد: قول الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها[4].

وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال: وقف رجاء بن حَيْوَة على مكحول وأنا معه فقال: يا مكحول بلغني أنَّك تكلَّمت في شيءٍ من القدرِ، ووالله لو أعلم ذلك لكنْتُ صاحبك من بين الناس، فقال مكحول: لا والله أصلحك الله، ما ذاك من شأني ولا مِنْ قولي أو نحو ذلك[5].

وقال ابراهيم النخعي: إنَّ آفة كل دينٍ كان قبلكم ـ أو قال: ـ آفةُ كلِّ دينٍ القدر[6].

وقال مطرفُ بنُ عبدالله بن الشخِّير: لم نوكل في القرآن إلى القدر، وأخبرنا أنّا إليه نصير[7]. وكان طاوس بمكة يصلي ورجلان خلفه يتجادلان في القدر، فانصرف إليهما فقال: يرحمكما الله تجادلان في حكم الله[8]؟.

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٨٤) وهو صحيح إليه.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٨٥) وهو صحيح إليه.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٩٠) وهو صحيح إليه.
(٤) عبد الله في السنة (ح ٨٩١) وهو صحيح إليه.
(٥) عبد الله في السنة (ح ٨٩٣) وهو صحيح إليه.
(٦) عبد الله في السنة (ح ٨٩٥) وفيه انقطاع في سنده.
(٧) عبد الله في السنة (ح ٨٩٩) والآجري في الشريعة (ص ٢٢٠) وعبد الرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٠٨٩) وهو صحيح إليه.
(٨) عبد الله في السنة (ح ٩٠٩) وهو صحيح إليه.

وقال ميمون: لا تَسبُّوا أصحاب النَّبيّ ﷺ، ولا تعلموا النُّجوم، ولا تجادلوا أهل القدر[1].

وقال طاوس أيضاً: أدركتُ ناساً من أصحاب النَّبيّ ﷺ يقولون: كلّ شيءٍ بقدر[2].

وقال أبو حازم: لَعَنَ اللهُ ديناً أنا أكبر منه ـ يعني التكذيب بالقدر ـ يقول هذا عندما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه»[3].

وعن عمرو بن محمد قال: كنت عند سالم بن عبدالله فجاءه رجلٌ فقال: الزِّنا بقدر؟ فقال: نعم. قال كتبه عليَّ؟ قال نعم، قال: ويعذبني عليه؟ قال فأخذ له الحصى[4].

وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن[5].

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ (المؤمنون/٦٣) قال: أعمال لا بد لهم مِنْ أَنْ يعملوها[6].

وعن أبي صالح ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء/٧٩) وأنا قدرتها عليك[7].

وقال حميد: قدم الحسنُ مكةَ، فقال لي فقهاءُ مكة ـ الحسن بن مسلم وعبدالله بن عبيد ـ لو كلَّمت الحسنَ فأخلانا يوماً. فكلَّمْتُ الحسن فقلت: يا أبا

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩١٠) وهو صحيح إليه.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩١٣) وهو عند مسلم (٤/٢٠٤٥/ح ٢٦٥٥) في القدر.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٩١٦) وسنده حسن والحديث عند أحمد (٢/١٨١ و٢١٢). وسنده حسن.
(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٣٣) والآجري في الشريعة (ص ٢٤٠) واللالكائي (رقم ١٢٧٠).
(٥) عبد الله في السنة (ح ٩٣٤) وهو صحيح إليه وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٠٨٥) واللالكائي (ح ١٢٥٤) وابن بطة في الإبانة (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧).
(٦) عبد الله في السنة (ح ٩٣٩) وابن جرير في تفسيره (١٨/٣٦) وهو صحيح إليه.
(٧) عبد الله في السنة (ح ٩٤٠) وابن جرير في تفسيره (٥/١٧٦) وهو صحيح إليه.

سعيد إخوانك يحبون أَنْ تجلس لهم يوماً. قال نعم ونعمت عين، فواعدهم يوماً فجاءوا واجتمعوا، وتكلَّم الحسنُ وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطىء فيها شيئاً إلّا في مسألة. فقال له رجل: يا أبا سعيدٍ مَنْ خَلَق الشيطان؟ قال: سبحان الله، سبحان الله، وهل من خالق غير الله؟ ثم قال: إنَّ الله تعالى خلق الشيطان وخلق الشَّرَّ وخلق الخير. فقال رجل منهم: قاتلَهُمُ الله يكذبون على الشيخ[1].

وقال أيضاً: قرأتُ على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره، وكان يفسِّره على الإثبات[2].

وقال خالد الحذاء: قلت للحسن أرأيت آدم أللجنَّة خُلِقَ أم للأرض؟ قال: للأرض. قال قلت: أرأيتَ لو اعتصم؟ قال: لم يكن بد من أَنْ يأتي على الخطيئة[3].

وقال إياس بنُ معاوية: ما كلَّمت أحداً من أهل الأهواء بعقلي كلِّه، إلّا القدريّة، فإنِّي قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أَنْ يأخذ الإنسانُ ما ليس له. فقلت لهم: فإنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير[4].

ولعبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بنُ عبد العزيز إلى عديِّ بنِ أرطاة «أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عُمان كان من الخطايا التي قدَّر الله عليك وقدَّر أَنْ تبتلى بها»[5].

ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه. قال: لو أراد الله أَنْ لا يُعصى لم

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٤٢) وهو صحيح وحميد هو الطويل.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٤٤) وهو صحيح.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٩٤٥) وهو صحيح إليه.
(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٤٦) والآجري في الشريعة (ص ٢٠٠) واللالكائي (ح/ ١٢٨٠) وهو صحيح إليه.
(٥) عبد الرزاق (رقم ٢٠٠٩١) وعبد الله في السنة (ح ٩٣٥) واللالكائي (١٢٤٨) وهو صحيح إليه.

يخلق إبليس. ثم قرأ ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالَ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات/١٦٣)[1].

وله عنه رضي الله عنه أنَّه قال لغيلان: ألست تقرُّ بالعلم؟ قال: بلى. قال: فما تريد مع أنَّ الله يقول ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات/١٦٢ ـ ١٦٣)[2].

وله عن أبي جعفر الخطمي قال: شهدتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يُكْذَبُ عليَّ يا أمير المؤمنين ويقال عليَّ ما لم أقل. قال: ما تقول في العلم؟ قال: قد نفذ العلم. قال فأنت مخصوم. إذهب الآن فقل ما شئت. ويحك يا غيلان إنَّك إنْ أقررتَ بالعلم خصمت، وإنْ جحدته كفرت. وإنك أن تقرّ به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر. قال ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال: نعم. فقال له اقرأ ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يس/١ ـ ٢) فقرأ ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ـ إلى قوله ـ لقد حقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس/١ ـ ٧) قال: قف، كيف ترى؟ قال كأنِّي لم أقرأ هذه الآية يا أميرَ المؤمنين. قال: زد. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً﴾ (يس/٨ ـ ٩) قال له عمر: قل سداً فأغشيناهم. قال، قال له عمر قل ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس/٩ ـ ١٠) قال: كيف ترى؟ قال كأنِّي لم أقرأ هذه الآيات، وإنِّي أعاهد الله أنْ لا أتكلَّم في شيءٍ مما كنت أتكلم فيه أبداً. قال: اذهب. فلما ولى قال: اللَّهُمَّ إنْ كان كاذباً فيما قال فأذقه حرَّ السلاح. قال فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان زمن يزيد بنِ عبد الملك جاء رجلٌ لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال فتكلم غيلان، فلما ولى هشامُ أرْسل إليه فقال: أليس قد عاهدت الله تعالى

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٣٦) وهو صحيح إليه.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٤٧) وهو حسن إليه.

لِعمرَ أَنْ لا تتكلم في شيءٍ من هذا الأمر أبداً؟ قال: أقلني، فلا والله لا أعود. قال: لا أقالني الله إنْ أَقَلْتُكَ، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال نعم. قال: اقرأها. فقرأ ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/٢ ـ ٥) قال: قف علام تستعينه؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلّا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليهِ، واضربوا عنقه واصلبوه[١].

قال ابنُ عَوْن: أنا رأيتُ غيلان مصلوباً على باب دمشق[٢].

وعنه قال في أصحاب القدر: فإنْ تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين[٣].

وقال مالك عن عمه سهل قال: كُنْتُ مع عمرَ بنِ عبدِ العزيز فقال لي: ما ترى في هؤلاءِ القدريَّة؟ قال قلت: أرى أَنْ تستتيبهم فإنْ قبلوا وإلّا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت: أسألك فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي. القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحاق بن عيسى[٤].

وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة: أَصْلَحَكَ اللهُ اضرب أعناقهم. يعني القدرية[٥].

وقال ابنُ سيرين. إنْ لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آياتِ اللهِ فلا أدري مَنْ هم[٦].

وقال مجاهد: لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية، ثم تزندقوا ثم تمجسوا[٧].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٤٨) والآجري في الشريعة (ص ٢٢٨) وهو حسن الإسناد.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٤٩) وهو صحيح إليه.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٩٥١).
(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٥٢) والآجري في الشريعة (ص ٢٢٧) وهو صحيح إليه. وإسحق هو الطباع.
(٥) عبد الله في السنة (ح ٩٥٤) وسنده حسن إليه.
(٦) عبد الله في السنة (ح ٩٥٦) وسنده حسن إليه.
(٧) عبد الله في السنة (ح ٩٦٠) وسنده صحيح إليه.

وقال منصور بنُ عبد الرحمن سألت الحسن عن قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود/١١٨) فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلّا من رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقنته (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال: نعم، خلق هؤلاءِ لجنّته وخلق هؤلاء لناره. وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه[١].

وقال أيضاً: قلت للحسن: قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (الحديد/٢٢) قال: قسمة الله، ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السَّماء والأرض ففي كتابِ الله تعالى قبل أَنْ يبرأ النسمة[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٧ ـ ٤٩) في أهل القدر. وفي رواية عنه قال: نزلت تعييراً لأهل القدر[٣].

وعنه أَنَّ الفضل الرقاشي قعد إليه فذاكره شيئاً من القدر، فقال له محمَّدُ بن كعب القرظي تشهَّده فلما بلغ «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ» رفع محمدٌ عصا معه فضرب بها رأسه وقال: قم. فلما قام فذهب قال: لا يرجع هذا عن رأيه أبداً[٤].

وقال مطرٌ رحمه الله: لقيني عمرو بن عبيد فقال: والله إِنِّي وإِيَّاك لعلى أَمْرٍ واحد. قال وكذب والله. إِنَّما عنى على الأرض. وقال: والله ما أصدقه في شيء[٥].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٥٠) وابن جرير (١٢/١٤١) وسنده حسن إليه.
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٦١) وسنده حسن إليه.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٩٤١) والآجري في الشريعة (ص ٢٢٢) وهو صحيح إليه.
(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٦٢) وإسناده صحيح إليه. والفضل قدري ينكر الحديث.
(٥) عبد الله في السنة (ح ٩٦٣) وإسناده صحيح إليه. وعمرو معتزلي كذاب.

وعن ثابت البنانيِّ قال: رأيتُ عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلتُ: ما تصنع؟ فقال: أُثْبِتُ مكانه خيراً منه[1].

وعن حمَّادِ بنِ زيدٍ قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلَّم عليهم ووقف وقفته فما ردُّوا عليه السَّلام، ثم جاز فما ذكروه[2].

وعن الحسنِ بن شقيقٍ قال قلت: لعبدِ الله يعني ابن المبارك سمعتُ من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أَيْ كثيراً. قلت: فلم لا تسميه وأَنْتَ تسمي غيره من القدريَّة؟ قال: لأنَّ هذا كان رأساً[3].

وعن معاذ بن مكرم قال: رآني ابنُ عونٍ مع عمرو بن عبيد في السُّوقِ فأَعْرض عنِّي، قال فاعتذرتُ إليه، قال: أما إنِّي قد رأيتُكَ فما زادني[4].

وعن أبي بحرٍ البكراوي قال: قال رجل لعمرو ـ يعني ابن عبيد ـ وقرأ عنده هذه الآية ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج/٢٢) فقال له: أخبرني عن ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد/١) كانت في اللوح المحفوظ؟ قال ليست هكذا كانت. قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبت يدا مَنْ عمل بمثل ما عمل أبو لهب، فقال له الرجل: وهكذا ينبغي لنا أَنْ نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة؟ فغضب عمرو. فتركه حتى سكن ثم قال له: يا أبا عثمان أخبرني عن تبّت يدا أبي لهب كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت. قال فكيف كانت؟ قال تبت يدا مَنْ عمل بمثل عمل أبي لهب، قال فرددتُ عليه، قال عمرو: إنَّ علمَ اللهِ ليس بسلطانٍ، إنَّ علم الله لا يضر ولا ينفع. قلت إنْ كان قال هذا وماتَ عليه

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٦٤) وابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٥١) واللالكائي (رقم ١٣٧١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/١٧١).

(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٦٥) وابن عدي «الكامل» (٥/١٧٥١).

(٣) عبد الله في السنة (ح ٩٦٦).

(٤) عبد الله في السنة (ح ٩٦٧).

فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين. وإنْ كان ذلك مكذوباً عليه فلعنة الله على الكاذبين[1].

وعن سلامِ بنِ أبي مطيع قال: كنت أمشي مع أيوب في جنازةٍ وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد في الإعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال فقال لي أيوب من غير أنْ أسأله: لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه[2].

وعن أبي رجاء قال: رأيتُ رجلين يتكلَّمان في المربد في القدر، فقال فضل الرقاشي لصاحبه: لا تقر له بالعلم، إنْ أقررت له بالعلم فأمكنت مِنْ نفسك، يسحبك عرض المربد[3].

وعن حوثرة بنِ أَشْرَس قال سمعتُ سلاماً أبا المنذر غير مرَّةٍ وهو يقول: سلوهم عَنِ العلم، هل علم أو لم يعلم؟ فإنْ قالوا قد علم فليس في أيديهم شيء، وإنْ قالوا لم يعلم فقد حلَّت دماؤهم[4].

قال حوثرةُ: وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال قيل لعمر بن عبد العزيز: إنَّ غيلان يقول القدر كذا وكذا، قال فمرَّ به فقال: أخبرني عن العلم، قال: سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة. فقال عمر بن عبد العزيز: والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربتُ عنقك، اذهب الآن فجاهِدْ جهدك[5].

وعن معاذِ بنِ معاذ قال: صلَّيْتُ خلف رجلٍ من بني سعد، ثم بلغني أنَّه قدري، فأعدتُ الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة[6].

وقال ابراهيمُ بنُ طهمان: الجهميَّةُ كُفَّار، والقدريَّةُ كفار[7].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٩٧٥).
(٢) عبد الله في السنة (ح ٩٧٩) وإسناده صحيح.
(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٣٦).
(٤) عبد الله في السنة (ح ٨٣٧).
(٥) عبد الله في السنة (ح ٨٣٨).
(٦) عبد الله في السنة (ح ٨٣٩) وهو صحيح إليه.
(٧) عبد الله في السنة (ح ٨٤٠).

وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس: اخزوا معبدا الجهني فإنَّه قدري[1].

وقال الحسن بن محمد بن علي: لاتجالسوا أَهْلَ القدر[2].

وقال عكرمةُ ابنُ عمار: سمعتُ القاسمَ بنَ محمد وسالمَ بنَ عبدِ اللهِ يلعنان القدرية الذين يكذِّبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشرِّه[3].

وقال مرحومُ بنُ عبد العزيز العطار: سمعت أبي وعمِّي يقولان سمعنا الحسن - وهو ينهى عن مجالسةِ معبدَ الجهني - يقول: لا تجالسوا معبداً فإنَّه ضالٌّ مُضل. قال مرحوم قال أبي: ولا أعلم أحداً يومئذٍ يتكلَّم في القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له سسويه[4].

وقال عكرمة: سألتُ يحيى بن أبي كثير عن القدرية فقال: هم الذين يقولون إنَّ الله لم يقدِّر الشر[5].

وقال مسلم بن يسار: إنَّ معبداً يقول بقول النصارى[6].

وقال عمارةُ بنُ زاذان: بلغني أَنَّ القدريَّة يُحْشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: واللهِ ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنَّكم أَشركتُمْ من حيث لا تعلمون. قال وبلغني أَنَّه يقالُ لهم يوم القيامة أنتم خصماءُ اللهِ عز وجل[7].

وقال عبدُ الله بنُ أحمدٍ سمعتُ أبي يقول: لا يصلَّى خلف القدريَّة والمعتزلة والجهمية[8].

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٤٧/أ).
(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٤٧/ ب).
(٣) عبد الله في السنة (ح ٨٤٨).
(٤) عبد الله في السنة (ح ٨٤٩). وسسويه: اسمه يونس الأسواري أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني. وأخرج الآثر الآجري في الشريعة (ص ٢٤١) واللالكائي (ح ١١٤٢).
(٥) عبد الله في السنة (ح ٨٥٠).
(٦) عبد الله في السنة (ح ٨٥٢).
(٧) عبد الله في السنة (ح ٨٥٣) وقد تقدم حديث «القدرية خصماء الله».
(٨) عبد الله في السنة (ح ٨٣٣).

وسألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري. فقال: إنْ كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلي خلفه[1].

سمعتُ أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال: إنَّ الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علمَ اللهِ فهو كافر[2] اهـ من كتاب السنة.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره، ومحله كتب النقل الجامعة، وفيما ذكرنا كفاية، ولله الحمد والمنة.

اللهم يا ربَّنا ومليكَنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة، ومن شقى بمعصيتك والنَّار، وكتبت ذلك وسطَّرته وقدَّرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتُكَ، ولك الحكمةُ البالغةُ والحجَّةُ الدامغةُ، ولا يدري عبدك في أَيِّ القسمين ولا في أَيِّ القبضتين هو، وأنْت تعلم. اللهم إيَّاكَ نعبدُ إيماناً بكتبك وتصديقاً لرسلك وانقياداً لشرعك وقياماً بأمرك ودينك، وإيَّاكَ نستعين إيماناً بربوبيتك واستسلاماً لقضائك وقدرك وافتقاراً إليك وتوحيداً لك في إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك. ولا مشيئة إلا أنْ تشاء، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولا معصوم إلا من عصمت، ولا حول ولا قُوَّة إلاّ بك. اللهم اجعلنا ممَّنْ أعطى واتَّقى وصدَّق بالحسني فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنْعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ممَّنْ علم الحقَّ وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلا، ولا الضالين الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صُنعاً. اللهم يا من يحول بين المرءِ وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر، يا مقلِّبَ القلوب ثبِّتْ قلوبنا على دينك حتى نلقاك به، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ (آل عمران/٨).

---

(١) عبد الله في السنة (ح ٨٣٤).

(٢) عبد الله في السنة (ح ٨٣٥).

## الكلام على خصال ست في نفيها إيمان بالقدر

لا نـوءَ لا عدوى ولا طيـر ولا  عمَّـا قضى اللهُ تعـالى حـولا
لا غَـوْل لا هـامـةَ ولا صفـرَ  كمـا بـذا خَبَّـر سَيِّـدُ البشـر

هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإنَّ نفيَ هذه الخصال الست وما في معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر، الـذي بيده النفـع والضر، واعتقـاد صحة شيء منها شـرك منافٍ للتـوحيد أو لكمـاله، منـاقض للتوكُّـلِ على اللهِ عَزَّ وجَلَّ عياذاً بالله منه.

## الكلام على النوء

**فأَمَّا النوءَ فهو من الاعتقاد في النجوم** الذي سبق بسط القول في بيـان بطلانـه فإنَّهم يعتقدون أنَّ لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانهـا وافتراقهـا تأثيراً في هبوب الرياح وسكونها، وفي مجيء المطر وتأخره، وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك. فإذا وقع شيء من الحـوادث نسبوه إلى النُّجـوم فقالـوا: هذا بنوء عطارد أو المشتري أو المريخ أو كذا أو كذا.

وردَّ اللهُ تعـالى ذلك عليهم وأكـذبهم بما أَنـزله على رسـولِ اللهِ ﷺ، قال الله تعالى ﴿**اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِـلاَلِهِ، فَـإِذَا أَصَابَ بِـهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَـادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ، فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَـةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَـوْتِهَا إِنَّ ذَلِـكَ لَمُحْيِي المَوْتَى وَهُـوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ**﴾ (الـروم/٤٨ ـ ٥٠)، وقال تعـالى ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْـرِ عَمَدٍ تَـرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ**

مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (لقمان/١٠ - ١١)، وقال تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ - إلى قوله تعالى - وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة/٧٥ - ٨٢).

وقال الإمام مالك بن أنس في موطئه رحمه الله تعالى: بابُ الاستمطارِ بالنُّجوم. عن صالح بن كيسانَ عن عُبيدِ اللهِ بن عَبْدِ اللهِ بن عُتبة بنِ مسعود عن زيد بن خالد الجهنيِّ أنَّه قال «صلَّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصّبح بالحديبية على إثْرِ سماءٍ كانت من الليل، فلمَّا انصرفَ أَقْبل على الناس فقال: أتدرون ماذا قال ربُّكُمْ: قالوا اللهُ ورسولُهُ أَعْلم. قال قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ بي، فأَمَّا من قال مُطِرنا بفضلِ اللهِ ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب. وأَمَّا من قال مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب». ورواه الشيخان من طريقه بلفظه، وعليه ترجَمَ البخاريُّ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1] (الواقعة/٨٢).

وقال مسلمٌ ابن الحجاج رحمه الله تعالى: حدَّثنا حرملة بنُ يحيى وعمر بن سوادِ العامريِّ ومحمدُ بنُ سلمة المرادي. قال المرادي: حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ وهب عن يونس، وقال الآخران أخبرنا ابنُ وهب، قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدَّثني عُبيدُ اللهِ بن عبدالله بن عتبة أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ألم تروا إلى ما قال ربُّكم؟ قال ما أنعمت على عبادي من نعمةٍ إلا أصبح فريقٌ منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب»[2].

---

(١) مالك في الموطأ (١/١٩٢) في الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم، والبخاري (٢/٣٣٣) في صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، وفي الاستسقاء، باب قول الله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)، وفي المغازي، باب غزوة الحديبية، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، ومسلم (١/٨٣/ح ٧١) في الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.

(٢) مسلم (١/٨٤/ح ٧٢) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

وحدثني محمد بنُ سلمة المرادي حدَّثنا عبدُ الله بن وهب عن عمرو بنُ الحارث (ح). وحدَّثني عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدَّثَهُ عن أبي هريرة عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «ما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السماءِ من بركة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا». وفي حديث المرادي «بكوكب كذا وكذا»[1].

وحدَّثني عباس بنُ عبد العظيم العنبريِّ حدَّثنا النَّضْرُ بنُ محمدٍ حدَّثنا عكرمة ـ وهو ابن عمار ـ حدَّثنا أبو زميل قال حدَّثنا ابن عباس قال: مُطِر الناس على عهد النَّبيِّ ﷺ فقال النَّبيّ ﷺ «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمةُ الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ـ حتى بلغ ـ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة/٧٥ ـ ٨٢)[2].

وقال الترمذيُّ رحمه الله تعالى حدَّثنا أحمدُ بنُ منيع حدَّثنا الحسينُ بنُ محمد حدَّثنا إسرائيلُ عن عبدِ الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة/٨٢) قال: شُكْركم تقولون مطرنا بنوءِ كذا وكذا وبنجم كذا وكذا. هذا حديث حسن غريب. ورواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم[3].

وقال ابنُ جريرٍ: حدَّثني يونسٌ أخبرنا سفيانُ عن محمد بنِ إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «إِنَّ اللهَ لَيُصبِّحُ القَوْمَ بالنِّعمة أو يمسِّيهم بها فيصبح بها قوم

---

(١) مسلم (١/٨٤/ح ٧٢) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٢) مسلم (١/٨٤/ح ٧٣) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٣) الترمذي (٥/٤٠١/ح ٣٢٩٥) في التفسير، باب ومن سورة الواقعة. وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأحمد (١/٨٩ و١٠٨ و١٣١) وابن جرير (١٣/٢٠٧ ـ ٢٠٨) وأخرجه ابن منيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوىء الأخلاق، وابن مردويه والضياء في المختارة، كما في الدر المنثور (٨/٢٩).

كافرين يقولون مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا» قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحنُ قد سمعنا من أبي هريرة[1].

وقال رحمهُ الله تعالى: حدَّثني يونس أخبرنا سفيان عن اسماعيل ابن أمية - فيما أحسبه أو غيره - أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سمعَ رجلاً ومطروا يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأسدِ، فقال ﷺ «كَذَبْتَ بل هو رزقُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ»[2]، وقال رحمه الله تعالى: حدَّثني أبو صالح الصراري حدَّثنا أبو جابر محمدُ بنُ عبد الملك الأزدي حدَّثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مُطِرَ قومٌ من ليلةٍ إلا أصبح قومٌ بها كافرين. ثم قال ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة/٨٢) يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا»[3].

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أَنَّه بلغَهُ أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول إذا أصبح وقد مُطِر الناس: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[4] (فاطر/٢).

وروى ابنُ جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ما مُطِرَ قومٌ قَطٌّ إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوءِ كذا وكذا، وقرأ ابنُ عبَّاسٍ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة/٨٢) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس[5].

---

(١) ابن جرير (٢٧/٢٠٨) وهو حديث صحيح. وفي سنده محمد بن اسحق وقد عنعن وهو مدلس.

(٢) ابن جرير (٢٧/٢٠٨). وسنده ضعيف معضل.

(٣) ابن جرير (٢٧/٢٠٨) حديث صحيح. وسنده هذا ضعيف فيه محمد بن عبد الملك الأزدي: قال أبو حاتم: ليس بالقوي وجعفر بن الزبير وهو ضعيف جداً. والحديث يشهد له ما تقدم.

(٤) مالك في الموطأ (١/١٩٢) في الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم وسنده ضعيف مرسل (من بلاغات مالك رحمه الله). وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧/٥).

(٥) ابن جرير (٢٧/٢٠٨) وهو كما قال. وأخرجه أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٢٨).

## ما ورد في العدوى

**وأمَّا العدوى فكانوا يعتقدونَ سريان المرض من جسد إلى جسدٍ بطبيعته**[1]، فنفى الله تعالى ذلك ورسوله ﷺ قال الله تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلَانَا. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة/٥١)، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن/١١)، وقال تعالى ﴿قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران/١٦٨)، وقال تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (النساء/٧٨) الآيات، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الجمعة/٨).

وروى البخاري عن الزهري قال: أخبرني سنانُ بنُ أبي سنان الدؤلي أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لا عدوى» فقام أعرابيٌّ فقال أرأيتَ الإبل تكون في الرِّمال أمثال الظباء فيأتيها البعيرُ الأَجْرَبُ فتجرب، قال النَّبيّ ﷺ «فمن أعدى الأول» ورواه مسلم من طريق آخر بنحوه[2].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثني محمدُ بنُ بشار حدَّثنا محمد بن جعفر حدَّثنا شعبة قال: سمعت قتادةَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبيّ ﷺ قال «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال كلمة طيبة» ورواه مسلم[3].

---

(١) والعدوى التي نفاها الشرع هو اعتقاد أنّ المرض يخلق نفسه بطبيعته دون خلق الله له. والمرض مخلوق وتأثيره بإذن الله تعالى. وأما انتقال المرض من المريض إلى الصحيح فهو حقيقة والشرع مؤيد لها كما سيأتي من النهي الشرعي بعدم ورود الصحيح على المريض وهذه العدوى هي بإذن الله تعالى وأمره لا كما يعتقد الملحدون.

(٢) البخاري (١٠/٢٤١) في الطب، باب لا هامة، وباب لا صفر وباب لا عدوى، ومسلم (٤/١١٤٧/ح ٢٢٢٠) في السلام، باب لا عدوى ولا طير.

(٣) البخاري (١٠/٢١٤) في الطب، باب في الفأل، وفي (٢٤٤) باب لا عدوى، ومسلم (٤/١٧٤٦/ح ٢٢٢٤) في السلام، باب الطيرة والفأل.

ولهما من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر»، هذا لفظ البخاري[1].

والأحاديث في نفي العدوى كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرهما، ولا يعارض ذلك حديث «لا يورد ممرض على مصح، وحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وكلاهما في الصحيح متصلاً بحديث «لا عَدْوى ولا طيرة»، فإنَّ البخاري رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال «لا عدوى». قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النَّبيّ ﷺ قال «لا توردوا الممرض على المصح»[2].

وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدَّثنا سليم بن حيان حدَّثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول: قال النَّبيّ ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفَر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»[3].

## الجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن ايراد الممرض على المصح

**والجمع بن نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما في معناها من ثلاثة أوجه كلها نفي العدوى فيها على إطلاقه.**

**الوجه الأول:** أنَّهُ ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى

---

(١) البخاري (١٠/٢١٥) في الطب، باب لا هامة، ومسلم (٤/١٧٤٧/ح ٢٢٢٠) في السلام، باب لا عدوى ولا طيرة. والصفر: هو داء البطن.

(٢) البخاري (١٠/٢٤٣) في الطب، باب لا عدوى. ومسلم (٤/١٧٤٣/ح ٢٢٢١) في السلام، باب لا عدوى.

(٣) البخاري (١٠/١٥٨) في الطب، باب الجذام.

التي نفاها رسولُ اللهِ ﷺ فيقع في الحرج، فأمر ﷺ بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسماً للمادَّةِ وسدّاً للذريعة لا إثباتاً للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ «فمن أَعْدَى الأول» يعني أنَّ الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أنَّ ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسدٍ إلى آخر.

**الوجه الثاني**: أنَّ نهيه ﷺ عن المخالطة لأنَّها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالاً بطبعها، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإنْ شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاءِ الله تعالى وقدره، وإنْ شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئاً، ومن قوي إيمانُهُ وكمل توكله وثقته بالله، وشاهد مصير الأمور كلها إلى ربِّ الأرباب ومسبب الأسباب كما أنَّ مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبية وهمته علية وقلبه ممتلىء بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها. والدليل على ذلك ما روى أبو داود رحمه الله تعالى حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شيبة حدَّثنا يونس بن محمد حدَّثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال «كل ثقة بالله وتوكل عليه»[1]. ففي أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التي خلقها الله عز وجل وفي أكله ﷺ معه تعليم لنا بأنَّ الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له.

**الوجه الثالث**: أنَّ النفوسَ تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جدّاً لا سيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن

---

(١) أبو داود (٤/٢٠/ح ٣٩٢٥) في الطب، باب في الطيرة، والترمذي (٤/٢٦٦/ح ١٨١٧) في الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، وابن ماجة (٢/١١٧٢/ح ٣٥٤٢) في الطب، باب الجذام. والحديث ضعيف: فيه مفضل بن فضالة وهو ضعيف.

الله في سقمها قضاء مِنَ الله وقدراً لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقدهُ أَهْلُ الجاهلية، والدليل على هذا ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا مخلد بن خالد وعباس العنبري قالا حدَّثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبدالله بن بحير قال: أخبرني من سمع فروة بن مسيك قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ أرض عندنا يقال لها أرض أبين هي أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة ـ أو قال وباؤها شديد ـ فقال النَّبيّ ﷺ «دعها عَنْكَ فإنَّ من القرف التلف»[1] والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض، والتلف بوزنه هو الهلاك يعني أنَّه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لا سيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف/٦٤).

فإذا تبيَّن لك هذا الجمع بين نفي العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء، تبين لك الجمع بينها وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح، فإنه إذا كان ﷺ قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى، فإنَّ العلل التي قدمنا أنَّها من سبب النهي عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة في إيراد الممرض على المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك الممرض وربَّما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغير ذلك. والمقصود أنَّ نفي العدوى مطلق على عمومه، وفيه إفراد الله سبحانه وتعالى بالتصرف في خلقه، وأنَّه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، ولا راد لقضائه ولا معقِّبَ لحكمه، ولا مغالب له في شيء من خلقه وأمره، وفي ذلك تقوية لقلوب المؤمنين، وإمداد لهم بقوَّةِ التوكل وصحة اليقين، وحجة لهم على المشركين وسائر المعاندين، وليس في الأمر بمجانبة البلاء ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاة ولا مناقضة. بل ذلك مع الثقة باللهِ والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقي الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والإلتجاء مِنَ اللهِ إليه،

---

(١) أبو داود (٤/١٩ ـ ٢٠/ح ٣٩٢٣) في الطب، باب في الطيرة. وأحمد (٣/٤٥١). وسنده ضعيف: فيه رجل مبهم. ويحيى بن عبد الله بن بحير لا يعرف.

وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السَّبب، وليس التوكل بترك الأسباب، بل التوكل مِنَ الأسباب، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها، كما أَنَّ من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقاً وخوفاً وارتياباً وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلاً على اللهِ بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب، فكما لا يكون المرتاب متوكلاً بمجرد تركه الأسباب، كذلك لا يكون الموحِّدُ تاركاً التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقي المضرة وحرصه على ما ينفعه، فإنَّما الشأن فيما وقر في القلوب وسكنَتْ إليه النفوس، والتوفيق بيدِ اللهِ، والمعصومُ من عصمهُ اللهُ تعالى.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بِها الطاعون وعن الخروج منها فراراً منه، فإنَّ في القدوم عليه تعرُّضاً للبلاء، وإلقاء بالأيدي إلى التهلكة وتسبباً للأمور التي أجرى الله تعالى العادة بمضرتها. وفي الفرار منه تسخُّط لقضاءِ الله عز وجل وارتياب في قدره وسوء ظنٍّ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، فأَيْن المهرب من الله وإلى أين المفر، لا ملجأ من الله إلا إليه، كما روى مالك في موطئه عن ابن شهابٍ عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن عباس أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراءُ الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أَنَّ الوباء قد وقع بأرضِ الشام، قال ابنُ عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أَنَّ الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجتَ لأمرٍ ولا نرى أَنْ ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقيةُ الناس وأصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ولا نرى أَنْ تقدمهم على هذا الوباء. فقال عمر: ارتفعوا عَنِّي، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا مِنْ مشيخة قريش مِنْ مهاجرة الفتح، فدعوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أَنْ ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إنِّي مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفراراً مِنْ قدر الله؟ فقال عمر: لَوْ غيرك

قالها يا أبا عبيدة، نعم. نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أَلَيْس إنْ رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإنْ رعيتَ الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً في بعض حاجته فقال: إنَّ عندي من هذا علماً، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرْض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» قال فحمد الله عمر ثم انصرف. وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه[1].

وقوله ﷺ «فلا تخرجوا فراراً منه» تقييد للنهي بخروج لقصد الفرار، فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيّد ﷺ الشهادة به للماكث ببلده، بما إذا كان صابراً محتسباً صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلماً لقضاء الله عز وجل، كما قال البخاريُّ رحمه الله تعالى: بابُ أَجْر الصابر في الطاعون. حدَّثنا إسحاق أخبرنا حبان حدَّثنا داود بن أبي الفرات حدَّثنا عبدالله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النَّبيّ ﷺ ورضي الله عنها أَنَّها أخبرتنا أَنَّها سألتْ رسولَ اللهِ ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبيُّ اللهِ ﷺ «أَنَّه كان عذاباً يبعثه الله على مَنْ يشاء، فجعله الله تعالى رحمةً للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكثُ في بلده صابراً يعلم أَنَّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له إلّا كان لهُ مثل أجر الشهيد»[2]. فخرج بهذه الأوصاف من مَكَثَ في أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه لعموم النهي وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه، وإنْ خرج فراراً منه فهي معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله وعلى هذا يحمل حديث أنس عند البخاري أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «الطاعونُ شهادةٌ

---

(١) مالك في الموطأ (٢/٨٩٤ ـ ٨٩٦) في الجامع، باب ما جاء في الطاعون، والبخاري (١٠/١٧٨ ـ ١٧٩) في الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم (٤/١٧٤٠/ح ٢٢١٩) في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة.

(٢) البخاري (١٠/١٩٢) في الطب، باب أجر الصابر على الطاعون، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي القدر، باب (قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا).

لكلِّ مسلمٍ»[1] فإنَّ مفهوم الحديث الأول أَنَّ مَنْ لم يتَّصِفْ بالصِّفات المذكورة لا يكونُ شهيداً وذلك لضعف يقينه، وقد يقال هو شهيد في الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات، كما أَنَّ شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة. والله تبارك وتعالى أعلم.

## الكلام على الطيرة والتطير والغول

**وأما الطِّيَرَةُ** فهي: ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها. وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا إنَّها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأَعورِ أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صدَّهُ ذلك عنها ورجع معتقداً عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع مِمَّنْ هذه صفته إذا جاءهُ أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهة له. وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيراً قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أَنَّه لا يجد خيراً، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحاً ولا يعمل فيها عملاً مهماً ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات. وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعمون أَنَّ هناك فلكا دَوَّاراً يكون كل يوم أو ليلة في جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة في الوقت الذي يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيراً ولا يأمن شراً، وهم في ذلك كاذبون مفترون قبَّحهم الله

---

(١) البخاري (١٠/١٧٨) في الطب، باب ما يذكر في الطاعون وفي الجهاد، باب الشهادة سبع سوى القتل، ومسلم (٣/١٥٢٢/ح ١٩١٦) في الامارة، باب بيان الشهداء.

ولعنهم، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنَّها معلمةٌ بشرٍّ، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإنْ تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإنْ تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنَّه رجس من عمل الشيطان، وهذا وما شاكله كثير منه كان في الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم؛ أرداهم الله وألحقهم به آمين.

قال الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، أَلَا إِنَّ طَائِرَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف/١٣١)، وقال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ، قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ، قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ (النمل/٤٥ ـ ٤٧)، وقال تعالى في قصة الثلاثة رسل عيسى ﴿**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ، قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**﴾ (يس/١٦ ـ ١٨) قال مجاهد في قوله تعالى ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ**﴾ قالوا: العافية والرخاء نحن أحق بها ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ قال بلاء وعقوبة ﴿**يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى**﴾ قال: يتشاءموا به.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ**﴾ (الأعراف/١٣١) قال الأمر مِنْ قِبَلِ اللهِ. وقال رضي الله عنه في قوله ﴿**طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ**﴾ (النحل/٤٧) قال: الشؤم أتاكم مِنْ عندِ اللهِ لكفركم، وتقدم ذكر الطيرة ونفيها في الأحاديث السابقة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثني عبدالله بن محمد حدَّثنا عثمان بن

عمر حدَّثنا يونس عن الزهري عن سالم عَن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لا عَدْوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأةِ والدَّارِ والدابة»[1]. **والشُّؤم** ضد اليمن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك. وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإنَّ ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أَنَّها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أَنَّه إنْ كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنَّه إنْ يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أَنَّ لها نجما لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره، وذلك مِنْ وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، قال الله تعالى ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ**﴾ (**الأنعام/١٢١**)، وقال تعالى ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (**الأعراف/٢٧**).

حتى إنَّ رجلاً في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذمَّ المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له: إنِّي أُرِيدُ أَنْ أنكح امرأة، ما ترى فيها هل هي سعد لي أو نحس عليَّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعها فإنَّك إنْ أخذتها لا تبلى معها ثوباً، يعني يموت سريعاً لا تطول معها صحبته، وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها. ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم.

---

(١) البخاري (١٠/٢١٢) في الطب، باب الطيرة، وباب لا عدوى وفي البيوع، باب شراء الإبل الهيم، وفي الجهاد، باب ما يذكر من شؤم الفرس، وفي النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ومسلم (٤/١٧٤٧/ح ٢٢٢٥) في السلام، باب الطيرة والفأل.

والمقصود أَنَّ الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة. يسمعها أحدكم»[1].

قال حدَّثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصَّالح الكلمة الحسنة»[2].

قلت ومن ذلك قوله ﷺ يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال «سَهَّلَ اللهُ أَمْرَكُمْ»[3] الحديث وما شاكله.

**ومن شرط الفأل** أَنْ لا يعتمد عليه وأَنْ لا يكون مقصوداً، بل أَنْ يتفق للانسان ذلك مِنْ غير أَنْ يكون له على بال. ومن البِدَعِ الذميمةِ والمحدثاتِ الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف فإنَّه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً، ساءَ ما يعملون. وما أدري كيف حال مَنْ فتح على قوله تعالى ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (المائدة/٧٨)، وقوله ﴿**وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾ (النساء/٩٣) وأمثال هذه الآيات. ويروى أَنَّ أَوَّل من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأَنَّه تفاءلَ يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ (ابراهيم/١٥) الآيات فيقال إِنَّه أَحرق المصحف غضباً من ذلك وقال أبياتاً لا نسود بها الأوراق. والمقصود أَنَّ هذه بدعة قبيحة، والفأْلُ إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[4]،

---

(١) البخاري (١٠/٢١٢) في الطب، باب الطيرة وقد تقدم قبل قليل من غير هذا الطريق.

(٢) البخاري (١٠/٢١٤) في الطب، باب الفأل. وقد تقدم قبل قليل. وذكر رواياته.

(٣) البخاري (٥/٣٢٩) في الشروط، باب الشروط في الجهاد.

(٤) أحمد (١/٢١٣) وسنده ضعيف فيه مسلمة الجهني قال الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن). ورواه عن الفضل ولم يدركه.

وروى في كفارتها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وقفه «مَنْ ردَّتْهُ الطِّيرة عَنْ حاجته فقد أَشْرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أَنْ تقول: اللهم لا خير إلّا خيرُك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك»[1].

وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال «الطيرة شرك» ثلاثاً «وما منَّا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل»[2] وقوله «وما منّا إلا» الخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذي رحمه الله في روايته عن المرفوع حيث قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث «وما منا إلّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» كلّ هذا عندي قول عبدالله بن مسعود[3]. وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة قالا حدَّثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر (قال أحمد: القرشي) قال ذُكرت الطِّيَرَةَ عند رسول الله ﷺ فقال «أحسنها الفأل ولا تَرُدُّ مسلماً. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أَنْتَ، ولا يدفع السيئات إلا أَنْتَ ولا حول ولا قوة إلا بك»[4].

**وأما الغول فهي**؛ واحد الغيلان وهي من شَرِّ شياطين الجن وسحرتِهِمْ[5]

---

(١) أحمد (٢/٢٢٠) وابن السني (ح ٢٩٣) من طريق ابن لهيعة وعند ابن السني من رواية ابن وهب عنه فسنده حسن.

(٢) أبو داود (٤/١٧/ح ٣٩١٠) في الطب، باب في الطيرة.
والترمذي (٤/١٦٠ - ١٦١/ح ١٦١٤) في السير، باب ما جاء في الطيرة. وابن ماجة (٢/١١٧٠/ح ٣٥٣٨) في الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة. وأحمد (١/٣٨٩ و٤٣٨ و٤٤٠) والبخاري في الأدب المفرد (٢/٣٦٧/ح ٩٠٩ - فضل الله الصمد) والطحاوي وابن حبان (٧/٦٤٢ - إحسان) والحاكم في المستدرك (١/١٧ - ١٨). والحديث قد تقدم.

(٣) الترمذي (٤/١٦١).

(٤) أبو داود (٤/١٨ - ١٩/ح ٣٩١٩) في الطب، باب في الطيرة. وعروة بن عامر لا صحبة له تصح. ورواية حبيب عنه منقطعة. فسنده ضعيف. وهو حديث صحيح يشهد له ما تقدم.

(٥) قال عمر رضي الله عنه: «إنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له ولكن فيهم سحرة من سحرتكم». رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/١٦٢) وسنده صحيح. وهذا هو القول الفصل في الغيلان وأنها سحرة الجن فكما أن في البشر سحرة كذلك في الجن من يتمتع بتلعبه في الإنس بسحره. نعوذ بالله منهم. وانظر فتح الباري (٦/٣٤٢).

والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضُرِّ والنَّفْعِ، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ (الجن/٦) زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشراً وطغياناً، وزادتهم الجن إخافة وخبلاً وكفراناً. وكان أَحَدُهم إذا نزل وادياً قال: أعوذُ بِسَيِّدِ هذا الوادي من سفهائه فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه، فيقول: يا صاحب الوادي، جارك أو نحو ذلك. فيسمع منادياً ينادي ذلك المعتدي أَنْ اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك[1]. فأبطل الله تعالى ورسولُهُ ﷺ ذلك ونفى أَنْ يضروا أحداً إلَّا بإِذْنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبَّارِ السموات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر، فقال الله تبارك وتعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ (المؤمنون/٩٧)، وقال تعالى ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ (الأعراف/٢٠٠)، وقال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ (الفلق/١) إلى آخر السورة، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس/١) إلى آخر السورة. وغيرها من الآيات. وقال رسولُ اللهِ ﷺ في هاتين السورتين «ما سأَل سائلٌ بمثلها ولا استعاذَ مستعيذٌ بمثلها»[2]، وقال ﷺ «مَنْ نَزَلَ منزلاً فقال: أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»[3] وهو في الصحيح. وفي بعض الأحاديث «إذا تَغَوَّلَتِ الغيلانُ فبادروا بالأَذانِ»[4] وفي الحديث الصحيح

---

(١) انظر ابن كثير (٤/٤٥٧).

(٢) رواه النسائي (٨/٢٥٠ ـ ٢٥٢) في الاستعاذة في فاتحته. والدارمي (٢/٤٦٢) في فضائل القرآن باب في فضل المعوذتين.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٨٠/ح ٢٧٠٨) في الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (١١/١٥٦) وأحمد (٣/٣٠٥ و٣٨١ ـ ٣٨٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٩٥٥) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ح ٥٢٤) من حديث جابر رضي الله عنه. وفي سنده إرسال الحسن عن جابر فإنه لم يسمع منه. ورواه البزار (كشف الأستار ٤/٣٤) وابن عدي في الكامل (٥/١٧٦٠). من حديث سعد بن أبي وقاص. وفي سنده إرسال الحسن عن سعد فإنه لم =

«إنَّ الشَّيطانَ إذا سمع النداء أَدْبَرَ وله ضُراط ـ وفي لفظ حصاص»[1] وأحاديث الاستعاذة والأذكار في طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة في مواضعها من كتب السنة، وأمَّا قول مَنْ قال إنَّ المراد في الحديث نفي وجود الغيلان مطلقاً فليس بشيءٍ لأنَّ ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة في زمن النَّبيّ ﷺ وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم. والله أعلم.

**وأما الهامة والصفر**: فقالوا أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمَّدُ بنُ المصفى حدَّثنا بقية قال: قلت لمحمد ـ يعني ابن راشد ـ قوله «هام» قال: كانت الجاهلية تقول: لَيْسَ أحدٌ يموت فيدفن إلا خرج مِنْ قبره هامة. قلت فقوله «صَفَر» قال: سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصَفَر، فقال النَّبيّ ﷺ «لا صَفَر» قال محمد: وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ في البطن، فكانوا يقولون هو يعدي فقال «لا صفر»[2]، وقال رحمه الله: حدَّثنا يحيى بن خلف حدَّثنا أبو عاصم حدَّثنا ابن جريج عن عطاء قال: يقول الناس الصفر وجع يأخذ في البطن. قلت فما الهامة؟ قال يقول الناس: الهامة التي تصرخ هامة النَّاس، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابة[3]. وقال رحمه الله: قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهدٌ أخبركم أشهب قال: سئل مالك عن قوله «لا صَفَر» قال: إنَّ أَهْل الجاهلية كانوا يحلِّون صَفَر، يحلِّونه عاماً ويحرِّمونَهُ عاماً، فقال النَّبيّ ﷺ «لا صَفَر»[4].

---

= يسمع منه. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة (المجمع ١٠/١٣٧) وفي سنده عدي بن الفضل وهو متروك. ورواه ابن عدي (٥/١٦٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي سنده عمر بن صبح وهو واهٍ. فالحديث تطمئن النفس له وتميل إلى قبوله. وقد صح موقوفاً من قول عمر كما تقدم.

(١) البخاري (٢/٨٤ ـ ٨٥) في الأذان، باب فضل التأذين، وفي العمل في الصلاة، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة، وفي السهو، باب إذا لم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً سجد سجدتين وهو ساجد، وفي بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، ومسلم (١/٢٩١/ح ٣٨٩) في الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، وفي المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له.

(٢) أبو داود (٤/١٨/ح ٣٩١٥) في الطب، باب في الطيرة.

(٣) أبو داود (٤/١٨/ح ٣٩١٨) في الطب، باب في الطيرة.

(٤) أبو داود (٤/١٧ ـ ١٨/ح ٣٩١٤) في الطب، باب في الطيرة.

قلت وكل هذه المعاني لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث. ولله الحمد والمنة.

## مرتبة الاحسان

وثـالـثٌ مـرتبـةُ الإحسـان وتلك أعـلاهـا لـدى الـرَّحمنِ
وهي رسوخُ القلبِ في العرفانِ حتَّى يكـون الغيب كـالعيـانِ

هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة في حديث جبريل المتقدم وهي أعلى مراتب الدين وأعظمها خطراً وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقربون في علو الدرجات.

وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة والاحسان هو تحسين الظاهر والباطن، وأمَّا عند الاطلاق فكل منها يشمل دين الله كله، وقد جاء الاحسانُ في القرآن في مواضع كثيرة، تارة مقترناً بالإيمانِ، وتارة بالتقوى، وتارة بهما معاً، وتارة بالجهاد، وتارة بالإسلام، وتارة بالعمل الصالح مطلقاً. قال الله تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة/٩٣)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل/١٢٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف/٣٠)، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت/٦٩)، وقال تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/١١٢)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان/٢٢).

وتارة بالإنفاق في سبيل الله وهو من الجهاد كقوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ

﴿اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة/١٩٥).

وقد فسره النَّبيّ ﷺ تفسيراً لا يستطيعه من المخلوقين أحدٌ غيره ﷺ لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكَلِمِ فقال ﷺ «الإحسانُ أَنْ تعبُد الله كأَنَّك تراهُ فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّه يراك»[1] أخبر ﷺ أَنَّ مرتبة الإحسان على درجتين، **وأَنَّ للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:**

**المقام الأول** ـ وهو أعلاهما ـ أَنْ تعبد الله كأَنَّك تراهُ، وهذا مقام المشاهدةِ، وهو أَنْ يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عَزَّ وجَلَّ بقلبه، وهو أَنْ يتنوَّرَ القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، فمن عبدالله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأَنَّه بين يديه كأنه يراهُ أَوْجَب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، وفي حديث حارثة المرسل أَنَّ النَّبيّ ﷺ قال له «يا حارثة كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ مؤمناً حَقّاً. قال: انظر ما تقول، فإنَّ لِكُلِّ قول حقيقة. قال: يا رسول الله عزفَتْ نفسي عن الدنيا فأَسْهَرْتُ ليلي وأظمأت نهاري وكأَنِّي أَنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأَنِّي أَنْظُر أهل الجنة في الجنة يتزاورون فيها، وكأَنِّي أَنْظُر إلى أهل النار في النار كيف يتعاوون فيها. قال: أبصرت فالزم» عبدٌ نوَّر الله تعالى بصيرته[2].

**المقام الثاني**: مقام الإخلاص، وهو أَنْ يعمل العبدُ على استحضار مشاهدَةِ الله إياه وإطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأَنَّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٣٨/ح ١١٥) بسند معضل ضعيف وقد رواه البزار من حديث أنس مرفوعاً (كشف الأستار ١/٢٦/ح ٣٢) وفي سنده يوسف بن عطية ولا يحتج به. ورواه الطبراني من حديث الحارث نفسه وسنده سعيف جداً (المعجم الكبير ٣/٢٦٦/ح ٣٣٦٧) والحديث لا يثبت إلّا معضلاً. فهو ضعيف مع نكارة متنه. إذ فيه تزكية النفس وقوله «مؤمناً حقّاً» وهو أمر معلوم النهي عنه إذ الاستثناء في الإيمان هو خلق الصحابة رضي الله عنهم. مع خوفهم من النفاق كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. كما سيأتي من حديث حنظلة بعد قليل.

الله وإرادته بالعمل. وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النَّبيّ ﷺ تعليلاً للأول فقال «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وفي بعض ألفاظ الحديث «فإنك إلا تكن تراه فإنَّه يراك» فإذا تحقق في عبادته بأنَّ الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى عليه شيء من أَمْرِهِ فحينئذٍ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنَّه يراه. وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى في غير ما موضع من القرآن، كما قال تبارك وتعالى ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ، وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (يونس/٦١ - ٦٤) وقال تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/١٨٦) وقال تبارك وتعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمِ﴾ (الشعراء/٢١٧ - ٢٢٠) وغير ذلك من الآيات.

فأولياء الله المتقون المحسنون، هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأفردوه بالعبادة محبة وتذللاً وانقياداً وخوفاً ورجاء ورغبة ورهبة وخشية وخشوعاً ومهابة وتعظيماً وتوكلاً عليه وافتقاراً إليه واستغناء به عما سواه، واتقوه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سِرّاً وعلناً وظاهراً وباطناً قولاً وعملاً واعتقاداً، واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علماً وقدرة ولطفاً وخبرةً بأقوالهمْ ونيَّاتِهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملهم خالصاً لله موافقاً لشرعه مناطاً بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة

من ينظر إلى ربِّهِ، لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم، فطرحوا النفوس بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه والتجأوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبُّوهُ من كُلِّ قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره، فبه يبصرون، وبه يسمعون، وبه يبطشون، وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى وبذكره يذكرون.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا عمرُ بنُ حفص حدَّثنا أبي حدَّثنا الأعمش سمعتُ أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال النَّبيّ ﷺ «يقوُل الله تعالى أنا عِنْد ظن عبدي بي وأنَا معه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خير منهم، وإنْ تقرَّبَ إليَّ شبراً تقربْتُ إليه ذراعاً، وإنْ تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثني محمدُ بنُ عثمان بن كرامة حدَّثنا خالد بن مخلد حدَّثنا سليمانُ بنُ بلال حدَّثني شريكُ بنُ عبدالله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ الله تعالى قال: مَنْ عادي لي وليّاً فقد آذنْتُهُ بالحرب، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أَحَبُّ إلى مما افترضْتُهُ عليه، وما يزال عبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافل حتى أُحِبُّه، فإذا أحببتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يسمعُ بِهِ وبصره الذي يبصر به ويدهُ التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينَّهُ، ولئن عاذ بي لأعيذنَّهُ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[2].

ذكروا الله تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولَّوه ووالوا فيه فتولاَّهم، وعادوا أعداءه لأجله فآذن بالحرب من عاداهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم ﴿لِلَّذِينَ

---

(١) البخاري (١٣/٥١١ ـ ٥١٢) في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم (٤/٢٠٦١/ح ٢٦٧٥) في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) البخاري (١١/٣٤٠ ـ ٣٤١) في الرقاق، باب التواضع. وقد تقدم.

﴿أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يوسف/٢٦) ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانَ﴾ (الرحمن/٦٠) ولما ذكر أهل الجنة وما وعدهم به من النعم وصفهم أنَّ ذلك جزاء إحسانهم فقال ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (الذاريات/١٦)، ثم فسر إحسانَهُم ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات/١٧ ـ ١٩) وقدمنا في الفصل الأول أنَّ الحسنى التي وعد الله عز وجل المحسنين هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النَّبيِّ ﷺ[1]. فلمَّا كانوا يعبدون الله عز وجل في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنَّهم يرونه بقلوبهم وينظرون إليه في حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النَّظر إلى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عيانا بأبصارهم، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال تعالى فيهم ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين/١٥) لما كان حالهم في الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الرَّانُ على قلوبهم حتى حجبت عن معرفتِهِ ومراقبتِهِ في الدنيا فكان جزاؤُهم على ذلك أنْ حُجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول الله عز وجل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم/٣١). ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة/٢٠١).

هذا آخر ما يسر الله تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل، وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين في هذا الحديث، قال: فمَنْ تأمَّل ما أشرنا إليه مما دلّ عليه هذا الحديث العظيم علم أنَّ جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته، وأنَّ جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومُهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دلَّ عليه مجملاً ومفصلاً، فإنَّ الفقهاء إنَّما يتكلمون في العبادات

---

(١) مسلم (١/١٦٣/ح ١٨١) في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى. وقد تقدم بطرقه ورواياته.

التي هي من جملة خصال الإسلام، ويضيفون إلى ذلك الكلام في أحكام الأموال والأبضاع والدماء، وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه، ويبقى كثير من علم الإسلام ـ من الآداب والأخلاق وغير ذلك ـ لا يتكَلَّمُ عليه إلا القليل منهم، ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله. والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التي تدخل في الإيمان أيضاً كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك، فانحصرت العلومُ الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث ورجعت كلها إليه، ففي هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦ ـ ٣٧).

## (فصل)
## ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين:

**الأولى**: كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

**والثانية**: تفاضل أهله فيه.

**والثالثة**: أَنَّ فاسق أهل الملة الإسلامية لا يكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله.

**والرابعة**: أَنَّه لا يخلد في النار.

**والخامسة**: أَنَّه في العقاب وعدمه تحت المشيئة.

**والسادسة**: أَنَّ التوبة في حقِّ كل فرد مقبولة ما لم يغرغر سواء مِنْ كفر أو دونه من أَيِّ ذنب كان.

### ١ ـ الإيمان يزيد وينقص

**إيمانُنا يزيدُ بالطَّاعاتِ ... ونَقْصُه يكونُ بالزلَّاتِ**

**هذه هي المسألة الأولى** من مسائل الفصل، وهي أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامعه: كتاب

الإيمان، بابُ قولِ النَّبيّ ﷺ «بُني الإسلامُ على خمسٍ»، وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح/٤) ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف/١٣) ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾ (مريم/٧٦)، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد/١٧) ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ (المدثر/٣١)، وقوله تعالى ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ (الأحزاب/٢٢)[1].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: بابُ في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ أكْمل المؤمنين إيماناً أحْسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[2] وحديث «يا معْشَر النِّساء تصدقن» الخ وهو في الصحيحين، والشاهد منه قوله ﷺ «ما رأيتُ مِنْ ناقصات عَقْلٍ ودين أغْلب لذوي الألبابِ وذوي الرأْيِ منكُنَّ»[3].

وذكر حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين أيضاً قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «الإيمانُ بضعٌ وسبعون باباً فأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريقِ وأرْفعها قولُ لا إله إلاّ الله». هذا لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظه «بضع وستون» ولمسلم رواية «بضع وسبعون» لكن قالا «شعبةً» بدل «باباً»[4].

وقال النِّسائي: باب زيادة الإيمان[5] ـ وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقاً

---

(١) البخاري (١/٤٥).

(٢) الترمذي (٥/٩/ح ٢٦١٢) في الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه. وابن أبي شيبه في الإيمان (ص ٨/ح ١٩) وفيه إرسال أبي قلابة عن عائشة، وهو حديث حسن لشواهده فقد رواه ابن أبي شيبة (ح ١٧ و١٨ و٢٠). من حديث أبي هريرة بأسانيد حسنة.

(٣) البخاري (٢/٤٤٨) في العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر، وفي الحيض، باب ترك الحائض الصوم، وفي الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، وفي الصوم، باب الحائض تترك الصوم والصلاة،وفي الشهادات،باب شهادة النساء، ومسلم (٢/٦٠٥/ح ٨٨٩) في العيدين في فاتحته.

(٤) الترمذي (٥/١٠/ح ٢٦١٤) في الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان، زيادته ونقصانه، والبخاري (١/٥١) فيه، باب أمور الإيمان والإسلام، ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) فيه، باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٥) النسائي (٨/١١٢).

على تفاضل أهل الإيمان فيه، وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهوماً لا منطوقاً. ومثله حديث أبي سعيد الخدري «رأَيْتُ النَّاسَ وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثدي» الحديث، وفيه «وعرِضَ عليَّ عمرُ بنُ الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أَوَّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: الدِّين»[1] ثم ذكر حديثَ عمر في نزول قوله تعالى ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة/٣) ودلالتها على ذلك منطوقاً، وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى وقال: حدَّثنا الحسنُ بنُ الصباح سمع جعفر ابن عون حدَّثنا أبو العميس قال أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أَنَّ رجلاً من اليهود قال له: يا أميرَ المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾ (المائدة/٣) قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النَّبيِّ ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة[2]. وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة، وساقوا في ذلك أحاديث تتضمنه منطوقاً ومفهوماً.

قال مسلمُ بنُ الحجَّاج رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن يحيى التيمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر ابن سليمان عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأُسَيْدي قال وكانَ من كُتَّابِ رسولِ اللهِ ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أَنْتَ يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلةُ. قال سبحان الله. ما تقول؟ قال قلتُ: نكونُ عند رسولِ اللهِ ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأَنَّا رأى عين، فإذا خرجنا من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ عافسنا الأزواج

---

(١) البخاري (٧/٤٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب وفي الإيمان والتعبير، ومسلم (٤/١٨٥٩/ح ٢٣٩٠) فيه، باب من فضائل عمر، رضي الله عنه. والنسائي (٨/١١٣) في الإيمان، باب زيادة الإيمان.

(٢) البخاري (١/١٠٥) في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه وفي المغازي، باب حجة الوداع، وفي تفسير سورة المائدة، باب (اليوم أكملت لكم دينكم)، وفي الاعتصام في فاتحته، ومسلم (٤/٢٣١٢/ح ٣٠١٧) في أول التفسير، والترمذي (٥/٢٥٠/ح ٣٠٤٣) في التفسير، باب ومن سورة المائدة، والنسائي (٨/١١٤) في الإيمان، باب زيادة الإيمان و(٥/٢٥٠) في الحج، باب ما ذكر في يوم عرفه.

والأولاد الصِّغار، فنسينا كثيراً. قال أبو بكر رضي الله عنه: فواللهِ إنَّا لنلقي مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسولِ اللهِ ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسولَ اللهِ. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلتُ: يا رسولَ اللهِ نكونُ عندك تذكِّرنا بالنَّار والجنَّة حتى كأنَّا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: والذي نفسي بيده أنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكُمُ الملائكة على فُرُشِكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعةً وساعة» ثلاث مرات[1].

حدثني إسحاقُ بنُ منصور أخبرنا عبدُ الصمد سمعت أبي يحدث حدَّثنا سعيدُ الجريري عن أبي عثمان النهديِّ عن حنظلة قال: كُنَّا عند رسولِ اللهِ ﷺ فوعظنا فذكر النَّارَ. قال ثم جئت إلى البيت فضاحكتُ الصبيان ولاعبتُ المرأة. قال فخرجْتُ فلقيت أبا بكر فذكرتُ ذلك له قال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسولُ اللهِ ﷺ، فقلتُ يا رسول الله نافق حنظلة. فقال: مَهْ! فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال: يا حنظلةُ ساعةً وساعةً. ولو كانت تكون قلوبكُمْ كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلِّم عليكُمْ في الطرق[2]. ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار الحديث[3].

وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم، وأنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأنْ ينقص بفعل المعاصي من باب أولى كما سيأتي إنْ شاءِ اللهُ تبارك وتعالى بيانه قريباً.

## ٢ ـ تفاضل أهل الإيمان

**وأَهْلُهُ فيه على تفاضلِ ... هل أَنْتَ كالأملاكِ أو كالرسل**

**هذه هي المسألة الثانية**، وهي تفاضل أهل الإيمان فيه، كما ذكر الله تبارك

---

(١) مسلم (٤/٢١٠٦/ح ٢٧٥٠) في التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة.
(٢) (٣) مسلم (٤/٢١٠٧/ح ٢٧٥٠) في التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة.

وتعالى أقسامهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ (فاطر/٣٢) الآيات.

فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه. وإلى سابق بالخيرات، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق، فبه يسمعونَ وبهِ يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون. **وأَمَّا الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان:**

**أحدهما**: أن المراد به الكافر، فيكون كقول الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعة عند البعث ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً: فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ المَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْئَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة/٧ ـ ١١) إلى آخر الآيات.

وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال عز وجل ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة/٨٨ ـ ٩٤) فإنَّ تفاضل أهل الإيمان في تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين: سابقين مقربين، وأبرار هم أصحاب اليمين. وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق، وإنما الخلاف في الظالم نفسه في آية فاطر.

**والقول الثاني**: أَنَّ المراد به عصاة الموحدين فإنَّهم ظالمون لأنفسهم، ولكن ظلم دون ظلم، لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار، فعلى هذا يكون قسم

ثالث في تفاضل أهل الإيمان. ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى[1]، فإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم، وقد ذَكَرَ الله تبارك وتعالى أَنَّ الرسل متفاضلون فقال ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة/٢٥٣) وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه، وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليف كذلك جعل الجنة التي هي دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها، فقال في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ.، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بِطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الجَنتَيْنِ دَانٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَان، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن/٤٦ ـ ٥٩) إلى آخر السورة. وكذا في سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التي يدخلها السابقون أعظم وأعلى من صفات الجنة التي يدخلها أصحاب اليمين وكذلك في سورة المطففين. قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ، عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين/٢٢ـ ٢٨) وغير ذلك من الآيات.

وقال النَّبيّ ﷺ «جَنَّتان من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بيْنَ القوم وبين أَنْ ينظروا إلى ربِّهم إلّا رداءِ الكبرياءِ على وجهه في جنة عدن»[2].

---

(١) انظر ذلك في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ١٣٥) بتحقيقي.

(٢) البخاري (٨/٦٢٤) في تفسير سورة الرحمن، باب (ومن دونهما جنتان)، وباب (حور مقصورات في الخيام)، وفي بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: =

وأهل الجنة متفاوتون في الدرجات حتى إنهم يتراءون، أهل عليين يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب في الأفق الشرقي أو الغربي، ومتفاوتون في الأزواج ومتفاوتون في الفواكه من المطعوم والمشروب، ومتفاوتون في الفرش والملبوسات، ومتفاوتون في الملك، ومتفاوتون في الحسن والجمال والنور، ومتفاوتون في قربهم من الله عز وجل، ومتفاوتون في تكثير زيارتهم إياه، ومتفاوتون في مقاعدهم يوم المزيد، ومتفاوتون تفاوتاً لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أَنَّ عصاةَ الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم، متفاوتون تفاوتاً بعيداً: متفاوتون في مقدار ما تأخذ منهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود. وكذلك يتفاوتون في مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها، لأنَّهم متفاوتون في الإيمان والتوحيد الذي بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبداً. فيقال للشفعاء أخرجوا مَنْ كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان، ثم مَنْ كان في قلبه وزن برة من إيمان، ثم مَنْ كان في قلبه ذرة من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان، فأين هذا ممن الإيمان في قلبه مثل الجبل العظيم، وأين مَنْ نوره على الصراط كالشمس، ممن نوره على إبهام قدمه ينونص تارة ويطفأ أخرى ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (القلم/٣٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «بينا أنا نائم رأيتُ الناس عرضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعُرِضَ عليّ عُمَرُ وعليه قميص يجره: قالوا: فما أَوَّلته يا رسولَ اللهِ؟ قال: الدين»[1]. وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ

---

= (وجوه يومئذ ناضرة)، ومسلم (١/١٦٣/ح ١٨٠) في الإيمان، باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

ثلاثينَ مِنْ أصحاب النَّبيّ ﷺ كلهم يخاف النِّفاق على نفسه. ما منهم أحدٌ يقول إنَّه على إيمان جبريل وميكائيل[1]. ذكره البخاري تعليقاً مجزوماً به. وقال النَّبيّ ﷺ «ملىءَ عمارُ إيماناً إلى مشاشه»[2] وقال ﷺ «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أَضْعَف الإيمان»[3] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح[4].

وقرأ الفضيل بن عياض[5] رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال/٤) قال حين فرغ: إنَّ هذه الآية تخبرك أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، وأنَّ المؤمن إذا كان مؤمناً حقّاً فهو من أهل الجنَّةِ، فمن لم يشهَدْ أنَّ المؤمن حقّاً من أهلِ الجنة فهو شاكٌ في كتاب اللهِ مكذِّب به، أو جاهل لا يعلم. فمن كان على هذه الصِّفةِ فهو مؤمن حقّاً مستكمل الإيمان، ولا يستكمل الإيمان إلّا بالعمل، ولا يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمناً حقّاً حتى يؤثر دينَهُ على شهوته، ولنْ يهلك عبدٌ حتَّى يؤثر شهوته على دينه. يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول أنا مؤمنٌ حتى

---

(١) البخاري تعليقاً (١/١٠٩) في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. قال الحافظ في الفتح: هذا التعليق وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه، لكن أبهم العدد. وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولاً في كتاب الإيمان له، وعينه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه من وجه آخر مختصراً كما هنا.

(٢) النسائي (٨/١١١) في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان. والحاكم (٣/٣٩٢ ـ ٣٩٣) وابن ماجة (١/٥٢/ح ١٤٧) في المقدمة، باب فضل عمار بن ياسر، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٩) وهو حديث صحيح.

(٣) مسلم (١/٦٩/ح ٤٩) في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة (ح ٦٥٣) بإسناد فيه أيوب بن سويد الرملي وهو ضعيف جداً وتابعه ابن المبارك عند أبي خيثمة في فضائل أبي بكر (ص ١٣٣) والبيهقي في الشعب (١: ٢٥ ـ ٢٦) وأبو عثمان الصابوني في عقائد السلف (ح ١١٠) فإسناده صحيح. ورواه عبد الله في السنة (ح ٨٢٣) بإسناد حسن.
ورواه معاذ في زيادات مسند مسدد والحكيم وحسنه في فضائل الصحابة ورسته في الإيمان (كنز العمال ح ٣٥٦١٤).

(٥) من هنا: من كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله تعالى (ح ٨١٨).

تقول أنا مؤمن حقّاً مستكمل الإيمان؟ والله لا تكون مؤمناً حقّاً مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض الله عليك وتجتنب ما حرَّمَ الله عليك وترضى بما قسم الله لك ثم تخاف مع هذا أَنْ لا يقبل الله منك.

ووصف فُضَيْلٌ الإيمانَ بأَنَّه قول وعمل، وقرأ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البنية/٥) فقد سمَّى الله تعالى دينَ القيمة بالقول والعمل، فالقول الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي ﷺ، والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم، وقرأ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾ (مريم/٥٥) وقال ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ (الشورى/١٣) فالدين التصديق بالعمل كما وصفه الله تعالى، وكما أمر أنبياءَهُ ورسلَهُ بإقامته. والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل، قال الله تبارك وتعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة/١١) فالتوبة من الشرك جعلها الله تعالى قولاً وعملاً بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وقال أصحابُ الرَّأي: ليس الصلاةُ ولا الزكاةُ ولا شيء من الفرائض من الإيمان، افتراءً على اللهِ وخلافاً لكتابه وسنَّةِ نبيِّهِ، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة.

وقال فُضَيْلٌ: يقولُ أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل، والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان. قال: فمن قال ذلك فقد خالف الأثر، ورَدَّ على رسولِ اللهِ ﷺ قوله، لأَنَّ رسولَ الله ﷺ قال «الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1] وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقول إنَّ فرائض

(١) تقدم مراراً.

الله ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا إنَّ فرائض الله ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أنْ يكون جاحداً للفرائض رادّاً على اللهِ أمره.

ويقول أَهْلُ السُّنَّةِ: إنَّ الله تعالى قرَّرَ العمل بالإيمان وإنَّ فرائض اللهِ من الإيمانِ. قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (العنكبوت/٧) فهذا موصول العمل بالإيمان.

ويقول أهل الارجاء: لا ولكنَّه مقطوع غير موصول.

وقال أَهل السنَّةِ: قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (النساء/١٢٤) فهذا موصول، وأهل الأرجاء يقولون بل هُوَ مقطوع، وقال أَهل السنَّة: قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (الإسراء/١٩) فهذا موصول، وكل شيءٍ في القرآن من أشباه هذا فأهل السنة يقولون: هو موصول مجتمع، وأهل الأرجاء يقولون: بل هو مقطوع متفرق. ولو كان الأَمرُ كما يقولون كان مَنْ عصى وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون.

وقال فضيلُ: أَصلُ الإيمان عندنا وفرعه ـ بعد الشهادة لله بالتوحيد، والشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض ـ صدق الحديث، وحفظ الأمانة وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، وصلة الرَّحْمِ، والنصيحة لجميع المسلمين، والرحمة للناس عامة.

قيل له ـ يعني فضيلاً ـ هذا من رأيك تقوله أو سمعته؟ قال: بل سمعناه وتعلَّمناه. ولو لم آخذه مِنْ أهل الفقهِ والفضل لم أتكلم به. وقال فضيل: يقول أهل الإرجاء: الإيمانُ قولٌ بلا عمل، ويقول الجهمية: الإيمانُ المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل. فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالوثيقة. ومَنْ قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر، لأَنَّه لا

يدري أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه. وقال يعني فضيلاً: قد بيَّنْتُ لك إلا أَنْ تكون أعمى.

وقال فضيل: لو قال لي رجلٌ: مؤمِنٌ أنت؟ ما كلمته ما عشت. وقال: إذا قلت آمنتُ بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن. وإذا قلت أنا مؤمن لا يجزيك من أَنْ تقول آمنْتُ باللهِ، لأَنَّ آمنتُ باللهِ أَمْرٌ. قال الله تعالى ﴿قُولُو آمَنَّا بِاللهِ﴾ (البقرة/١٣٦) الآية، وقولك أنا مؤمنٌ تكلف لا يضرك أَنْ لا تقوله ولا بأس إنْ قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية.

وقال فضيلُ سمعت الثوري يقول: مَنْ صَلَّى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار في المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنُّسك. ولهم ذنوبٌ وخطايا اللهُ حسبهم، إنْ شاءَ عذَّبهُم وإنْ شاء غفر لهم، لا ندري ما لهم عند الله عز وجل.

وقال فضيل سمعتُ المغيرة الضبي يقول: مَنْ شكَّ في دينه فهو كافر وأنا مؤمن إنْ شاءَ اللهُ.

قال فضيل: الاستثناء ليس بشك. وقال فضيل: المرجئة كُلَّما سمعوا حديثاً فيه تخويف قالوا: هذا تهديد. وإنَّ المؤمنَ يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده، وإنَّ المنافق لا يخاف تهديد الله ولا تحذيره ولا تخويفه ولا وعيده ولا يرجو وعده.

وقال فضيل: الأعمال تحبطُ الأعمال، والأعمال تحول دون الأعمال.

قال عبد الله قال أبي: أخبرتُ عن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (البقرة/٢٦٩) قال: الفقه والعلم. اهـ من كتاب السنة[1].

وفيه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال «القلوبُ أربعة: قلبٌ أجرد كأَنَّما

---

(١) السنة لعبد الله (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٧).

فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن. وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر. وقلبٌ مصفح، فذلك قلب المنافق. وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماءٌ طيِّب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلبه»[1] اهـ. وهذا الموقوف قد روى مرفوعاً إلى النَّبيّ ﷺ بإسناد جيد حسن، فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو النضر حدَّثنا أبو معاوية حدَّثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «القلوبُ أربعة: قلبٌ أجْرد فيه مثل السراج يُزهر، وقلبٌ أغلف مربوطٌ على غلافه. وقلب منكوس. وقلب مصفح. فأمَّا القلبُ الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأمَّا القلبُ الأغلف فقلبُ الكافر. وأمَّا القلبُ المنكوس فقلبُ المنافق عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلبٌ فيه إيمان ونفاق. ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمُدُّها الدم والقيح، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»[2].

والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين في هذا الباب أكثر من أنْ تحصر وأشهر من أنْ تذكر. والمقصود بيان أن النَّاس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل. وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد. وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذي خلقهم ورزقهم. وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة، بل واللهِ يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آنٍ واحد وفي مكان واحد، فإنَّ الجماعة في الصلاة صافون كلهم في رأي العين، مستوون في القيام والركوع والسجود، والخفض والرفع، والتكبير والتحميد، والتسبيح والتهليل، والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات، في مسجدٍ واحدٍ ووقت واحد وخلف إمام واحد، وبينهم من التفاوت

---

(١) السنة (ح ٨٢٠) وابن أبي شيبة في الإيمان (ص ١٧/ح ٥٤) وهو صحيح.

(٢) أحمد (٣/١٧) وابن بطة في الكبرى رقم (٩١٥) والطبراني في الصغير (٢/ ١١٠) وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وقد خالف فيه فرفعه.

والتفاضل ما لا يحصى: فهذا قرة عينه في الصلاة يود إطالتها ما دام عمره، وآخر يرى نفسه في أضيق سجن يود انقضاءها في أسرع من طرفة عين، أو يود الخروج منها، بل يتندم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنَّه يشاهده، وآخر قلبه في الفلوات، قد تشعبت به الضيعات وتَفَرَّقَتْ به الطرقات حتى لا يدري ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى. وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السموات إلى عرش الرحمن عز وجل. وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة، وهذا يخرج منها وما كتب له إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب له منها شيء. وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر. هذا والناظر إليهم يراهم مستوين في فعلها، ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا الله الرقيب على كلِّ نفس بما كسبت الذي أحاط بكل شيءٍ علماً لا تخفى عليه خافية، وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدوًّا واحداً على دين واحد متساوين ظاهراً في القوى والعدد، فهذا يقاتل حمية وعصبية، وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه، وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره، وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وذا هو المجاهد في سبيل الله لا لغيره. وهذا هو الذي يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح. وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أعمال الإيمان، الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر في قلوبهم من العلم واليقين. وعلى ذلك يموتون، وعليه يبعثون، وعلى قدره يقفون في عرق الموقف، وعلى ذلك الوزن والصحف. وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط. وبحسب ذلك يمرون عليه. ومن يبطّأ به عمله لم يسرع به نسبه. وبذلك يتسابقون في دخول الجنة. وعلى حسبه رفع درجاتهم. وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد. وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم، والله يختص برحمته من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.

## ٣ ـ فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان

والفـاسِقُ المِلِّيُّ ذو العصيـانِ لم ينف عنـه مـطلق الإيمـان
لكن بقـدر الفِسْقِ والمعـاصي إيمـانُـهُ مـا زال في انتقـاصِ

**هذه هي المسألة الثالثة**. وهي أن فاسق أهل القبلة لا ينفي عنه مطلق الإيمان بفسوقه. ولا يوصف بالإيمان التام. ولكن هو مؤمنٌ ناقص الإيمان. أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. فلا يعطي الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم. والمراد بالفسق هنا هو الأصغر. وهو عمل الذنوب الكبائر التي سَمَّاها اللهُ ورسولُهُ فسقاً وكفراً وظلماً مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها. فإنَّ الله تعالى سمَّى الكاذب فاسقاً فقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ (الحجرات/٦) ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقاً ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه. وكذلك قال النَّبيّ ﷺ «سِباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1]. وقال ﷺ «لا تَرْجعوا بعدي كُفَّاراً يضرِبُ بعضُكم رقاب بعض»[2] الحديث وغيره.

وقد استبَّ كثيرٌ مِنَ الصَّحابة على عهده ومن حضوره. فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين. وقال الله سبحانه ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخرى فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾ (الحجرات/٩). فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين

---

(١) البخاري (١٣/٢٦) في الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، وفي الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن. ومسلم (١/٨١/ح ٦٤) في الإيمان، باب قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

(٢) البخاري (١٣/٢٦) في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي الحدود، باب ظهر المؤمن حمى، وفي الديات، باب قول الله تعالى: (ومَنْ أحياها)، وفي الحج باب الخطبة أيام منى، وفي المغازي، باب حجة الوداع، وفي الأدب. ومسلم (١/٦٥ ـ ٦٦/ح ٦٦) في الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

المقتتلتين مؤمنة وأمرَ بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية. ثم قال ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات/٩) ثم لم ينف عنهم الأخوَّة أخوَّة الإيمان لا فيما بين المقتتلين، ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقاً فقال عز وجل ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات/١٠).

وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوّة الإيمان فقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى. الحَرُّ بِالحَرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى. فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة/١٧٨) وكذلك الذين قال لهم النَّبيّ ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[1]» سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال في صفة الخوارج «وتمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أَولى الطَّائفتين بالحق»[2].

ومعلوم أَنَّ أصحاب علي بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما وقد اقتتلا قتالاً عظيماً، فسمى الجميع مسلمين، وقال ﷺ في سبطه الحسن بن علي «إِنَّ ابني هذا سيِّدٌ، وسيصلح الله تعالى بِهِ بين فرقتين عظيمتين من المسلمين[3]، فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنهما في عام الجماعة، ولله الحمد والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أَحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كل فسق يكون كُفْراً، ولا كل ما سمي كفراً وظلماً يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، **وذلك لأَنَّ كلاً من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:**

(١) تقدم ذكره.

(٢) مسلم (٢/٧٤٥/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٣) البخاري (٧/٩٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، وفي الصلح وفي الأنبياء وفي العتق.

أكبر يخرج من المالة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

وأصغر ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه منه.

فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق. ونفاق دون نفاق.

قال الله تعالى في بيان الكفر ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٣٤) وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ (النساء/١٦٧).

وقال النَّبيّ ﷺ في بيان الكفر الأصغر «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1].

وقال الله تعالى في الظلم الأكبر ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) وقال في الظلم الأصغر ﴿وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودِ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ (الطلاق/١) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (النساء/١٠).

وقال في الفسوق الأكبر ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف/٥٠)، وقال تعالى ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

وقال تعالى في النفاق الأكبر ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٨)، وقال ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء/١٤٥).

وقال النَّبيّ ﷺ في النفاق الأصغر «أربعٌ مَنْ كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة مِنَ النِّفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب،

---

(١) تقدم ذكره.

وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1].

فهذه الخصال كلها نفاقٌ عملي لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادي المتقدم.

وما تمسَّك به الخوارجُ والمعتزلةُ وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامُهُمُ الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فقالت الخوارج: المصِرُّ على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولو أَقَرَّ لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلَّى وصام وزكى وحج وجاهد وهو مخلد في النار أبداً مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون.

وقالت المعتزلة: العصاةُ ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكنْ نسميهم فاسقين. فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين. ولكنَّهم لم يحكموا له بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين. بل قضوا بتخليده في النار أبداً كالذين قبلهم، فوافقوا الخوارج مآلاً وخالفوهم مقالاً، وكان الكل مخطئين ضلَّالاً.

وقابل ذلك المرجئة فقالوا: لا تضرّ المعاصي مع الإيمان لا بنقص ولا منافاة، ولا يدخل النار أحدٌ بذنبٍ دون الكفر بالكلية. ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبي بكر وعمر، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذا الكل مستوفى النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم في بحث الإيمان. نسأَلُ الله تعالى العافية.

---

(١) البخاري (١/٨٩) في الإيمان، باب علامة المنافق، وفي المظالم، باب إذا خاصم فجر، وفي الجهاد، باب إثم من عاهد ثم غدر، ومسلم (١/٧٨/ح ٥٨) في الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

## ٤ ـ العاصي لا يخلد في النار وأمره إلى الله

**ولا نقــولُ إنَّــهُ في النَّــار ... مخلد بــل أَمْــره لــلبــاري**
**تحت مشيئة الالـه النـافـذه ... إنْ شا عفا عنه وإنْ شا آخذهُ**
**بقــدر ذنبِــهِ إلى الجنــان ... يخرج إنْ ماتَ على الإيمان**

(**ولا نقول إنه**) أي الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفراً (**في النار مُخلد**) **هذه هي المسألة الرابعة** من مسائل الفصل (**بل نقول أمره**) مردود حكمه (**للباري**) في الجزاء والعفو (**تحت مشيئة الاله النافذة**) في خلقه (**إنْ شاءَ**) الله عز وجل (**عفا عنه**) وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله (**وَإنْ شاءَ آخَذَهُ**) أي جازاه وعاقبه (**بقدر ذنبه**) الذي مات مصرّاً عليه، كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه «بايعوني على أَنْ لا تشركوا باللهِ شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزْنوا، ولا تقتلوا أولادَكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أَيْديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفَى منكم فأَجرُهُ على اللهِ، ومن أصاب مِنْ ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أَصاب مِنْ ذلك شيئاً ثم سترَهُ اللهُ عليه فهو إلى الله: إنْ شاءَ عفا عنه، وإنْ شاءَ عاقبه» فبايعناه على ذلك[1]. (**وإلى الجنان يخرج**) من النار (**إن**) كان (**مات على الإيمان**) كما تقدم في أحاديث الشفاعة وإنَّه لا يخلد في النار أَحدٌ مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة الشافعين.

**والعرض تيسيرُ الحساب في النَّبا ... وَمَنْ يناقش الحساب عُذِّبا**

في هذا البيت إشارة إلى تفسير رسول الله ﷺ لقول الله عز وجل ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً**﴾ (الانشقاق/٨) الآيات كما في صحيح البخاري وغيره من طرق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال

---

(١) البخاري (١/٦٤) في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، وفي تفسير سورة الممتحنة، ومسلم (٣/١٣٣٣/ح ١٧٠٩) في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

رسولُ الله ﷺ «لَيْسَ أحدٌ يحاسب إلا هلك، قالت: قلتُ يا رسولَ الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ (الانشقاق/٨) قال: ذلك العرض، يُعْرضون، ومَنْ نُوقِشَ الحسابَ هلك»[1]. وفي رواية «عذب» وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم وضدها من سابق ومقتصد وظالم لنفسه.

إذا عرفت هذا فاعلم أَنَّ الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرَجَ عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أَنَّ **العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات**:

**الطبقة الأولى**: قوم رجحَتْ حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة مِنْ أول وهلة ولا تمسهم النار أبداً.

**الطبقة الثانية**: قوم تساوت حسناتُهُم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أَنَّهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة، كما قال تبارك وتعالى بعد أَنْ دخل أَهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الجنَّةِ أصحاب النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ قَالُوا نَعَمْ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ، وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ، وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ، وَنَادُوا أَصْحَابَ الجنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ. وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ**

---

(١) البخاري (١/١٩٦ ـ ١٩٧) في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، وفي التفسير وفي الرقاق، ومسلم (٤/٢٢٠٤/ح ٢٨٧٦) في الجنة باب إثبات الحساب.

رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ. أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ، ادْخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف/٤٤ ـ ٤٩).

**الطبقة الثالثة**: قومٌ لقوا الله تعالى مصرّين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم مَنْ تأخذه إلى كعبيه، ومنهم مَنْ تأخذه إلى أَنْصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ تأخذه إلى حقويه، ومنهم فوق ذلك، حتى إنَّ منهم من لم يحرَّم منه على النار إلا أثر السجود، حرم الله على النَّار أَنْ تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومَنْ شاءَ اللهُ أَنْ يكرمه، فيحدُّ لهم حداً فيخرجونهم، ثم يحد لهم حداً فيخرجونهم، ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم مَنْ كانَ في قلبه نصف دينار من خير، ثم برّة، ثم خردلة، ثم ذرّة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيراً. ويخرج الله تعالى من النار أقواماً لا يعلم عدتهم إلّا هو بدون شفاعة الشافعين، ولم يخلد في النار أَحَدٌ مِنَ الموحدين، ولو عمل أَيَّ عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيماناً وأخف ذنباً كان أخف عذاباً في النار وأقل مكثاً فيها وأسرع خروجاً منها، وكل من كان أضعف إيماناً وأعظم ذنباً كان بضدّ ذلك والعياذ بالله. والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة، وقد قدمنا منها ما فيه كفاية. وإلى هذا المعنى أشار النَّبيّ ﷺ بقوله «من قالَ لا إله إلّا الله نفعتْهُ يوماً من الدَّهْر يصيبه قبل ذلك ما أصابَهُ»[1]. وهذا مقامٌ ضَلَّتْ فيه الأفْهامُ، وزلَّتْ فيه الأقدامُ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنِهِ، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

---

(١) رواه البزار (كشف الأستار ١/ ١٠/ ٣) والطبراني في الأوسط والصغير (١/ ١٤٠) والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ٤٨ و٣٧٩) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٤٦) من طرق عِدّة من حديث أبي هريرة. وبعض هذه الطرق بأسانيد صحيحة. قال المنذري: رواته رواة الصحيح. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (رجال البزار والطبراني الصغير).

قال إمام الأئمة أبو بكر محمدُ بنُ إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال[1]: قَدْ روينا أخباراً عن النَّبيِّ ﷺ يحسب كثير من أهل الجهل والعناد أنَّها خلاف هذه الأخبار التي ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها في الشفاعة وفي إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته. **وأهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان: صنفٌ** منهم من الخوارج والمعتزلة أَنْكَرت إخراج أحد من النَّارِ ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة. **الصنف الثاني**: الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلّا الله تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النَّبيِّ ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها.

فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار. ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان»[2].

وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنِّي لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلّا حُرِّم على النار: «لا إله إلا الله»[3].

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (ص ٣٢٧).

(٢) رواه مسلم (١/٩٣/ح ٩١) في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، وأبو داود (ح ٤٠٩١) والترمذي (ح ١٩٩٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٢٨).

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٢٨) من رواية عبد الوهاب الخفاف قال أخبرنا سعيد (يعني ابن أبي عروبة) عن قتادة (وقع في المطبوع سعيد بن قتادة وهو خطأ) عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفان عن عمر... الحديث. وإسناده حسن. وعبد الوهاب قديم السماع من سعيد. وسعيد أثبت الناس في قتادة. إلا أن مسلماً رواه من حديث عثمان رضي الله عنه (١/٥٥/ح ٢٦) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة. وسيأتي.

وحديث عتبان بن مالك: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لَنْ يوافى عبد يوم القيامة وهو يقولُ لا إله إلا اللهُ يبتغي بذلك وجه الله إلا حُرِّم على النار ـ وفي رواية: فإنّ الله قد حرم على النار ـ أن تأكل من قال لا إله إلا الله»[1].

وحديث عثمان عن النبيّ ﷺ قال «من مات وهو يشهد أن لا إلـه إلاّ الله دخل الجنّة»[2].

وحديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ مات وهو يشهدُ أَنْ لا إله إلا اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ صادقاً من قلبه دخل الجنة»[3].

وحديث عبادة بن الصَّامت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ لقى اللَه يشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ دخل الجنة»، وفي رواية «حَـرَّمَهُ الله على النار»[4].

وحديث جابرِ بنِ عبدِاللهِ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثه فقال «اذهبْ فنادِ في الناس أَنَّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إلهَ آلا اللهُ موقناً ـ أو مخلصاً ـ دخل الجنة»[5].

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٢٩) ورواه مسلم (١/٦١ ـ ٦٢/ح ٣٣) في الإيمان، باب البدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة وذكر فيه قصة. وأصلها في البخاري. ورواه أحمد (د/٤٤٩).

(٢) رواه مسلم (١/٥٥/ح ٢٦) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، وأحمد (١/٦٥ و٦٩) وابن خزيمة (ص ٣٣٥).

(٣) رواه أحمد (٥/٢٢٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٣٦). وابن منده في الإيمان (ح ٩٤ و٩٥) وإسناده صحيح.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤١) وقد رواه البخاري (٦/٤٧٤) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق)، ومسلم (١/٥٨/ح ٢٩) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤١ ـ ٣٤٢) والبزار (كشف الأستار ١/١٣) من طريق بدل بن المحبر. وقد اختلف في هذا الحديث فرواه عن ابن عمر من طريق بن عقيل وهو ضعيف لسوء حفظه (كشف الأستار ح ٩) ورواه مَرّة من طرق عن جابر (انظر ابن خزيمة ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ والتهذيب ١/٣٧١) والحديث دون القصة من رواية جابر في مسلم (١/٩٤/ح ٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. والقصة في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١/٥٩ ـ ٦٠/ح ٣١) في الإيمان.

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ ما تركتُ من حاجة ولا داجة إلا أَتَيْتُ عليها، قال: أَوَ تشهد أَنْ لا إله إلا اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ؟ قال: نعم. قال: فإنَّ هذا يأتي على ذلك كله»[1].

وحديث عمر رضي الله عنه «إنَّ رسولَ اللهِ أَمرهُ أَنْ يُؤْذِن الناس أَنَّ مَنْ يشهد أَنْ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريك له مخلصاً فله الجنة. قال عمر: يا رسول الله إذاً يتكلوا. قال: فدعهم»[2].

وحديث عبدالله بن سلام قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ شهِدَ أَنْ لا إله إلاّ اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ وجبتْ له الجنة»[3].

وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «قال لي جبريلُ: مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يشركُ باللهِ شيئاً دخل الجنة ولم يدخل النار. قلت: وإنْ زنى وإنْ سرق؟ قال: وإنْ زنى وإنْ سرق»[4].

وحديث أبي الدرداء عن النَّبيِّ ﷺ أنه قرأ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن/٤٦) قلت: وإنْ زنى وإنْ سرق يا رسولَ اللهِ؟ قال: فقرأها رسول الله ﷺ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(الرحمن/٤٦)قلت: وإنْ زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن/٤٦) قلت يا رسول الله وإنْ زنى وإنْ سرق يا رسولَ اللهِ؟ قال ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن/٤٦) قلتُ: يا رسولَ اللهِ وإنْ زنى وسرق؟ قال ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن/٤٦)

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٢) وإسناده حسن.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٢) وقد تقدم وفيه عبد الله بن عقيل وهو ضعيف ورواه البزار (كشف الأستار (ح ٩) وهو صحيح لشواهده.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤) وسنده حسن.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤)، والبخاري (٣/١١٠) في الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله، وفي التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم (١/٩٤/ح ٩٤) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

وإنْ زنى وسرق، ورغم أَنْف أبي الدرداء» فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه[1].

حديث ابن مسعود رضي الله عنه «قال رسولُ اللهِ ﷺ كلمة وأنا أقول أخرى. قال: مَنْ ماتَ وهو يجعل لله ندّاً دخل النَّار. قال وأقول: مَنْ ماتَ وهو لا يجعل لله ندّاً دخل الجنة»[2].

قال أبو بكر[3]: قد كُنْتُ أَمليتُ أكثر هذا الباب مِنْ كتاب الإيمان وبيَّنْتُ في ذلك الموضع معنى هذه الأخبار وأَنَّ معناها ليس كما يتوهمه المرجئة، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أَنَّ النَّبيّ ﷺ لم يرد بهذه الأخبار أَنَّ من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أَنَّ محمداً رسولُ اللهِ ولم يؤمن بأحدٍ من الأنبياء غير محمد ﷺ ولا آمَنَ بشيءٍ مِنْ كتاب الله عز وجل ولا بجنَّةٍ ولا نار ولا بعث ولا حساب أَنَّه مِنْ أهل الجنة لا يعذب بالنار. ولئن جازَ للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإنْ كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله عز وجل وخلاف سنن النَّبيّ ﷺ لجاز للجهميَّة الاحتجاج بأخبار رُويتْ عن النَّبيّ ﷺ إذا تؤوّلت على ظاهرها استحق من يعلم أَنَّ اللهَ ربَّهُ وأَنَّ محمداً نبيه وإنْ لم ينطق بذلك لسانه ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير متقصاة وبأخبارٍ مجملة غير مفصلة لا يفهمون أصول العلم فيستدلون بالمتقصي من الأخبار على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها، قد ثبتت الأخبار عن النَّبيّ ﷺ بلفظة لو حُملت على ظاهرها كما حَملت المرجئة الأخبارَ

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥) ورواه ابن أبي شيبة وأحمد (٤٤٧/٦) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٢٣٢/٨) وفي عمل اليوم والليلة (ح ١١٢٤ و١١٢٥ و١١٢٦) والبزار (٥/١١/١) وأبو يعلى وابن جرير (١٤٦/٢٧) مختصراً وأخرجه ابن منيع والحكيم في نوادر الأصول وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٧٠٧/٧).
وهو حديث صحيح يشهد له ما تقدم وهو غير حديث أبي ذر المعروف في الصحيحين: قال الدارقطني في العلل: يشبه أن يكون القولان صحيحين.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٦)، والبخاري (١٠٩/٣) في الجنائز في فاتحته وفي تفسير سورة البقرة، باب (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً)، وفي الإيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلل فهو على نيته، ومسلم (٩٤/١/ح ٩٢) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٣) أي ابن خزيمة.

التي ذكرناها في شهادةِ أَنْ لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه أَنْ لا إله إلا الله مستحقاً للجنة، وإن لم يقرَّ بذلك بلسانه ولا أقرّ بشيءٍ ممّا أَمَرَ الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيءٍ مما أمر الله بالإيمان به، ولا عمل بجوارحه شيئاً أمر الله به، ولا انزجر عَنْ شيءٍ حرَّمه الله مِنْ سفك دماءِ المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم، فاسمع الخبر الذي ذكرت أنَّه غير جائز أَنْ يُحمل على ظاهره كما حَملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها[1].

ثم ذكر حديث عثمان عن النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ مات وهو يعلم أنْ لا إله إلّا الله دخل الجنة»[2]. وحديث عمران بن حصين سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ علم أَنَّ اللهَ ربُّهُ وأَنِّي نبيه صادقاً من قلبه ـ وأَوْمأ بيده إلى فلذة صدره ـ حَرَّمَ اللهُ لحمه على النَّار»[3]، وحديث معاذ رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «مَنْ مات وهو يوقن بقلبه أَنَّ اللهَ حقٌّ وأَنَّ السَّاعة قائمةٌ وأَنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبور. قال ابن سيرين: إِمَّا دخل الجنة، وإما قال نجا مِنَ النار»[4] كيف جاز للجهمي الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله من معنى هذه الأخبار، لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النَّبيّ ﷺ «مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ حَقٌّ واجِبٌ دَخَلَ الجَنَّةَ»[5].

---

(١) التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل (ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٧) وقد تقدم تخريجه.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٨) والطبراني في الكبير (١٨/١٢٤/ح ٢٥٣).
قال الهيثمي: وفي إسناده عمر بن محمد بن عمر بن معدان واهي الحديث المجمع (١/٢٤) والحديث صحيح.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٩) وسنده صحيح.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٠) وأحمد (١/٦٠) والبزار (١/١٦٩/٣٣٥). وفيه عبد الملك بن عبيد السدوسي وهو مجهول قال الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد في زياداته. قلت: بل هو من رواية أبيه.

فيدَّعي أَنَّ جميعَ الإيمان هو العلم بأَنَّ الصلاة عليه حقٌّ واجب وإِنْ لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع في شيء أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله، إذ النَّبيّ ﷺ قد أخبر أَنَّ مَنْ علم أَنَّ الصلاة عليه حقٌّ واجب دخل الجنة كما أَخْبر أَنَّ من شهد أَنْ لا إله إلا الله دخل الجنَّة ثم ذكر حديث عثمان بسنده.

قال أبو بكر: فإِنْ جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر في الإيمان واستحقاق المرء به الجنَّة وترك الاستدلال بالأخبار المفسرة المتقصاة لم يؤمن أَنْ يحتج جاهل معاند فيقول: بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأَنَّ مُصَلِّيها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقربه، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض الله على عباده، ولا الزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله، ويحتج بخبر عمار بن رُؤيبة فذكره بإسناده إلى عمَّار بن رويبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ صَلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حَرَّمَهُ الله على النار» فقال رجل مِنْ أهل البصرة: وأنا سمعته عن رسول الله ﷺ[1].

قال أبو بكر: قد أمليت طرق هذا الخبر في كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النَّبيّ ﷺ «من صلَّى الصبح فهو في ذمة الله»[2] وكل عالمٍ يعلمُ دينَ اللهِ وأحكامه يعلم أَنَّ هاتين الصلاتين لا توجبان الجنَّة مع ارتكاب جميع المعاصي، إِنَّما رويت في فضائل هذه الأعمال، وإنما رويت أخبار النَّبيّ ﷺ «مَنْ قال لا إله إلّا الله دخل الجنة»[3] فضيلة لهذا القول، لا أَنَّ هذا القول كل الإيمان.

قلت[4]: لا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٠ ـ ٣٥١) وفي صحيحه (١/١٦٤/ح ٣١٨) ومسلم (١/٤٤٠/ح ٦٣٤) في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥١) ومسلم (١/٤٥٤/ح ٦٥٧) في المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٣) تقدم ذكره.

(٤) أي المصنف حافظ رحمه الله.

قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد.

قال رحمه الله تعالى: ولئنْ جازَ لجاهلٍ أنْ يقول إنَّ شهادة أنْ لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النَّبيّ ﷺ أخبر أنَّ قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أنْ يدَّعي جاهل معاند أيضاً أنَّ جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النَّبيّ ﷺ «مَنْ قاتل في سبيلِ اللهِ فواقَ ناقة دخل الجنَّة»[1] كاحتجاج المرجئة بقول النَّبيّ ﷺ «من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة»، ويقول معاند آخر جاهلٌ إنَّ الإيمان بكماله المشي في سبيل الله حَتَّى تغبّر قدما الماشي، ويحتج بقول النَّبيّ ﷺ «مَنِ اغبَرَّتْ قدماهُ في سبيلِ اللهِ حرَّمهُ اللهُ على النَّارِ»[2]، وبقوله ﷺ لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنَّم في منخري رجل مسلم»[3].

ويدعى جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأنَّ النَّبيّ ﷺ قال «مَنْ أَعْتَقَ رقبةً مؤمنةً أعتق اللهُ بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النار»[4]، ويدعى جاهل آخر أنَّ جميعَ الإيمان البكاءُ من خشيةِ الله تعالى ويحتج بقول النَّبيّ ﷺ «لا يدخل النَّارَ مَنْ بكى مِنْ خشية الله تعالى»[5]، ويدعى جاهل آخر أنَّ جميع

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥١)، وابن حبان (٦٧/٧ ـ إحسان). وأبو داود (ح ٢٥٤١) في الجهاد باب من سأل الله تعالى الشهادة. والترمذي (ح/ ١٦٥٧) في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله. والنسائي (٢٥/٦ ـ ٢٦) في الجهاد، باب ثواب من قاتل في سبيل الله. قال الترمذي: حديث صحيح وصححه الحاكم من حديث معاذ رضي الله عنه.
وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥١) والبخاري (٣٩٠/٢) في الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وفي الجهاد، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥١)، وأحمد (٢٥٦/٢ و٣٤٢ و٤٤١) والترمذي (١٧١/٤/ح ١٦٣٣) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي (١٢/٦) في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. وابن ماجة (٩٢٧/٢/ح ٢٧٧٤) فيه، باب الخروج في النفير، وابن حبان في صحيحه (١٠٣/٥ ـ إحسان).

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥١ ـ ٣٥٢) والبخاري (٥٩٩/١١) في كفارات الإيمان، باب قول الله تعالى: (أو تحرير رقبة)، ومسلم (١١٤٧/٢/ح ١٥٠٩) في العتق، باب فضل العتق.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٢) وأحمد (٥٠٥/٢) والترمذي (١٧١/٤/ح ١٦٣٣) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. والنسائي (١٢/٦) في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. والحاكم في المستدرك (٢٦٠/٤) وصححه.

الإيمان صوم يوم في سبيل اللهِ ويحتج بأَنَّ النَّبيّ ﷺ قال «مَنْ صام يوماً في سبيلِ اللهِ باعَدَ اللهُ وجهه عن النَّارِ سبعين خريفاً»[1]، ويدعى جاهلٌ آخر أَنَّ جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النَّبيّ ﷺ «لا يجتمعُ كافر وقاتله في النَّارِ أبداً»[2] ثم ذكره بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال رحمه الله تعالى: وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب، وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أَنَّ النَّبيّ ﷺ إنما أَخْبَر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها لا أَنَّ النَّبيّ ﷺ أراد أَنَّ كلَّ عمل ذكره أَعْلَمَ أَنَّ عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أَنَّه جميع الإيمان، وكذاك إِنَّما أراد النَّبيّ ﷺ بقوله «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» أو «حرم على النار» فضيلة لهذا القول لا أن جميع الإيمان كما ادَّعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها. ومعنى قوله ﷺ «لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً» هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ما حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب بن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «لا يجتمعان في النَّارِ اجتماعاً يعني أحدهما مسلم قتل كافراً ثم سدد المسلم وقارب»[3].

قال أبو بكر: لذاك نقول في فضائل الأعمال التي ذكرنا: مَنْ عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدَّد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكبَ بعض المعاصي، لذاك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار، لا إِنَّه

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٢) والبخاري (٦/٤٧) في الجهاد، باب فضل الصوم في سبيل الله، ومسلم (٢/٨٠٨/ح ١١٥٣) في الصوم، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٢)، ومسلم (٣/١٥٠٥/ح ١٨٩١) في الإمارة، باب من قتل كافراً ثم سدّد.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٢ - ٣٥٣)، ومسلم (٣/١٥٠٥/ح ١٨٩١) في الإمارة، باب من قتل كافراً ثم سدّد.

لا يدخل النار ولا موضعاً منها وإن ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أَنْ يغفر له ما دون الشرك، فقد أخبر الله عز وجل أَنَّ للنار سبعة أبواب فقال لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِيَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ - إلى قوله تعالى - لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر/٤٢ - ٤٤) فأعلمنا ربنا عز وجل أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار، فجعل لكل باب منهم جزءاً معلوماً، واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم، فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس، والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإنْ لم يتب منها، لذاك أعلمنا في محكم تنزيله قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء/١١٦) وأعلمنا خالقنا عز وجل أَنَّ آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى، وأَنَّه عز وجل برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه. فمن لم يغفر الله له حوبته التي ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل في الأجزاء جزءاً وقسماً لأبواب النار السبعة. وفي ذكره آدم ﷺ وقوله عز وجل ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه/١٢١) ما يبين ويوضح أَنَّ اسم الغاوي قد يقع على مرتكب خطيئة قد زَجَر الله عن اتيانها وأَنْ لم تكن تلك الخطيئة كفراً ولا شركاً ولا ما يقاربهما ويشبههما، ومحال أَنْ يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهى عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة له أو صاحبة أو ولداً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ولم يؤمن بشيءٍ ممَّا أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله في شيء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أَنْ يجتمع هذان في درجة واحدة من النار، والعقل مركب على أَنْ يعلم أَنَّ كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوباً لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذاباً في النار، كما يعلم كل عاقل أَنَّ كُلَّ من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقرُّباً إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان وأعظم ثواباً وأجزل نعمة، فكيف يجوز أَنْ

يتوهم عاقلٌ مسلم أَنَّ أهل التوحيد يجتمعون في النار في الدرجة مع من كان يفتري على الله عز وجل فيدعو له شريكاً أو شركاء فيدعو له صاحبة وولداً ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب جميع المعاصي فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بداً من تكذيب الأخبار الثابتة من التي ذكرتها عن النَّبيّ ﷺ في اخراج أهل التوحيد من النار، إذ محال أَنْ يقال أخرجوا من النار من ليس فيها، وأكثر استحالة من هذا أَنْ يقال يخرج من النار من ليس فيها. وفي ابطال أخبار النَّبيّ ﷺ اضمحلال الدين وابطال الإسلام، والله عز وجل لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوَّى بين عذاب جميعهم، قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ (النساء/١٤٥) وقال ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ (غافر/٤٦).

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر، شرع رحمه الله في بيان ما تشبث به الخوارج واحتجُّوا به على باطلهم، وما كفر به المرجئةُ وردُّوه بباطلٍ آخر. فقال رحمه الله تعالى:

باب ذكر أخبار رويت عن النَّبيّ ﷺ ثابتة من جهة النَّقل، جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعو أَنَّ مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلَّدٌ في النَّارِ محرم عليه الجنان. والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلاً منها بمعانيها. وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله.

ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وأبي بكرة وسعد بن مالك رضي الله عنهم، قال رسول الله ﷺ «من ادَّعى الى غير أبيه وهو يعلم أَنَّه غير أبيهِ فالجنَّةُ عليه حرام»[1].

---

(١) روى حديث أسامة بن زيد: ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٦) من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد عن هشام بن حسان عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة وسعد بن أبي

وحديث عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال «من انتسب لغيرِ أبيه فلنْ يرح بريح الجنَّةِ، وريحها يوجَدُ من مسيرة سبعين عاماً»[1].

وحديث حذيفة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا يدخلُ الجنَّةَ قَتَّات»[2]. وفي رواية «نمام»[3].

وحديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اقتطعَ حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينه فقد أوجب اللهُ له النَّارَ وحرَّم عليه الجنَّةَ. فقال رجلٌ: وإنْ كان شيئاً يسيراً؟ قال: وإنْ كان قضيباً من أراك»[4].

وحديث عبدالله بن عمرو عن النَّبيِّ ﷺ «لا يدخل الجنة نمَّام ولا عاق ولا مدمِنُ خُمْر»[5].

---

= وقاص ورجل آخر من أصحاب رسول الله. وإسناده على شرطيهما وأما حديث أبي بكرة وسعد بن أبي وقاص: فقد رواه البخاري (٨/٤٥) في المغازي، باب غزوة الطائف. ومسلم (١/٨٠/ح ٦٣) في الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم وابن خزيمة (ص ٣٥٦). وقد روى عن غيرهم.
وقد وهم المصنف رحمه الله حين جعل سعد بن مالك غير سعد بن أبي وقاص وهو هو. فهو سعد بن مالك أبي وقاص الزهري. وقد وقع في المطبوع «سعد بن أبي مالك» وهو خطأ. وكثيراً ما وقع مثله ولم ننبه عليه سابقاً لعدم ضرورته.

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٧)، وأحمد (٢/١٧١ و١٩٤) وابن ماجة (٢/٨٧٠/ح ٢٦١١) في الحدود، باب من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه. والخطيب في تاريخ بغداد (٢/٣٤٧) قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (زوائد ٢/٧٩/ح ٩٢٥) وهو كما قال.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٨)، والبخاري (١٠/٤٧٢) في الأدب، باب ما يكره من النميمة، ومسلم (١/١٠١/ح ١٠٥) في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٨)، ومسلم (١/١٠١/ح ١٠٥) في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩)، ومسلم (١/١٢٢/ح ١٣٧) في الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فأجره بالنار.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٣)، وأحمد (٢/٢٠١ و٢٠٣)، والنسائي (٨/٣١٨) في الأشربة، باب الرواية في المدمنين الخمر، والدارمي (٢/١١٢) والبخاري في التاريخ الصغير (١٢٤) وعبد الرزاق في المصنف (٢/٢٠٥) وابن حبان في صحيحه (٥/١٦٣ ـ إحسان) والطبراني كما في المجمع (٦/٢٦٠).

وحديث جبير بن مطعم قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا يدخل الجنَّةَ قاطع»[1].

وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: العاق لوالديه، والديُّوث ورجلة النِّساء»[2].

وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومدمن خمرٍ، والمنَّان بما أعطى»[3] وحديث أبي بكرة عن النَّبيِّ ﷺ قال «مَنْ قتل نفساً معاهدةً بغير حقِّها حرَّم الله عليه الجنّة أنْ يشم ريحَها»[4].

ثم قال رحمه الله تعالى: **معنى هذه الأخبار إنَّما هو على أحد معنيين:**

**أحدهما** لا يدخل الجنة أي بعض الجنان، إذ النَّبيّ ﷺ قد أعْلم أنَّها جنان من جنة، واسم الجنة واقع على كل جنَّةٍ منها، فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيماً وسروراً وبهجةً وأوسع، لأنَّه أراد لا يدخل شيئاً من تلك الجنان التي هي في الجنة، وعبدالله بن عمرو قد بين خَبره الذي روى عن النَّبيِّ ﷺ « لايدخل الجنة عاقّ ولا منّان ولا مدمن خَمر»[5] إنه إنما أراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على أحد

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٣)، والبخاري (١٠/٤١٤) في الأدب، باب إثم القاطع، ومسلم (٤/١٩٨١/ح ٢٥٥٦) في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤). ولم يروه من حديث عمر إلاّ إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس. وقد تكلم فيه جماعة من جهة حفظه. والحديث صحيح من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو الآتي.
قال الحاكم: والقلب أميل إلى التي لم يذكر في إسنادها عمر.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٤) وأحمد في المسند (٢/١٣٤) والنسائي (٥/٨٠) في الزكاة، باب المنان بما أعطى، وابن حبان في صحيحه (٩/٢١٨ ـ إحسان) والحاكم في المستدرك (٤/١٤٧) و(١/٧٢).

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٥). ورواه أبو داود (ح ٢٧٦٠) في الجهاد، باب في الوفاء للمعاهد. والنسائي (٨/٢٤ ـ ٢٥) القسامة، باب تعظيم قتل المعاهد. ورواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في الجهاد، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم.

(٥) سبق ذكره.

المعنيين. ثم ساق بإسناده عن عبدالله بن عمرو أَنَّه قال «لا يدخل حظيرةَ القدس سكِّير ولا عاقٌّ ولا منَّان»[1].

قال: **والمعنى الثاني** ما قد أعلمت أَصحابي ما لا أُحصى من مرّة أَنَّ كلَّ وعيد في الكتاب والسنة لأَهل التوحيد فإنَّما هو على شريطةٍ، أي أَلَّا أَنْ يشاءَ اللهُ تعالى أَنْ يغفر ويصفح ويتكرّم ويتفضّل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، اذ اللهُ عز وجل قد خبَّر في محكم كتابه أَنَّه قد يشاء أَنْ يغفر دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ (النساء/١١٦) قد أمليت هذه المسألة في كتاب معاني القرآن الكتاب الأول، واستدللت أيضاً بخبر عن النَّبيّ ﷺ بهذا المعنى: وساق بإسناده إلى قيس بن محمد بن الأشعث أَنَّ الأشعث وهب له غلاماً، فغضبَ عليه وقال: واللهِ ما وهبتُ لك شيئاً. فلما أصبح ردَّهُ عليه وقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ حَلَف على يمينٍ صبراً ليقتطع مالَ امرىءٍ مسلم لقيَ اللهَ يوم القيامة وهو مجتمعٌ عليه غضبان، إن شاء عفا عنه وأَنْ شاء عاقبه»[2].

قلت[3]: وتقدم حديثُ عبادة بن الصامت في قصة البيعة، وهو دليل على هذا المعنى.

قال أبو بكر: فاسمعوا الخَبَرَ المصرح بصحة ما ذكرت أَنَّها جنان في جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التي ذكرنا عن النَّبيّ ﷺ من فعل كذا وكذا لبعض المعاصي لم

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٧) بسند حسن. وأخرجه أحمد. (٣/٢٢٦) عن أنس بن مالك ولفظه «لا يلج حائط القدس: مدمن خمر، ولا العاق لوالديه، ولا المنان عطاءه) والبزار (كشف الأستار ٣/٣٥٥) إلّا أنه قال: لا يلج جنان الفردوس، والطبراني في الأوسط وقال حضرة القدوس كما في المجمع (٥/٧٧) قال الهيثمي: وفيه علي بن زيد وفيه ضعف لسوء حفظه.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٨)، والبخاري (١١/٥٥٨) في الإيمان، باب قول الله تعالى: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم)، ومسلم (١/١٢٢/ح ١٣٨) فيه، باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فأجره بالنار.

(٣) يعني المصنف حافظ رحمه الله.

يدخل الجنة إنَّما أراد بعض التي هي أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيماً وأوسع، إذ محال أَنْ يقول النَّبيّ ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئاً مِنَ الجنان، ويخبر أَنَّه يدخل الجنَّةَ فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعاً الآخر، لأنَّ هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ، ولكنَّه من ألفاظ العام الذي يراد به الخاص. ثم ساق بإسنادِهِ إلى أنس بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ الرُّبيِّع أتت النَّبيّ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللهِ أنبئني عَنْ حارثة أصيبَ يَوْمَ بدرٍ فإنْ كان في الجنة صبرتُ واحتسبتُ، وإنْ كان غير ذلك اجتهدتُ في البكاءِ. فقال: يا أُمَّ حارثة إنَّها جنان في جَنَّةٍ وإنَّه أَصابَ الفردوس الأعلى»[1].

قال أبو بكر: قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر في كتاب الجهاد، وقد أمليت في كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد ما بين الدرجتين. منها أن إخبار النَّبيّ ﷺ أَنَّ أهلَ الجنَّةِ ليتراءون أَهْل الغرف كما ترَوْنَ الكوكب الدريَّ في أُفق من آفاق السَّماءِ لتفاضل ما بينهما، وقول بعضُ أصحابه: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال «بلى رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلين»[2]، وأمليت أخبارَ النَّبيّ ﷺ بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام[3]. فمعنى هذه الأخبار التي فيها ذُكِرَ بعْضُ الذُّنوبِ الذي يرتكبه بعض المؤمنين أَنَّ مرتكبه لا يدخل الجنة، معناها لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا.

ثم قال: وقد يجوز أَنْ يقول ﷺ مَنْ فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التي يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة، لأَنَّه يُحبس عن دخول الجنة إمَّا للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إنْ

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠)، والبخاري (٦/ ٢٥ ـ ٢٦) في الجهاد، باب من أتاه سهم غرب فقتله، وفي المغازي، باب فضل من شهد بدراً، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٧٠)، والبخاري (٦/ ٣٢٠) في بدء الخلق، باب صفة الجنة، ومسلم (٤/ ٢١٧٧/ح ٢٨٣١) في صفة الجنة، باب ترائي أهل الجنة الغُرف.

(٣) رواه البخاري (٦/ ١١) في الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب فمعنى هذه الأخبار على هذه المعاني لأنَّها إذا لم تحمل على هذه المعاني كانت على وجه التهاتر والتكاذب وعلى العلماء أَنْ يتأولوا أخبارَ رسولِ اللهِ ﷺ على ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حدثتم عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ فظنوا به الذي هو أَهْناه وأهداه وأتقاه، ثم ساقه بإسناده عن علي رضي الله عنه فذكره[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكررة فلا تستطله فإنه كلام متين من إمام متضلّع من معاني الكتاب والسنة ذي خبرة وعلم لمواردها ومصادرها.

وقوله رحمه الله تعالى: وعلى العلماء أَنْ يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ لم يعن رحمه الله التأويل الذي اصْطَلَحَهُ المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدة التي هضموا بها معاني النصوص بما اقتضته عقولهم السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأْنِهِ رحمه الله وإنَّما عنى ما أشار إليه في غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر، والمختصر على المتقصِّي، والمطلق على المقيد، والعموم على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض، لأن ذلك مما ينزه عَنْه كلام الله وكلام رسوله ﷺ. وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه في أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

**مسألة**. فإنْ قيل وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب حداً لم يقم عليه قال فهو إلى الله إنْ شاءَ عفا عنه وإنْ شاءَ عاقبه، وبين ما صرَّحت به النصوص التي في الميزان والحساب والجنة مِنْ أَنَّ مَنْ رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولا بد؟

قلنا: لا إشكال في ذلك ولا منافاة ولله الحمد. وقد حصل الجمع الفاصل للنِّزاع بحديث عائشة رضي الله عنها الذي ذكرنا في شرح البيت الأدنى بأَنَّ مَنْ

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٧٣). وسنده حسن.

يشأ عزّ وجل أَنْ يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذي فسَّرَهُ النَّبيّ ﷺ بالعرض وقال في معنى العرض في الأحاديث السابقة في صفته: «يَدْنو أَحَدكُمْ مِنْ ربِّهِ عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، فيقَرِّرَهُ ثم يقول: إِنِّي سترتُ عليك في الدنيا وأنا أَغفرها لك اليوم»[1].

وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال رسول الله ﷺ «مَنْ نوقِشَ الحساب عذب»[2]. نسأَلُ الله عز وجل أَنْ ييسر حسابنا ويتجاوز عنّا ويغفر لنا بمنِّهِ وكرمه آمين.

## ٥ ـ عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها

**ولا نُكَفِّـرُ بـالمعـاصي مؤمنـاً إلا مـع استحـلالِـهِ لمـا جَنى**

**(ولا نكفر بالمعاصي)** التي قدمنا ذكرها وأَنَّها لا توجب كُفراً، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك، ولا تستلزمه ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عمله **(مؤمناً)** مقراً بتحريمها معتقداً له، مؤمناً بالحدود المترتبة عليها، ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ما تجارأ عليه منها. والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (النور/٤ ـ ٥) وما في معناها من آيات الحدود والكبائر، وقول النَّبيّ ﷺ «لا يزني الزَّاني

---

(١) البخاري (٥/٩٦) في المظالم، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، وفي تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم)، وفي الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، وفي التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، ومسلم (٤/٢١٢٠/ح ٢٧٦٨) في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) البخاري (١/١٩٦) في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، وفي تفسير سورة (إذا السماء انشقت)، وفي الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ومسلم (٤/٢٢٠٤/ح ٢٨٧٦) في الجنة، باب إثبات الحساب.

حين يزني وهو مؤمنٌ ولا يسرِقُ حين يسرق وهو مؤمنٌ ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمنٌ، والتوبة معروضة بعد»[1] الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والدليل على أَنَّ النفي في هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التي صرحت بتسميته مؤمناً وأثبتت له أخوة الإيمان، وأبقت له أحكام المؤمنين.

**(إلا مع استحلاله لما جنى)** هذه هي المسألة الخامسة وهو أَنَّ عامل الكبيرة يكفُرُ باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُهُ لو لم يعمل به لأنه حينئذٍ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كفر بالكتاب والسنة والاجماع. فمن جحد أمراً مجمعاً عليه معلوماً من الدِّينِ بالضَّرورة فلا شكَّ في كفره.

## [التوبة في حق كل فرد إذا استكملت شروطها مقبولة ما لم يغرغر]

**وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الغَرْغَرَه  كما أتى في الشَّرْعَةِ المطهَّرَه**

هذه هي المسألة السادسة وهي أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب كفراً كان أو دونه، وقد دعا الله تبارك وتعالى إليها جميع عباده فدعا اليها من قال المسيح هو الله، ومن قال هو ثالث ثلاثة، ومن قال يد الله مغلولة، ومن قال إِنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء، ومَنْ دعا لله الصَّاحبة والولد فقال لهم جميعاً ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (المائدة/٧٤).

ودعا إليها من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى ما

---

(١) البخاري (٥/١١٩) في المظالم، باب النهبي بغير إذن صاحبه، وفي الأشربة في فاتحته، وفي الحدود، باب الزنا وشرب الخمر، وفي المحاربين، باب إثم الزناة، ومسلم (١/٧٦/ح ٥٧) في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية.

علمت لكم من إلـه غيري فقـال الله تبارك وتعـالى لرسـولـه مـوسى ﴿اذْهَبْ إِلَى فِـرْعَوْنَ إِنَّـهُ طَغَى، فَقُلْ هَـلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَـزَكَّى، وَأَهْدِيـكَ إِلَى رَبِّـكَ فَتَخْشَى﴾ (النـازعات ١٧/ ١٩) وقـال لـه في الآيـة الأخـرى ﴿أَنِ ائْتِ الْقَـوْمَ الـظَّالِمِينَ. قَـوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء/١١) وفي الآية الأخرى ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه/٤٣).

ودعـا إلى التوبـة من عمل أكبـر الكبائـر وهي الشرك وقتـل النفس بـدون حق والزنا، فقال تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ العَـذَابُ يَوْمَ القِيَـامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً، إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الفرقان/٦٨ ٧٠).

ودعـا إليها من كتم مـا أنزل الله من البينـات والهدى فقـال تعالى ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْـدِ مَا بَيَّنَّـاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَـابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ الـلاَّعِنُونَ، إِلاَّ الَّـذِينَ تَابُـوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُـوا فَأُولَئِـكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/١٥٩ ـ ١٦٠).

ودعا اليها المشـركين قاطبـة فقال بعـد الأمر بقتلهم حيث وجـدوا ﴿فَإِنْ تَـابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة/٥).

ودعا إليها المنافقين قاطبة فقال تعـالى ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ في الـدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيـراً، إِلاَّ الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْلَحُـوا وَاعْتَصَمُوا بِـاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤْمِنِينَ﴾ (النساء/١٤٦).

ودعا إليها جميع المسرفين بأي ذنب كان فقال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُـوبَ جَمِيعاً إِنَّـهُ هُوَ الغَفُـورُ الرَّحِيمِ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (الـزمر/٥٣ ـ ٥٤) الآيـات وغيرهـا ما لا يحصى، بـل لم يرسـل الله تعالى الـرسل وينـزل الكتب إلا دعوة منـه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم.

وفي الصحيح من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «للهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عَبْدِهِ حين يتوب إليه مِنْ أحدكم كان على راحلته بأَرْضٍ فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامُهُ وشرابُهُ فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلِّها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عِنْدَهُ فأخذ بخطامها ثم قال من شدَّةِ الفرحِ: اللهم أَنْتَ عبْدِي وأنا ربُّكَ، أخطأ من شدَّةِ الفرح»[1].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ فيما يحكى عن ربِّه عز وجل قال «أَذْنَبَ عبدي ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنَب عبدي ذنباً فعلم أنَّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّي اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[2].

وفيه عن أبي موسى عن النَّبيِّ ﷺ قال إنَّ الله عز وجل يبسُطُ يدهُ باللّيل ليتوب مسيءُ النَّهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبيِّ ﷺ قال «كانَ فيمن كان قبلكم رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أَعْلَم أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ فأتاه فقال: إنَّه قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله، فكمل به مائة. ثمَّ سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنَّه قتل مائة نفس، فهل له مِنْ توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التَّوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنَّ بها أُناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنَّها أرضُ سوءٍ. فانطلق حتى إذا نصف الطريق

---

(١) البخاري (١١/١٠٢) في الدعوات، باب التوبة، ومسلم (٤/٢١٠٤/ح ٢٧٤٧) في التوبة، باب الحض على التوبة.

(٢) البخاري (١٣/٤٦٦) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدِّلوا كلام الله﴾، ومسلم (٤/٢١١٢/ح ٢٧٥٨) في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٣) مسلم (٤/٢١١٣/ح ٢٧٥٩) في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

أتاهُ الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرَّحْمة وملائكةُ العذابِ، فقالت ملائكةُ الرَّحْمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكةُ العذابِ: إنَّه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتُهُ ملائكة الرَّحمة، قال قتادة فقال الحسن: ذكر لنا أنه «لما أتاه الموت ناء بصدره» وفي رواية «فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره، ثم مات، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصَّالحة أقرب منها شبراً فجعل من أهلها»[1].

وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ أُناساً مِنْ أهل الشِّرْكِ كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة، فنزل ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ**﴾ (الفرقان/٦٨) ونزل ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**﴾ (الزمر/٥٣)[2].

وقال محمدُ بنُ إسحاق: قال نافع عن عبدالله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال «وكنَّا نقولُ: ما اللهُ بقابل ممن افتتن صَرْفاً ولا عدلاً ولا توبةً، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال: فلما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينة أَنْزَلَ اللهُ تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا**

---

(١) البخاري (٦/٥١٢) في الأنبياء، باب «٥٤» ومسلم (٤/٢١١٨/ح ٢٧٦٦) في التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله.

(٢) البخاري (٨/٥٤٩) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله)، ومسلم (١/١١٣/ح ١٢٢) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ. واتبَعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر/٥٣ ـ ٥٥) قال عمر رضي الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه. قال فقالُ هشام: لما أتتني جعلتُ أقرأها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم أفهمنيها. قال: فألقى الله عز وجل في قلبي أنَّها إنما أنزلت فينا وفيما كُنَّا نقول في أنفسنا ويقال فينا، فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسولِ اللهِ ﷺ بالمدينة»[1].

## [شروط التوبة النصوح]

والأحاديث في شأن التوبة والحث عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرة جداً لها مصنفات مستقلة، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث **فإنَّما المرادُ بها التوبة النصوح، وهي التي اجتمع فيها ثلاثة شروط:**

**الأول**: الإقلاع عن الذنب.
**الثاني**: الندم على فعله.
**الثالث**: العزم على أن لا يعود فيه.

فإن كان في ذلك الذنب حق لآدمي لزم استحلاله منه إنْ أمكن، للحديث الذي قدمنا «مَنْ كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلَّلْ منه اليوم، فإنَّه ليس ثم دينارٌ ولا درهم»[2] الحديث في الصحيح. **وهذه الشروط في كيفية التوبة.**

وأما **الشَّرط في زمانها** فهو ما أشرنا إليه في المتن بقولنا «قَبْل الغرغرة» وهي حشرجةُ الرُّوح في الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكةَ ويُبْدَأ بها السياق، قال الله تبارك وتعالى ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ**

---

(١) أخرجه ابن اسحق في السيرة (البداية والنهاية ١٧٢/٣) بسند حسن وقد صرح ابن اسحق بالسماع وأخرج بعضه ابن جرير (١٥/٢٤ تفسير).

(٢) البخاري (١٠١/٥) في المظالم، باب من كانت له مظلمه عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته؟، وفي الرقاق، باب القصاص يوم القيامة.

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (النساء/١٧ ـ ١٨).

وعن أبي العالية أَنَّه كان يحدث أَنْ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ كانوا يقولون: كُل ذنب أصابَهُ عبْد فهو جهالة[١]، رواه ابن جرير.

وقال عبْدُ الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتَمَعَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ فرأَوْا أَنَّ كلَّ شيءٍ عصى الله به فهو جهالة عَمْداً كانَ أو غيره[٢]. وقال مجاهدٌ: كُلُّ عامل بمعصية الله فهو جاهل حينَ عَملها[٣]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مِنْ جهالته عمل السوء[٤]، وعنه رضي الله عنه قال ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموتْ. وقال الضحاك: ما كان دونَ الموتِ فهو قريب[٦]، وقال قتادة والسدّي: ما دام في صحَّتِهِ[٧]. وهو مروي عن ابن عباس. وقال الحسن البصري: ثمَّ يتوبون من قريب ما لم يغرغر[٨]. وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب[٩]، وروى الإمامُ أحمد وغيرُه عن ابنِ عمر رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال «إِنَّ الله يقبل توبَةَ العَبْدِ ما لم يغرغر»[١٠].

---

(١) ابن جرير (٤/٢٩٨) وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٢/٤٥٩).
(٢) ابن جرير (٤/٢٩٨) وعبد الرزاق كما في الدر المنثور (٢/٤٥٩).
(٣) ابن جرير (٤/٢٩٨ ـ ٢٩٩) وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب كما في الدر المنثور (٢/٤٥٩).
(٤) ابن جرير (٤/٢٩٩).
(٥) ابن جرير (٤/٣٠٠).
(٦) ابن جرير (٤/٣٠٠).
(٧) ابن جرير (٤/٣٠٠).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢/٤٥٩).
(٩) ابن جرير (٣/٣٠١).
(١٠) أحمد (٢/١٣٢ و١٥٣، ٣/٤٢٥) والترمذي (٥/٥٤٧/ح ٣٥٣٧) في الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة (٢/١٤٢٠/ح ٤٢٥٣) في =

ولـه عن عبـد الـرحمن بن البيلمـاني قـال: اجْتمع أربعـةٌ من أصحـاب رسـولِ اللهِ ﷺ فقال أحـدُهُم: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقـول «إنَّ الله تعالى يَقْبَـلُ توبةَ العبدِ قبل أَنْ يموت بيوم» فقال الآخر أَنْتَ سمعتَ هذا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال نعم. قال: وأنا سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ اللهَ يقبلُ تـوبة العبـدِ قبل أَنْ يمـوت بنصف يوم» فقـال الثـالث: أنت سمعت هـذا من رسـولِ اللهِ ﷺ؟ قـال نعم، قـال: وأنا سمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ الله يقبـلُ توبـةَ العبـدِ قبـل أن يموت بضحوة» وقـال الرابـع: أَنْت سمعتَ هذا من رسـولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم. قـال: وأنا سمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ اللهَ يقبـل توبـة العبـد مـا لم يغـرغـر بنفسه»[1].

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ «إنَّ الله يقبلُ توبةَ عبدِهِ ما لم يُغَرْغِرُ»[2].

وهذا توقيت زمان التوبة في حق كل فرد من العباد، وأمَّا في حق عمر الـدنيا، فقد تقدم في الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها، لأنَّها أول آيـات القيامـة العظام وحين الإيـاس من الدنيـا، كما أنَّ رؤيـة ملك المـوت آيـة الانتقـال من الـدنيـا وحين الإيـاس من الحيـاة، وكـذلـك الأمم المخسـوف بهـا انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب. قال الله تبـارك وتعالى ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّـذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُـوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَـدَّ قُـوَّةً وَآثَـاراً فِي الأَرْضِ فَمَـا أَغْنَى عَنْهُمْ مَـا كَـانُـوا يَكْسِبُـونَ. فَلَمَّـا جَـاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون. فَلَمَّا رَأَوْا**

---

= الـزهد، بـاب ذكر التـوبـة، وابن حبـان في صحيحـه (٢/١٢ ـ إحسـان) والحـاكم في المسـتـدرك (٤/٢٥٧) وأبـو نعيم في الحلية (٥/١٩) وابن جـرير الـطبري (٣/٣٠٢)، وأخـرجـه البيهقي في الشعب كما في الدر المنثور (٢/٤٦٠) وهو حديث حسن.

(١) أحمد (٣/٤٢٥) وعبد الرحمن هذا: ضعيف.

(٢) ابن مـردويه (ابن كثير ١/٤٧٤) ورواه البزار (٤/٧٩/ح ٣٢٤٢/ كشف الأستار) بلفظ لا يـزال تبارك وتعالى يقبل التوبة من عبده مـا لم يغرغـر بنفسه، قال الهيثمي: وفيـه يزيـد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك المجمع (١٠/٢٠١).

بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا، سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾ (غافر/٨٢ ـ ٨٥).

## فصل
## في معرفة نبيِّنا محمد ﷺ وتبليغه الرِّسالة

**وإكمال الله لنا به الدين، وأنَّه خاتم النبيِّين، وأفضل الخلق أجمعين وأنَّ مَنِ ادَّعى النبوَّة بعده فهو كاذب يكفر من صدَّقه واتبَّعَهُ**

**نَبِيِّنَا محمد مِنْ هاشمٍ إلى الذَّبيح دون شك يَنْتَمِي**

### [نسبه صلَّى الله عليه وسلم]

(**نبينا محمد**) ﷺ (من) ولد (هاشم)، وهو ﷺ أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه مغيرة بن قُصَيّ واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأُمُّهُ ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأُمُّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامرٍ بن غنم بن عدي بن النجار.

وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال.

وأُمُّ عبد مناف حبَّى بنت حُبَيل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

وأم قُصَيّ فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجُدَرَة من جعثمة الأسد من اليمن.

وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين بن الجسر من قضاعة.

وأم لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعي.

وأم غالب ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة.

وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي.

وأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان.

وأم النضر برة بنت مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

وأم خزيمة امرأة من قضاعة.

وأم مدركة بن الياس خِنْدِف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

وأم الياس بن مضر جرهمية.

وأم مضر سودة بنت عك بن عدنان.

وأم ربيعة أخي مضر شقيقة بنت عك بن عدنان، وهاتان القبيلتان المضروب بهما المثل ـ ربيعة ومضر ـ ابنا نزار بن معد بن عدنان. ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار، ولربيعة أخ شقيق أيضاً وهو أنمار بن نزار.

وهذا هو النَّسب المتفق على سرده، لا خلاف فيه لأحد. وكذا لا خلاف في

أنَّ نسب عدنان إلى الذبيح إسماعيل الحليم ابن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام. وكذا لا خلاف في أنَّ إبراهيم ينتمي إلى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة، وكذا لا خلاف في أنَّ نوحاً ينتمي إلى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام. وإنَّما الخلاف في كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم، وبين إبراهيم وسام بن نوح، وبين نوح وشيث بن آدم. وقد كان كثير من أئمة الدين ـ كمالك بن أنس الإمام وغيره ـ يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان. ويقولون: هم رجم بالغيب، وما يدري من يفعل ذلك، والله تعالى يقول ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾ (الفرقان/٣٨) وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: كان قومَ مِنْ السلف ـ منهم عبدالله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأودي ومحمد بن كعب القرظي ـ إذا تلوا ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾ (إبراهيم/٩) قالوا: كذب النسَّابون، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنان يقول: كذب النسَّابون. قال السهيلي: وقد رأى جماعة جوازَ ذلك، منهم ابن إسحق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء، قال أبو عمر بن عبد البر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام[1].

والمقصود أنَّ نبينا محمداً ﷺ أخرجه الله تعالى من أوسط العرب نسباً وأكرمهم حسباً، وأعلاهم كعباً، وأعظمهم جرثومة، وأشرفهم أصلاً وأطيبهم فرعاً.

وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بن مهران الرازي ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعاً عن الوليد. قال ابن مهران: حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلم حدَّثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد أنَّه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد أسماعيل

(١) انظر الروض الأنف (١/٨) وتاريخ الطبري (٢/٢٧٢) والبداية والنهاية (٢/١٩٤).

واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[1].

وروى التِّرمذي عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يارسولَ اللهِ إنَّ قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض. فقال النَّبيّ ﷺ «إنَّ الله تعالى خلق الخلق فجعلني مِنْ خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»[2]. وفي رواية فقام النَّبيّ ﷺ على المنبر فقال: مَنْ أنا؟ فقالوا: أَنْتَ رسولُ اللهِ عليكَ السلام. قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخلْقَ فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً»[3] هذا حديث حسن. وحمى الله تبارك وتعالى أصول نبيِّنا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شيء من ذلك لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعاً «إنِّي وُلِدْتُ مِنْ نكاح ولم أولد مِنْ سِفاح»[4].

## مولده صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

وكان مولده ﷺ عام الفيل كما روى الترمذي وغيره عن عبد المطلب بن

---

(١) مسلم (٤/١٧٨٢/ح ٢٢٧٦) في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

(٢) الترمذي (٥/٥٨٤/ح ٣٦٠٧) في المناقب، باب فضل النبي ﷺ وقال الترمذي: حديث حسن. وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف. ويشهد له الذي قبله.

(٣) الترمذي (٥/٥٨٤/ح ٣٦٠٨) في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن. وأحمد (١/٢١٠) وهو من طريق يزيد بن أبي زياد المتقدم. وهذا اللفظ لم يرو إلا من طريقه. انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/١٦٨) والبداية والنهاية (٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (البداية والنهاية ٢/٢٥٥ ـ ٢٥٦) قال ابن كثير: وهذا مرسل جيد ورواه ابن عدي موصولاً (البداية والنهاية ٢/٢٥٦) وقال: غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح. والحديث له طرق عِدّة كلها لا تخلو من ضعف شديد.

عبدالله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدتُ أنا ورسولُ اللهِ ﷺ عام الفيل. قال: وسأل عثمانُ بن عفان قباثَ بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث: أنْت أكبر أمْ رسول الله ﷺ؟ فقال: رسولُ اللهِ أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد قال: ورأيتُ خَذْق الفيل أخضر مُحيلاً[1]. قال الترمذي: حديث حسن

**مولده بمكَّةَ المُطَهَّرة ... هجرتُهُ لطيبة المنوَّره**
**بَعْدَ أربعينَ بدا الوحيُ بهِ ... ثُمَّ دعا إلى سبيلِ رَبِّهِ**
**عشر سنين أيُّها الناس اعبدوا ... ربّاً تعالى شأنه وَوَحِّدُوا**
**وكان قَبْل ذاك في غارِ حرا ... يخلو بذكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرى**

**(مولده)** ﷺ **(بمكة المطهرة)** من كل رجس حساً ومعنى **(هجرته)** ﷺ **(لطيبة)** المدينة **(المنورة)** وكان ذلك موجوداً في الصحف التي بشرت به ﷺ من التوراة والإنجيل وغيرهما، والآيات في ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى. ثم كان الأمر كما بشرت، فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة إلى الله فيها. ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتي إن شاء الله عز وجل.

## بدء الوحي

**(بعد أربعين)** سنة من عمره ﷺ **(بدأ الوحي)** من الله عز وجل إليه **(به)** ﷺ كما في الصحيحين عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال «كان رسولُ اللهِ ﷺ ربعة مِنَ القوم، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، أَزْهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعدٍ قَطِط ولا سبطٍ رَجِل، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكّة عشر سنين»[2] الحديث.

---

(١) الترمذي (٥/٥٨٩/ح ٣٦١٩) في المناقب، باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ وأحمد (٤/٢١٥) دون الشطر الثاني وابن اسحق في السيرة (١/١٥٩) والحاكم في المستدرك (٢/٦٠٣) وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وسنده حسن. وابن اسحق صرح بالتحديث فيه. والشطر الثاني أخرجه الحاكم (٣/٦٢٥) من سؤال عبد الملك لقباث. قال ابن حجر: المعروف ما أسنده البغوي أن عبد الملك هو الذي سأل قباث وبذلك جزم عبد الصمد وابن سميع ورواه أبو نعيم في الدلائل (ح ٨٤). وحذفه: أي روث.

(٢) البخاري (٦/٥٦٤) في المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ومسلم (٤/١٨٢٤/ح ٢٣٤٧) في =

وكيفية بدء الوحي ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا يحيى بن بكير قال حدَّثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنَّها قالت «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النَّوْمِ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءَتْ مثل فلق الصُّبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغارِ حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أَنْ ينزِعَ إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءَه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. قال فأَخذني فغطني حتى بلغ منِّي الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء. فأَخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمْ﴾ (العلق/١ ـ ٣) فرجع بها رسولُ اللهِ ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زَمِّلوني، زَمِّلُوني فزَمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجةُ: كلاَّ والله لا يخزيك اللهُ أبداً، إِنَّكَ لتصلُ الرَّحم، وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائِب الحقِّ. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة وكان امرءاً قد تَنَصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب مِنَ الإنجيل بالعبرانية ما شاءَ اللهُ أَنْ يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِى. فقالت له خديجةُ: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقةُ: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبرهُ رسولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ ما رأى. فقال له ورقة: هذا النَّاموسُ الذي أَنْزل الله على موسى. يا ليتني فيها جذع. ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأت رجُلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي. وإِنْ يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أَنْ توفي وفتر الوحيُ». قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة

= الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه.

الوحي. فقال في حديثه «بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً مِنَ السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعتُ فقلتُ: زَمِّلوني زَمِّلوني. فأنزل الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ - إلى قوله - وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر/١ - ٥) فحمى الوحي وتتابع». تابعه عبدالله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهري. وقال يونس ومعمر «بوادِرُهُ»[1]. حدَّثنا موسى بن إسماعيل قال حدَّثنا أبو عوانة قال حدَّثنا موسى بن أبي عائشة قال حدَّثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (القيامة/١٦) قال «كان رسول الله ﷺ يعالِجُ من التنزيل شِدَّةً وكان مما يحرك شفتيه. فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكَ كما كان رسولُ اللهِ ﷺ يحركهما. وقال سعيد: وأنا أحركهما كما رأيتُ ابنَ عبَّاس يحركهما. فحرك شفتيه. فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة/١٦ - ١٧) قال جمعه لك بصدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة/١٨) قال فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة/١٩) ثم إنَّ علينا أَنْ تقرأه وكان رسولُ اللهِ ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريلُ استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النَّبيّ ﷺ كما قرأه»[2] وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «أَنَّ الحارثَ بنَ هشام رضي الله عنه سأل رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلةِ الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثَّلُ ليَ الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»

---

(١) البخاري (١/٢٣) في بدء الوحي باب رقم «٣» وفي الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً)، وفي تفسير سورة (إقرأ باسم ربك الذي خلق)، وفي التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ومسلم (١/١٣٩ - ١٤٣/ح ١٦٠) في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله ﷺ.

(٢) البخاري (١/٢٩) في بدء الوحي، وفي تفسير سورة القيامة، وفي فضائل القرآن، باب قول الله تعالى: (لا تحرك به لسانك)، ومسلم (١/٣٣٠/ح ٤٤٨) في الصلاة، باب الاستماع للقراءة.

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيتُهُ ينزل عليه الوحي في اليومِ الشَّديد البَرْدِ فَيَفْصِمْ عَنْهُ وإنَّ جبينَهُ ليتفصَّدُ عَرَقاً»[1].

## [دعوته إلى سبيل ربه]

**(ثم دعا إلى سبيل ربه)** وهو على دين الإسلام الذي أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، وهو دينه في السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه، **(عشر سنين)** دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس ولا غيرها قائلاً **(أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه)** لا تعبدوا إلا الله **(ووحدوا)** تفسير لذلك. وهذه دعوة من قبله من نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ كلهم يقول ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرِهِ**﴾ (الأعراف/٥٩) وكانت الدعوة في أول البعثة سراً ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره[2]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زال النَّبيّ ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿**وَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الحجر/٩٤)[3]. وقال البخاري رحمه الله تعالى في تفسير سورة الشُّعراء: قوله عز وجل ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ـ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**﴾ (الشعراء/٢١٤). حدَّثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ حدَّثنا أبي حدَّثنا الأعمش قال حدثني عمرُو بنُ مُرَّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لمَّا نزلتْ ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (الشعراء/٢١٤) صعد النَّبيّ ﷺ على الصَّفا فجعل ينادي: يا بني فِهر، يا بني عَديّ لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرَّجُلُ إذا لم يستطع أَنْ يخرُجَ أَرْسَلَ رسولاً لينظر ما هو. فجاءَ أبو لهب وقريشٌ فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أَنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أَنْ تُغير عليكم أَكُنْتم مصدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلّا صِدقاً. قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدَيْ عذابٍ شديدٍ. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تَبَّتْ**

---

(١) البخاري (١/١٨) في بدء الوحي، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (٤/١٨١٦/ح ٢٣٣٣) في الفضائل، باب عرق النبي ﷺ.

(٢) ابن هشام (١/٢٨٠).

(٣) ابن جرير في تفسيره (١٤/٦٨).

يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبْ﴾ (المسد/١ - ٢)[١].

حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيدُ بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال «قام رسولُ اللهِ ﷺ حين أَنْزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبدِ مناف، لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يا عبَّاسُ بنُ عبدِ المطلب، لا أُغني عنك من اللهِ شيئاً. ويا صفيةُ عمّةُ رسولِ اللهِ ﷺ، لا أُغني عنكِ مِنَ اللهِ شيئاً. ويا فاطمة بنْتُ محمدٍ ﷺ، سليني ما شئت مِنْ مالي، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً»[٢]. ورواهما مسلم أيضاً وقال رحمه الله: حدَّثنا قتيبةُ بنُ سعيد وزهيرُ بنُ حرب قالا: حدَّثنا جريرُ عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «لمَّا نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) دعا رسولُ اللهِ ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: يا بني كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النَّارِ، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكُمْ مِنَ النَّارِ. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النَّارِ. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النَّارِ. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النَّارِ. يا فاطمةُ، أنقذي نفسك من النَّارِ، فإنِّي لا أملكُ لكم مِنَ الله شيئاً غير أَنَّ لكم رحماً سأَبُلُّها ببلالها»[٣]. وله عن عائشة رضي الله عنها قالت «لمَّا نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) قام رسولُ اللهِ ﷺ على الصَّفا فقال: يا فاطمةُ بنتُ محمد، يا صفيَّةُ بنتُ عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم مِنَ اللهِ شيئاً، سلوني من مالي ماشئتم»[٤]، وله عن قبيصة بن المخارق

---

(١) البخاري (٨/٥٠١) في تفسير سورة الشعراء، باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، وفي الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، وفي الأنبياء، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، وفي تفسير سورة سبأ وفي تفسير سورة تبّت.

(٢) البخاري (٨/٥٠١ - ٥٠٢) في تفسير سورة الشعراء، باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

(٣) مسلم (١/١٩٢ - ١٩٣/ح ٢٠٦) في الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

(٤) مسلم ١/١٩٢/ح ٢٠٥) في الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

وزهير بن عمرو قالا «لما نزلتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) انطلق رسولُ اللهِ ﷺ إلى رضْمة مِنْ جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: يا بني عبد مناف إِنِّي نذير، إِنَّما مثلي ومثلكم كمثل رجُلٍ رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أَنْ يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه. وكان قبل ذلك في غار حراء الخ»[1] تقدم معناه في حديث الحارث بن هشام.

(١) مسلم (١/١٩٣/ح ٢٠٧) في الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

## حديث الاسراء والمعراج

وبعـد خمسيـنَ مِنَ الأَعـوامِ  مضتْ لِـعُمْـر سَيِّـدِ الأَنـامِ
أسـرى بـه اللهُ إليـهِ في الـظُّلم  وفـرض الخمس عليـه وحتم

وكـان الإسـراء من المسجـد الحـرام إلى المسجـد الأقصى، والمعـراج من المسجـد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شـاء الله عز وجـل، قـال الله تبـارك وتعالى في ذكـر الإسـراء: ﴿بِسْمِ اللهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ، سُبْحَـانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَـرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الإسراء/١). وقال تبارك وتعالى في ذكـر المعراج ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَـزْلَةً أُخْـرَى عِنْدَ سِـدْرَةِ المُنْتَهَى. عِنْدَهَـا جَنَّةُ المَـأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّـدْرَةَ مَـا يَغْشَى. مَـا زَاغَ البَصَـرُ وَمَـا طَغَى. لَقَـدْ رَأَى مِنْ آيَـاتِ رَبِّـهِ الكُبْرَى﴾ (النجم/١٣ - ١٨).

وقـال البخـاري رحمـه الله تعـالى: بـاب حـديث الإسـراء وقـول الله تعـالى ﴿سُبْحَـانَ الَّذِي أَسْـرَى بِعَبْدِهِ لَيْـلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَـرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ (الإسراء/١) حدَّثنا يحيى بن بكير حدَّثنا الليث عن عقيـل عن ابن شهاب حـدَّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعتُ جـابرَ بنَ عبـدالله رضي الله عنهما قـال سمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقول «لمـا كـذبني قـريش، قُمْتُ في الحجـر فجـلا اللهُ لي بيتَ المقْدِس، فطفقت أُخبـرهم عن آياتـه وأنا أنـظر إليه»[1]. بـاب المعراج. حـدَّثنا هدبةُ بنُ خالد حدثنا همام بن يحيى حدَّثنا قتادةُ عن أنس بن مالك عن مالك ابن

---

(١) البخاري (١٩٦/٧) في مناقب الأنصار، باب حديث الأسراء، وفي تفسير سورة الإسراء، باب قوله تعالى: (أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام)، مسلم (١/١٥٦/ح ١٧٠) في الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدَّجَّال.

صعصعة رضي الله عنهما أَنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ حدثهم عَنْ ليلة أسرى بـه قال: «بينمـا أنـا في الحطيم ـ وربمـا قال في الحجـر ـ مضـطجعـاً إذ أتـاني آتٍ، فقـد قـال وسمعتُه يقول، فشقَّ ما بين هذه إلى هذه» فقلتُ للجارود وهو إلى جنبي ما يعني بـه؟ قال من ثغـرةِ نحـره إلى شعـرتـه. وسمعتُـهُ يقـول: مِنْ قَصِّـهِ إلى شِعْـرَتِـهِ «فـاستخـرج قلبي. ثم أُتيتُ بـطست من ذهب مملوءة إيمـانـاً فغسـل قلبي، ثم حُشي، ثم أعيد. ثم أُتيت بدابـةٍ دون البغل وفـوق الحمار أبيض» فقـال الجارود هو البراقُ يا أبا حمـزة؟ قال أنس نعم «يضـع خطوَهُ عنـد أقصى طرفـه، فحُملتُ عليه، فانطلق بي جبريل حتَّى أتى السَّماءَ الدنيا فـاستفتح، فقيـل من هذا؟ قـال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أُرْسِلَ إليه؟ قال نعم، قيل مَـرْحباً بـه فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففتـح فلما خلصتُ فـإذا فيها آدم فقـال: هـذا أبـوك آدم فسلِّم عليـه، فسلَّمتُ عليه فـردَّ السلام، ثم قـال مرحبـاً بـالابن الصـالـح والنبيِّ الصَّالح. ثم صعِدَ حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريـل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أُرسل إليه؟ قال نعم، قيل مـرحباً بـه فنعمَ المجيءُ جاء. ففتح فلما خَلَصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنـا الخالـة، قال هـذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. فسلمت فردَّا ثم قالا: مرحبـاً بالأخ الصـالح والنبيِّ الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح. قيـل مَنْ هذا؟ قـال جبريـل. قيل ومن معك قال محمد ﷺ، قيل وقد أُرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحباً به فنعم المجيء جـاء ففتح فلمـا خَلَصتُ فإذا يـوسف، قـال هـذا يـوسف فسلّم عليـه، فسلمتُ عليه فردّ ثم قال مرحباً بالأخِ الصَّالح والنبيّ الصالح. ثم صَعِدَ بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح. قيل من هـذا؟ قال جبـريل. قيـل ومن معك؟ قـال محمد ﷺ. قيل أو قد أُرْسِلَ إليه؟ قال نعم. قيل مرحبـاً به فنعم المجيء جـاء. فلما خَلَصْتُ إذا إدريس، قال هذا إدريس فسلِّمْ عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قـال مرحباً بالأخِ الصالـحِ والنبيِّ الصالـح، ثم صَعِدَ بي حتى أتى السمـاء الخامسـة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل أو قد أرسـل إليـه؟ قـال نعم. قيـل مـرحبـاً بـه فنعمَ المجيء جـاء. فلم خَلَصْتُ فـإذا هـارون، قال هـذا هارون فسَلِّمْ عليـه، فسلمتُ عليه فـرد ثم قال مـرحباً بـالأخِ

الصَّالح والنبيِّ الصالحِ ، ثم صَعِدَ بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، قيل من هذا؟ قال جبريل ، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ ، قيل أَوَ قَدْ أُرسل إليه؟ قال نعم ، قال مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصتُ فإذا موسى ، قال هذا موسى فسلَّم عليه ، فسلمتُ عليه فردَّ ثم قال مرحباً بالأخِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالحِ ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممنْ يدخلها مِنْ أُمَّتي . ثم صعِدَ بي إلى السَّابعة فاستفتح جبريل ، قيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل ومن مَعَكَ؟ قال محمد ﷺ ، قيل وقد بُعِثَ إليه؟ قال نعم ، قال مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصتُ فإذا إبراهيم قال : هذا أبوك فسلِّم عليه ، فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام قال مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح . ثم رُفِعَتْ إليَّ سِدْرَةُ المنتهى فإذا نبقُها مثلُ قِلال هَجَر ، وإذ ورقها مثل آذَانِ الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهرانِ باطنان ونهرانِ ظاهران ، فقلت ما هذان يا جبريل؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيلُ والفرات ، ثم رُفع لي البيتُ المعمور ثم أُتيتُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ وإناء من عسلٍ ، فأخذتُ اللَّبن فقال هي الفطرة أَنْت عليها وأُمَّتُكَ ، ثم فُرِضَتْ عليَّ الصلوات خمسين صلاةً كل يوم ، فرجعتُ فمررتُ على موسى فقال : بما أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إنَّ أُمتك لا تستطيع خمسين صلاة كلَّ يومٍ ، وإنِّي والله قد جربت الناس قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أَشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف لأُمَّتك ، فرجعت فوضع عنِّي عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فوضع عني عشراً ، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنِّي عشْراً ، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فَأُمِرْتُ بعشرِ صلواتٍ كُلَّ يومٍ ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأُمِرْتُ بخمس صلواتٍ كُلَّ يومٍ . فرجعتُ إلى موسى فقال : بما أُمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يومٍ ، قال : إنَّ أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنِّي قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أَشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربِّك فاسأَلْهُ التخفيف لأُمَّتِكَ ، قال سأَلْتُ ربِّي حتى استحييتُ ولكني أرضى وأسلم ، قال فلما تجاوزتُ ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخفَّفْتُ عن

عبادي»[1]، رواه مسلم مختصراً. قلت وقوله في هذه الرواية عن إدريس مرحباً بالأخ الصالح هذا قد يشكل، لأن إدريس من آبائه، والمعنى والله أعلم على ما في الحديث «نحن معاشر الأنبياء أبناء علات»[2]. الخ.

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ عبدالله حدَّثني سليمان عن شريك بن عبدالله أنَّه قال: سمعتُ ابن مالك ـ يعني أنساً رضي الله عنه ـ يقول ليلةَ أُسرى برسولِ الله ﷺ من مسجد الكعبة «إنَّه جاءَه ثلاثةُ نفرٍ قبل أَنْ يوحى إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلةً أخرى فيما يرى قلبُهُ وتنامُ عينه ولا ينام قلْبُهُ. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فلم يكلِّموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئْرِ زمزم فتولاه منهم جبريلُ فشقَّ جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه. ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديده ـ يعني عروق حلقه. ثم أطبقه. ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أَهل السماء: مَنْ هذا؟ فقال جبريل. قالوا ومَنْ معك؟ قال محمد، قال وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر أَهلُ السماءِ لا يعلم أهل السماء بما يريدُ اللهُ به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوكَ فسلِّم عليه، فسلَّم وردَّ عليه آدم وقال مرحباً وأهلاً يا بنيَّ نعم الابن أَنْتَ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال هذا النيل والفرات. ثم مضى به في السماءِ فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك، فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي خَبَّأَ لك

---

(١) البخاري (٧/٢٠١ ـ ٢٠٢) في مناقب الأنصار، باب المعراج، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً)، وباب قول الله تعالى: (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)، ومسلم (١/١٤٩ ـ ١٥٠/ح ١٦٤) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٢) البخاري (٦/٤٧٧ ـ ٤٧٨) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ومسلم (٤/١٨٣٧/ح ٢٣٦٥) في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

ربُّكَ. ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال جبريل، قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا مرحباً به وأهلاً. ثم عُرِجَ به إلى السماء الثالثة وقالوا مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عُرِجَ به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك، ثم عُرِجَ به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عُرِجَ به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عُرِجَ به إلى السماءِ السابعة فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سمَّاهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمَهُ وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى ربِّ لم أظن أَنْ يرفع عليّ أحدٌ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى حتى جاء سِدْرَةِ المنتهى ودنا الجبَّارُ ربُّ العزَّةِ فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أُمَّتِكَ كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربُّكَ؟ قال عهد إلي خمسين صلاة كلَّ يوم وليلة، قال إنَّ أُمَّتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفِّف عنك ربُّك وعنهم، فالتفتَ النَّبيّ ﷺ إلى جبريل كأنَّه يستشيرُهُ في ذلك، فأشار إليه جبريل أَنْ نعم إنْ شِئْتَ، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: يا ربِّ خفف عنَّا فإنَّ أُمَّتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربِّه حتَّى صارت الى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عِنْد الخمس فقال يا محمد واللهِ لقد راودتُ بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأُمَّتكَ أضعفُ أَجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفِّف عنك ربُّكَ، كل ذلك يلتفت النَّبيُّ ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال؛ يا ربِّ إنَّ أُمَّتي ضعفاء أجسامهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفِّف عنَّا. فقال الجبَّارُ: يا محمد، قال لبَّيْكَ وسعديك، قال إنَّهُ لا يبدل القول لديّ، كما فرضتُ عليك في أُمِّ الكتاب. قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أُمِّ الكتاب وهي خمسٌ عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال خفَّف عنَّا، أعطانا بكل حَسَنَةٍ عشر أمثالها، قال موسى: قد واللهِ

راودتُ بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، إرْجع إلى ربِّك فليخفِّف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: يا موسى قَدْ والله استحييتُ مِنْ ربِّي مما اختلفت إليه. قال فاهبط باسْمِ اللهِ. قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام»[1].

ورواه مسلم بعد حديث ثابت البناني أصله وقال نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأَخَّر وزاد ونقص، وهذا السياق روايته لحديث ثابت قال رحمه الله تعالى: حدَّثنا شيبانُ بنُ فروخ حدَّثنا حمادُ بنُ سلمة حدَّثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «أتيت بالبراقِ، وهو دابة أبيض طويل فوقَ الحمار ودون البَغْلِ يضع حافرَهُ عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أَتيت بيتَ المقدس. قال فربطته بالحلقَةِ التي يربط بها الأنبياءُ. قال ثم دخلتُ المسجد فصلَّيْتُ فيه ركعتين ثم خرجْتُ، فجاءني جبريلُ عليه السلام بإناءِ مِنْ خمرٍ وإناءٍ مِنْ لبنٍ فاخترتُ اللَّبن فقال جبريلُ عليه السلام: اخترتَ الفطرة. ثم عُرِجَ بنا إلى السماء فاسْتفتح جبريل فقيل: مَنْ أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السَّماء الثانية فاستفتح جبريلُ عليه السلام، فقيل من أَنْتَ؟ قال جبريل، قيل ومَنْ معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بُعِث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلواتُ اللهِ عليهما وسلامُهُ، فرحَّبا ودعوا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أَنْتَ؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قيل وقد بعث إليه قال قد بعث اليه. ففتح لنا فإذا أنا

---

(١) البخاري (١٣/٤٧٨ - ٤٧٩) في التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليما)، وفي الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ. والحديث فيه أن الإسراء كان قبل البعثة النبويّة. وهذا خطأ. فإنَّ هذا الحديث من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر. وقد اضطرب في حديث الإسراء هذا وساء حفظه ولم يضبطه. قال ابن القيم: وأما ما وقع في حديث شريك أن ذلك كان قبل أن يوحى إليه فهذا ما عُدَّ من أغلاط شريك الثمانية. وسوء حفظه لحديث الإسراء (زاد المعاد ١/٩٩ - ١٠٠). وقال الحافظ في الفتح: قوله (قبل أن يوحى إليه) أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي. وعلى الحديث مؤاخذات أخرى أهمها أن الحديث ينسب التدلي إلى الله وهذا خلاف ما عليه أئمة التفسير أنه جبريل عليه السلام. نظر الفتح (١٣/٤٨٥).

بيوسف عليه السلام إذ هو قد أعطى شَطْرَ الحسن فرحَّب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السَّماءِ الرابعة فاستفتح جبريلُ عليه السلام، قيل مَنْ هذا؟ قال جبريل، قيل ومَنْ معك؟ قال محمد ﷺ. قال وقد بُعِثَ إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح الباب فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحَّب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ (مريم/٥٧) ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريلُ، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومَنْ معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بُعِثَ إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهرون عليه السلام، فرحَّب ودعا لي بخير، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريلُ عليه السلام، وقيل مِنْ هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث اليه، ففتح لنا فإذا بموسى عليه السلام فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهرهُ إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا تمرها كالقلال، قال فلما غشيها مِنْ أمر الله ما غشى تغيَّرت فما أحدٌ مِنْ خلق الله يستطيع أَنْ ينعقها مِنْ حسنها، فأوحى الله إلى ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربُّك على أُمَّتك؟ قلت خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف فإنَّ أُمَّتك لا يطيقون ذلك فإنِّي قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعتُ إلى ربِّي فقلت يا ربِّ خَفِّفْ عن أُمَّتي، فحَطَّ عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى فقلت حطَّ عنِّي خمساً، قال إنَّ أُمَّتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف. قال فلم أزل أرجع بين ربِّي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنَّهنَّ خمس صلوات كل يومٍ وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة، فإنْ عملها كتبت له عشْراً. ومن همَّ بسيّئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدة. قال فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى عليه

السلام فأخْبرتُهُ، فقال ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف، فقال رسولُ اللهِ ﷺ فقلت قد رجعتُ إلى ربِّي حتى استحييتُ منه[1].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب كيف فُرِضت الصلاة في الإسراء. حدَّثنا يحيى بن بكير قال حدَّثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدِّثُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: فُرِجَ عن سقف بيتي وأَنا بمكَّة فنزل جبريلُ ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطسْتٍ من ذهب مُمْتلىء حكمةً وإيماناً فأَفْرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا. فلمَّا جئتُ إلى السماء الدنيا قال جبريلُ لخازن السماءِ: افتح. قال: من هذا؟ قال جبريلُ، قال هل معك أحدٌ؟ قال نعم معي محمد ﷺ، فقال أُرسل إليه؟ قال نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجلٌ قاعِدٌ على يمينه أَسْوِدَةٌ وعلى يساره أَسودةٌ، إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قِبَلَ يساره بكى، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أَهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح. قال أنس فذكر أَنَّه وجد في السماوات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أَنَّه ذكر أَنَّه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة، قال أنس: فلما مرَّ جبريلُ بالنَّبيِّ ﷺ بإدريس قال مرحباً بالنبيِّ الصالح والأَخ الصالح، فقلت مَنْ هذا؟ قال هذا ادريس، ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبيِّ الصالح والأَخِ الصالح، قلت مَنْ هذا؟ قال هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبيِّ الصالح، والأخ الصالح، قلت مَنْ هذا؟ قال هذا عيسى، ثم مررتُ بإبراهيم فقال مرحباً بالنَّبيِّ الصالح والابن الصالح. قلت مَنْ هذا؟ قال هذا ابراهيم عليه السلام. قال ابن شهاب فأخبرني

---

(١) مسلم (١/١٤٥ - ١٤٧/ح ١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

ابن حزم أَنَّ ابْنَ عباس وأبا حبَّة الأنصاري كانا يقولان: قال النبيّ ﷺ «ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوىً أَسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبيُّ ﷺ «ففرض الله على أُمَّتي خمسين صلاة، فرجعتُ بذلك حتى مررتُ على موسى فقال ما فرض الله لك على أُمَّتك؟ قلتُ فرض خمسين صلاة، قال فارجع إلى ربِّك فإنَّ أُمَّتك لا تطيق ذلك، فراجعتُ فوضع شطرها، فرجعتُ إليه فقال: ارجع إلى ربك فإنَّ أُمَّتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال هي خمسٌ وهي خمسون لا يبدَّلُ القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربَّك، فقلتُ استحييت من ربِّي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سِدْرَةِ المنتهى وغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدخلتُ الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ وإذا ترابُها المسك. وافقه عليه مسلم رحمه الله تعالى[1].

وله عن مُرَّة عن عبد الله قال لما أُسرى برسولِ اللهِ ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيُقْبض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبط به من فوقها فيُقْبض منها، قال ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**﴾ (النجم/١٦) قال فراشٌ من ذهب، قال فأُعطي رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثاً: أُعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمَنْ لم يشركْ بالله مِنْ أمته شيئاً المقحمات[2].

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لقد رأيتُني في الحجر وقريشٌ تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكُربْتُ كربةً ما كُربْتُ مثلها قط، قال فرفعه الله لي أنظر إليه: ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهُم به»[3] الحديث.

وهذا الذي ذكرنا من حديث أنس وجابر ومالك بن صعصعة وأبي ذر وابن

---

(١) البخاري (١/٤٥٨ ـ ٤٥٩) في الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، وفي الأنبياء، باب ذكر ادريس عليه السلام، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٤٩/ح ١٦٣) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات.

(٢) مسلم (١/١٥٧/ح ١٧٣) في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٣) مسلم (١/١٥٦ ـ ١٥٧/ح ١٧٢) في الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدَّجَّال.

مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأبي حبة هي من أصح ما ورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لاتّفاق الشيخين على إخراجهما، وعن هؤلاء روايات أخر لم نذكرها استغناء عنها بما في الصحيحين.

وفي الباب أحاديث أخر عن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر: عمر بن الخطاب وعلي وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبدالله بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومي وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين. ثم الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أنَّ الإسراء والمعراج كانا يقظة لا مناماً، ولا ينافي ذلك ما ذكر في بعض الروايات في قوله ﷺ بينا أنا نائم فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنَّه استمر نائماً، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحْياً، ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أُسري بروحه وجسده يقظة لا مناماً، وكذا لاينافي ذلك رواية شريك «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» فإن رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس في أكثر من عشرة مواضع سردها في الفتح، وسياقه يدل على أنَّه بالمعنى، وصرَّح في مواضع كثيرة أنَّه لم يثبتها، وتصريح الآية ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ (الإسراء/١) شامل للروح والجسد، وكذلك قوله تعالى في سورة النجم ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ (النجم/١٣) جعل رؤية النَّبيّ ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطح، وهي رؤية عَين حقيقة لا مناماً. ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم كُنَّا نضربُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمدٌ يزعم أنَّه أُسري به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ، لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى، لأنَّ الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه، وإنما قصَّ عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناماً فكذَّبوه واستهزؤوا به استبعاداً لذلك واستعظاماً له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأنَّ الله

يفعل ما يريد، ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال: إنْ كان قال ذلك لقد صدق، قالوا وتصدقه بذلك؟ قال نعم، إنِّي لأُصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه، يأتيه بكرةً وعشيا. أو كما قال.

## [هل رأى النبي ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟]

واختلف السلف الصالح هل رأى نبيُّنا محمدٌ ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟ فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتعجبون أنْ تكون الخلّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ[1]؟ وعن عكرمة قال: سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال نعم. قال فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى ﴿لا تَدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾؟ (الأنعام/١٠٣) قال لا امَّ لك، ذلك نورُه إذا تجلَّى بنوره لم يدركه شيء[2]. وروى عنه من طرق لا تحصى كثرة قال: رأى محمد ﷺ ربَّه[3]. وعنه رآه بقلبه[4]. وفي رواية: رآهُ بفؤاده مرَّتين[5]، رواه مسلم وغيره. وله عن أبي ذر قال: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٧) وابن أبي عاصم في السنة ١/١٩٢/ح ٤٤٢) والحاكم في المستدرك (١/٦٥)، والنسائي في الكبرى كما في التحفه (٥/١٦٥) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٣٩٥/ح ٣٢٧٩) في التفسير، باب ومن سورة النجم، وقال: هذا حديث حسن غريب وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٨) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٩٠/ح ٤٣٧). وأخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه واللالكائي في السنة كما في الدر المنثور (٣/٣٣٥) وفي إسناده الحكم بن إبان قال الحافظ عنه: صدوق عابد وله أوهام.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٨٩/ح ٤٣٥) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٨) والحاكم في المستدرك (١/٦٥) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١/١٥٨/ح ١٧٥) في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى) والترمذي (٥/٣٩٦/ح ٣٢٨١) في التفسير، باب ومن سورة النجم، وقال: هذا حديث حسن.

(٥) مسلم (١/١٥٨/ح ١٧٦) في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى). وقد اضطربت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في اطلاق الرؤية أو تقييدها بالفؤاد. والصحيح تقييدها بالفؤاد، إذ هي أقوى الروايات عنه وهي هذه والتي سبقتها. وهي توافق حديثه عند أحمد مرفوعاً «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة ـ أحسبه يعني في النوم ـ فقال: يا محمد: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟...» فذكره. وتوافق قول رسول الله ﷺ في تفسير «ولقد رآه نزلة أخرى» كما سيأتي قريباً.

هل رأيتَ ربَّك؟. قال: نورٌ أَنَّى أَراهُ؟ وفي رواية قال: رأيت نوراً[1].

قال ابن خزيمة في قوله «نور أَنَّى أراه»: هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه إِنِّي أراه، أو كيف أراه فهو نور، أو فإنَّ ما أرى نور. ويؤيد هذا رواية «رأيت نوراً». المعنى الثاني النفي قال: والعرب قد تقول «أَنَّى» على معنى النفي كقوله عز وجل ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ (البقرة/٢٤٧)، الآية، يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أَحقُّ بالملك منه، ثم روى عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يرهُ بعينه[2].

وله عن عباد بن منصور قال: سألت الحسنَ فقلت ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم/٨) من ذا يا أبا سعيد؟ قال ربي[3]. وله عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلِفُ باللهِ لقد رأى محمدٌ ﷺ ربَّه[4]. وله عن كعب قال: إِنَّ اللهَ قسم رؤيتَهُ وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلَّم موسى مرتين[5]. وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم/١١) فقال عكرمة تريد أَنْ أُخبرك أَنَّه قد رآه؟ قلتُ نعم. قال قد رآه، ثم قد رآه[6]. وروى ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النَّبيّ ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال «لم أرَه

---

(١) مسلم (١/١٦١/ح ١٧٨) في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: نور أني أراه وفي قوله: رأيت نوراً.

(٢) ابن خزيمة (ص ٢٠٨).

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢١٣) وعباد بن منصور ضعيف. وقال الحافظ: صدوق رمي بالقدر وكان يدلس وتغير بآخرة وهو خلاف الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولقد رآه نزلة أخرى». أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين...» وهذا يثبت ما قدمنا في حديث شريك وأنه قد وهم في بعض ألفاظه ومنها حين نسب التدلي لله عز وجل.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٩ ـ ٢٠٠). وفيه المبارك بن فضالة والجمهور على طعن حفظه.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٢). وسنده صحيح إليه.

(٦) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٢٦٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/٤٨) وسنده صحيح إليه. وتفسيره هذا هو خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ وهو أن الذي رآه هو جبريل كما تقدم من حديث عائشة مرفوعاً عند مسلم.

بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين» ثم تلا ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدلى﴾ (النجم/٨)[١]. وقال البغوي: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو أنس والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه. قال ابن كثير: وقول البغوي فيه نظر[٢]. وروى البخاري ومسلم عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت مِنْ «ثلاث من حدثكهن فقد كذب: مَنْ حدَّثك أَنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذب ـ ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى/٥١) ـ ومن حدثك أَنَّه يعلم ما في غد فقد كذب ـ ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ (لقمان/٣٤) ومن حدَّثك أَنَّه كتم فقد كذب ـ ثم قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة/٦٧) الآية ـ ولكنَّه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرَّتين»[٣] هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم عن مسروق قال: كُنْتُ متَّكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت «يا أبا عائش ثلاثٌ مَنْ تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظم على اللهِ الفرية، قلتُ: ما هنَّ؟ قالت: مَنْ زعم أَنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على اللهِ الفرية. قال: وكنتُ متَّكئاً فجلست فقلت: يا أُمَّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير/٢٣)، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم/١٣) فقالت: أنا أول هذه الأمَّة سأَل عن ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إِنَّما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين، منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٦٤٨/٧) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٢٦٨/٤) وابن جرير (٤٩/٢٧ ـ ٥٠) وإسناده ضعيف. فيه محمد بن حميد الرازي وهو متهم. وموسى بن عبيدة وهو ضعيف. وهو خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ كما تقدم من حديث عائشة وكما سنذكر تالياً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البغوي (٢٤٥/٥) وابن كثير في تفسيره (٢٦٧/٤).

(٣) البخاري (٢٧٥/٨) في تفسير سورة المائدة، باب قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي تفسير سورة والنجم، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا).

فقالت أو لم تسمع أَنَّ الله يقول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) أو لم تسمع أن الله يقول ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/٥١) قالت: ومَنْ زعم أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كتم شيئاً مِنْ كتابِ اللهِ فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالته﴾ (المائدة/٦٧) قالت ومَنْ زعم أَنَّه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ (النمل/٦٥) وزاد في رواية ـ قالت: ولو كان محمدٌ ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل إليه لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب/٣٧)[1]. وعن أبي هريرة وابن مسعود في آية النجم مثل قول عائشة[2].

---

(١) مسلم (١/١٥٩ ـ ١٦٠/ح ١٧٧) في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى).

(٢) أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقد رواه مسلم في صحيحه (١/١٥٨/ح ١٧٥) في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى)، وهل رأى النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء. قال عطاء عن أبي هريرة: ولقد رآه نزلة أخرى. قال: رأى جبريل وكذلك ابن مسعود رضي الله عنه. رواه مسلم كذلك في صحيحه (١/١٥٨/ح ١٧٤) في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى. قال زِرٌّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود، قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.
وقد روى الإمام أحمد حديث ابن مسعود مرفوعاً. قال ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى) قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت جبريل وله ستمائة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت (المسند ١/٤٦٠) قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.
ورواه أحمد كذلك من طريق أخرى مرفوعاً بلفظ: رأيت جبريل على سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح (المسند ١/٤٠٧). وقال ابن كثير: وهذا أيضاً إسناده جيد.
فما تقدم يعلم أن الذي رآه النبي ﷺ ليلة أسري به هو جبريل عليه السلام لورود ذلك من صاحب الشأن وهو رسول الله ﷺ ولا عبرة لقول غيره مع قوله.

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في قول عائشة رضي الله عنها «فقد أعظم على الله الفرية» قال: هذه لفظة أحسب عائشة تكلَّمت بها في وقت غضب كانت لفظة أحسنَ منها يكون فيها درك لبغيتها، كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أَنْ يقول قائل أو قائلة قد أعظم ابنُ عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على رَبِّهم، ولكن قد يتكلم المرءُ عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر ما في هذا أَنَّ عائشة رضي الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا: هلى رأى النَّبيّ ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: لم يرَ النبيُّ ﷺ ربَّه، وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما قد رأى النبيُّ ﷺ ربَّه، وقد أعلمتُ في مواضع من كتبنا أَنَّ النَّفي لا يوجب علماً والإثبات هو الذي يوجب العلم، لم تحك عائشة عن النَّبيّ ﷺ أَنَّه خبرها أَنَّه لم ير ربَّه عز وجل[1]، وإنما تلت قوله عز وجل ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام/١٠٣) وقوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً﴾ (الشورى/٥١) ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أَنَّه ليس في واحدةٍ مِنْ الآيتين ما يستحق من قال إِنَّ محمداً رأى ربَّه الرمي بالفرية على الله، كيف بأَنْ يقول قد أعظم الفرية على الله ـ ثم قال رحمه الله

---

= أما قول النبي ﷺ من حديث أبي ذَر: رأيت نوراً. فهو نور الحجاب. إذ حجابه سبحانه وتعالى: النور.

قال أبو موسى رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام. يُخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. رواه مسلم (١/١٦١ ـ ١٦٢/ح ١٧٩).

ولكن النبي ﷺ رأى ربه في المنام كما قدمنا من حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه أحمد (١/٢٦٨). إذ عليه يحمل كلام ابن عباس أن النبي ﷺ رأى ربه.

وما سيأتي من محاولة ابن خزيمة تخطئة عائشة رضي الله عنها. فإنه هو المخطىء كما قال ابن كثير.

وأما قول ابن خزيمة رحمه الله أن عائشة سألت رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابت بهذا القول الذي سمعته من رسول الله ﷺ فمردود فإن عائشة رضي الله عنها. قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية كما تقدم. وأما احتجابه بحديث أنس فقد تقدم القول فيه وغلط شريك في تلك الرواية.

(١) بل أخبرت رضي الله عنها من قوله ﷺ حين سألته. وقد تقدم ذكر ذلك.

تعالى: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أَنَّ النَّبيّ ﷺ قد رأى ربه[1]، وبيقين يعلم كل عالم أَنَّ هذا ليس من الجنس الذي يدرك بالعقول والآراء والجنان والظُّنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبيٍّ مصطفى، ولا أَظُنُّ أَحداً من أهل العلم يتوهم أَن ابن عباس قال رأى النَّبيّ ﷺ ربَّه برأي ولا ظن لا ولا أبو ذر ولا أنس بن مالك. نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة، كذلك ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم النَّبيّ ﷺ قد دعا النَّبيّ ﷺ له أَنْ يرزق الحكمة والعلم. وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن معاني القرآن فيقبل منه وإِنْ خالفه غيره ممن هو أكبر سناً منه وأقدم صحبة للنبي ﷺ، وإذا اختلفا فمحال أَنْ يقال قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأَنَّه قد أثبت شيئاً نفتْهُ عائشة رضي الله عنها، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة، وإن غلط بعض العلماء في معنى الآية من كتاب الله عز وجل أو خالف سنَّة أو سناً من سنن النَّبيّ ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن، فكيف يجوز أَنْ يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئاً لم ينفه كتاب ولا سنة، فتفهموا هذا لا تغالطوا. ثم قال رحمه الله تعالى: وقد كُنْتُ قديماً أقول إِنَّ عائشة حكت عن النَّبيّ ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألة أَنَّ النَّبيّ ﷺ لم يرَ ربَّهُ جل وعلا وأَنَّ النَّبيّ ﷺ أعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك وأبو ذر رضي الله عنهم عن النَّبيّ ﷺ أَنَّه رأى ربَّهُ لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أَنَّ الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النَّبيّ ﷺ أَنَّه رأى ربَّهُ إذ جائز أَنْ تكون عائشة رضي الله عنها سمعت النَّبيّ ﷺ يقول لَمْ أَرَ ربِّي قبل أَنْ يرى ربه عز وجل، ثم يسمع غيرها أَنَّ النَّبيّ ﷺ يخبر أَنَّه قد رأى ربَّه بعد رؤيته ربِّه، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النَّبيّ ﷺ رأى ربه[2]. انتهى كلامه رحمه الله.

---

(١) قد تقدم أَنَّه أثبت رؤية المنام لا اليقظة.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (ص ٢٢٥ ـ ٢٣٠) باختصار.

## حديث الهجرة

وَبعـد أعـوامٍ ثـلاثـة مَضَتْ مَنْ بعد معراجِ النبيِّ وانقضتْ
أوذن بـالهجرةِ نحـو يثربـا مَع كل مسلمٍ لـه قـد صَحِبـا

**(وبعد أعوام ثلاثة)** وقيل خمسة، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر، وهذا الذي في المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الثلاثة الأصول[1]، وله فيه سلف، وليست مسألة التاريخ اعتقادية في هذا الباب، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير في تاريخه وتعيين سنته ووقته. غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته ﷺ إلى المدينة، وعلى قول من يقول إنَّ خديجة رضي الله عنها أدركت فريضة الصلوات[2] فالمعراج في سنة عشر أو قبلها والله أعلم، لأنها توفيت هي وأبو طالب في ذلك العام[3].

**(أوذنَ بالهجرة)** أمره الله عز وجل بها **(نحو يثرب)** وهي المدينة المنورة **(مع كل مسلم)** في ذاك الزمن **(له قد صحبا)** على الإسلام، وكانت هجرة النَّبيِّ ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

قال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا مطرُ بنُ الفضلِ حدَّثنا روح بن عبادة حدَّثنا هشام حدَّثنا عكرمةُ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكةَ ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمِرَ

---

(١) الأصول الثلاثة للإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (ص ٨).

(٢) الصحيح أن خديجة رضي الله عنها لم تدرك فريضة الصلاة وهو قول عروة بن الزبير ابن أختها رضي الله عنهم جميعاً (انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٥٢). وقد ذكر ذلك يعقوب بن سفيان عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٥٢) والخلاف في الفرق بين وفاة خديجة وعمّ النبيّ ﷺ.

بالهجرة فهاجَر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين[1].

وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾ (الأنفال/٣٠): وهذه الآية معطوفة على قوله ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ واذكر ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ وأَنَّ هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنَّما كان بمكة، ولكن الله ذكَرهم بالمدينة كقوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ (التوبة/٤٠) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أَنَّ قريشاً فرقوا لما أسلمتْ الأنصارُ أَنْ يتفاقم أَمْرُ رسولِ اللهِ ﷺ، فاجتمع نفرٌ من كبارهم في دار النَّدوة ليتشاوروا في أَمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانت رؤوسهُمْ عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدي وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف، فاعترضهم إبليسُ لعنهُ الله في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا من أَنْتَ؟ قال شيخ من نجد سمعتُ باجتماعكم فأَردْتُ أَنْ أَحضركم ولن تعدموا مِني رأْياً ونصحاً، قالوا ادخل، فدخل. فقال أبو البختري: أما أَنا فأَري أَنْ تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت وتشدّوا وثاقه، وتسدُّوا بابَ البيت، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلَك فيه كما هلك من قبله من الشُّعراءِ. قال فصرخ عدو اللهِ الشيخ النجدي وقال: بئس الرأيُ رأيتم، والله لئن حبستموهُ في بيت فخرج أَمْرُهُ من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أَنْ يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. قالوا صدق الشيخ النجدي. فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤيّ أَمَّا أَنا فأَرى أَنْ تحملوه على بعيرٍ وتخرجوه مِنْ بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه. فقال إبليس لعنهُ اللهُ: ما هذا لكم برأي تعتمدونَه، تعمدون إلى رجلٍ قد أَفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه

(١) البخاري (٧/٢٢٧) في مناقب الأنصار، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه. والله لئن فعلتم ذلك ليذهبنَّ وليستميلنَّ قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم. قالوا صدق الشيخُ النجدي. فقال أبو جهل: والله لأشيرنَّ عليكم برأي ما أرى غيره، إنِّي أرى أنْ تأخذوا من كل بطْن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتيّاً ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربةَ رجلٍ واحد، فإذا قتلوه تفرَّق دمه في القبائل كلها، ولا أظنُّ هذا الحي مِنْ بني هاشم يقوون على حرب قريشٍ كلها، وإنَّهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدِّي قريشٌ ديته. فقال إبليس لعنه الله: صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأياً، القول ما قال لا أرى رأياً غيره. فتفرَّقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له، فأتى جبريلُ النَّبيّ ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أنْ لا يبيت في مضجعه الذي يبيت فيه، فأذِنَ الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنْ أبي طالب أنْ ينام في مضجعه وقال له «اتّشحْ ببردتي هذه فإنَّه لَنْ يخلص إليك منهم أمْرٌ تكرهُهُ»[1].

ثم خرج النَّبيّ ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً** - إلى قوله - **فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ (يس/٨) ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف علياً بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وباتَ المشركون يحرسون علياً في فراش رسولِ اللهِ ﷺ يحسبون أنَّه النَّبيّ ﷺ فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه فقالوا أين صاحبك؟ قال لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لَمْ يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة[2]، فذلك قوله تعالى ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ (الأنفال/٣٠) وبسط حديث الهجرة ما ساقهُ البخاري رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا يحيى بن

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/٩٣ - ٩٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٦٦) والطبري (٢/٣٦٨ - ٣٨٣). والبداية والنهاية (٣/١٧٤ - ٢٠٤).

(٢) ليس في مبيت علي رضي الله عنه في فراش رسول الله ﷺ ولا في نسيج العنكبوت على الغار ولا بيض الحمام كذلك حديث يصح في هذا.

بكير قال حدَّثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير رضي الله عنه أَنَّ عائشة رضي الله عنها زوج النَّبيّ ﷺ قالت «لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر علينا يومٌ إلّا يأتينا فيه رسولُ اللهِ ﷺ طرفَي النهار بكرةً وعشية. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكرٍ مهاجراً نحو أَرْضِ الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابنُ الدغُنّةِ وهو سيِّد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أَخرجني قومي فأريدُ أَنْ أسبح في الأرض وأعبدُ ربِّي. قال ابن الدغنّة: فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرجُ، إنَّك تكسب المعدوم وتصل الرَّحْمَ وتحمل الكلَّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبدْ ربَّك ببلدك. فرجع وارتحل معهُ ابن الدغنّة، فطاف ابن الدغنّة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إنَّ أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، تُخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويقري الضيفَ ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنّة، وقالوا لابن الدغنّة: مر أبا بكر فليعبد ربَّه في داره، فليصلِّ فيها وليقرأْ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنَّا نخشى أَنْ يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنّة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بمكة يعبُدُ ربَّه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكرٍ فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنّة فقدم عليهم فقالوا: إنَّا كُنَّا أجرنا أبا بكر بجوارك على أَنْ يعبد ربَّه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأَعْلن بالصَّلاة والقراءةَ فيه، وإنَّا قد خشينا أَنْ يفتِنَ نساءنا وأبناءنا فانْهَهُ فإنْ أَحب أَنْ يقتصر على أَنْ يعبدَ ربَّهُ في داره فَعَلَ، وإنْ أبى إلا أَنْ يعلن بذلك فسله أَنْ يرد إليك ذمَّتَكَ، فإنَّا قد كرهنا أَنْ نخفرك، ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة فأَتى ابنُ الدغنّة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإمَّا أَنْ تقتصر على ذلك وإمَّا أَنْ تُرجع إليَّ ذمَّتي فإنِّي لا أُحب أَنْ تسمع العربُ أَنِّي

اخفرت رجلاً عقدتُ له. فقال أبو بكر فأنا اردُّ إليك جوارك وارضى بجوار الله عز وجل - والنَّبيّ ﷺ يومئذ بمكة - فقال النَّبيّ ﷺ للمسلمين «إنِّي رأيتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامَّةُ من كان هاجر بأَرْضِ الحبشة إلى المدينة. وتجهَّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ على رِسْلِكَ، فإنِّي أرجو أَنْ يؤذَنَ لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أَنْت؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسولِ اللهِ ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر.

قال ابنُ شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن في يوم جلوس في بيت أبي بكر في نَحْرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسولُ اللهِ متقنعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبي وأمى، واللهِ ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فاستأذن فأُذِنَ له فدخل، فقال النَّبيّ ﷺ لأبي بكر: أَخْرِج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال فأني قد أُذِن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبةُ بأبي أَنْتَ وأُمي يا رسول اللهِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أَنْتَ يا رسولَ اللهِ إحدى راحلتيَّ هاتين: قال رسولُ اللهِ ﷺ بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما احثَّ الجهاز. وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماءُ بِنْتُ أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته على فَمِ الجراب فبذلك سميت ذات النِّطاق. قالت: ثم لحق رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالي يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيُدْلَجُ من عندهما بسَحَرٍ فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يسمع أَمراً يُكادانِ به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر مِنْحةً من غنم فيريحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسْل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بِغَلَس. يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن

عدي هادياً خرِّيتاً، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حِلْفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفّار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السَّواحل.

قال ابنُ شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقة بن جعشم يقول: جاءَنا رُسُلُ كفّار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أَو أَسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أَقْبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحنُ جلوس فقال: يا سراقة إِنِّي قد رأيتُ آنفاً أسوده بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له: إِنَّهم ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فُلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبْتغون ضالَّة لهم. ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قُمت فدخلت فأَمَرْتُ جاريتي أَنْ تخرج بفرسي وهي من وراء أَكمة فتحبسها عليَّ، وأخذت رمحي فخرجتُ به مِنْ ظهر البيت فخططتُ بزُجِّهِ الأرض وخفضت عاليه حتى أَتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرَّبَ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجْتُ منها الأزلام فاستقسمت بها: أَأَضُرُّهم؟ أم لا؟ فخرج الذي أَكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءَةَ رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثِرُ الالتفات ساخَتْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررتُ عنها ثم زجرتها فنهضتْ. فلم تكد تُخْرِجُ يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقْسَمْتُ بالأزلام فخرج الذي أَكْره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت مِنَ الحبس عنهم أَنْ سيظهر أَمْرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقلت له: إِنَّ قومك قد جعلوا فيك الدِّية، وأخبرتُهم أَخبار ما يريدُ الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألانيَ إلا أَنْ قال: اخف عنا، فسألته أَنْ يكتب لي كتاب أَمِن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أَديم. ثم مضى رسولُ اللهِ ﷺ.

قال ابنُ شهاب فأخبرني عروةُ بنُ الزبير أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لقي الزبير في ركب

من المسلمين كانوا تجّاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً. وسمع المسلمون بالمدينة بمخْرج رسولِ اللهِ ﷺ من مكّة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة. فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظاره فلما أَوَوا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من يهود على أُطُمْ من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبُصِرَ برسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه مبيَّضين يزول بهم السَّراب، فلم يملك اليهودي أَنْ قال بأعلى صوته: يا مَعْشَرَ العرب، هذا جدُّكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسولَ اللهِ ﷺ بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ اللهِ ﷺ صامتاً، فطفق من جاء مِنَ الأنصار ممنْ لم يَرَ رسولَ اللهِ ﷺ يحيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسولَ اللهِ ﷺ، فأَقْبَلَ أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسولَ اللهِ ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرةَ ليلة، وأَسَّس المسجد الذي أُسِّس على التَّقوى، وصلَّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ، ثم رَكِبَ راحلتَهُ فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد النَّبيّ ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين، وكان مرْبداً للتَّمْر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إِنْ شاء اللهُ المنزلَ. ثم دعا رسولُ اللهِ ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتّخِذَهُ مسجداً، فقالا: لا بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أَنْ يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناهُ مسجداً وطفق رسولُ اللهِ ﷺ ينقل معهم اللَّبِنَ في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبِنَ:

هذا الحمالُ لا حمال خَيْبَرْ  هذا أَبرُّ رَبِّنا وأَطهر

ويقول:

اللهم إِنَّ الأَجْر أَجرُ الآخره  فارْحم الأنصارَ والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسَمَّ لي.

قال ابنُ شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت[1].

وهذا الكلام كما ترى ليس من باب الشعر، ولا هو في شيء من بحوره وأوزانه، وإنَّما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيراً.

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثني محمدُ حدَّثنا عبدُ الصَّمدِ حدَّثنا أبي حدَّثنا عبد العزيز بن صهيب حدَّثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نَّبيُّ اللهِ ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبيُّ الله ﷺ شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر مَنْ هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجلُ يهديني السبيل. قال فيحسب الحاسب أَنَّه إنَّما يعني الطريق، وإنَّما يعني سبيلَ الخير. فالتفتَ أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسولَ اللهِ هذا فارس قد لحق بنا، فالتفتَ نبيُّ اللهِ ﷺ فقال «اللهم اصْرعْهُ» فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبيَّ اللهِ مُرني بما شئت. قال: فَقِفْ مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا. قال: فكان أَوَّل النهار جاهداً على نبيِّ الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ جانب الحَرَّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبيِّ اللهِ ﷺ وأبي بكر فسلَّموا عليهما وقالوا: إركبا آمنين مُطاعين، فركب نبيُّ اللهِ ﷺ وأبو بكر وحفُّوا بهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبيُّ اللهِ، جاء نبيُّ اللهِ ﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبيُّ اللهِ جاء نبيُّ اللهِ ﷺ فأقبل يسيرُ حتى نزل دار أبي أيّوب فإنَّه ليحدِّثُ أهله إذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أَنْ يضع الذي يخترف لهم فيها. فجاء وهي معه، فسمع من نبيِّ اللهِ ﷺ ثم رجع إلى أهله، فقال نبيُّ اللهِ ﷺ: أَيُّ بيوتِ أهلنا أَقرب؟ فقال أبو أيوب: أَنا يا نبيَّ اللهِ صلَّى الله عليك وسلَّم، هذه داري وهذا بابي، قال: فانطلق فهيّء لنا مقيلاً. قال قوما على بركة الله تعالى. فلمَّا جاء نبيُّ اللهِ ﷺ جاءَ عبدُالله بنُ سلام فقال: أَشْهَدُ

(١) البخاري (٧/ ٢٣٠ ـ ٢٤٠) في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي الصلاة وفي الإمارة وفي الكفالة، وفي الأدب. وهذا الحديث يثبت أن مسجد التقوى هو مسجد قباء. وفي مسلم: أنه المسجد النبوي وكلاهما حق والحمد لله رب العالمين.

أَنَّك رسولُ اللهِ وإِنَّـك جئْتَ بحقٍّ، وقد علمت يهـود أَنِّي سيِّدُهُمْ وابْنُ سيِّـدِهم، وأَعلمُهم وابنُ أَعلَمِهِم فادعهم فاسألهم عنِّي قبل أَنْ يعلموا أَنِّي قد أسلمت فإِنَّهم إِنْ يعلموا أَنِّي قد أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ فأَرسل نبيُّ اللهِ ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: يا معشر اليهود، ويلكم اتَّقـوا الله، فوالله الـذي لا إله إلا هو إِنَّكم لتعلمون أَنِّي رسولُ اللهِ حقّاً وأَنِّي جئتكم بحقٍّ، فأَسْلِمُوا. قالوا: ما نعلمه. قـالوا للنبيِّ ﷺ قـالها ثـلاث مرار. قـال: فأَيُّ رجـلٌ فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا ذاك سيِّدُنا وابنُ سيِّدنا وأَعْلمُنا وابنُ أَعْلمنـا. قال أفـرأيتم إِنْ أَسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إِنْ أسلم؟ قالوا: حاشا لله مـا كان ليسلم. قال: أفرأيتم إِنْ أَسلم؟ قـالوا: حـاشا لله، مـا كان ليسلم. قـال: يا ابن سلام اخرج إليهم. فخرج فقال يا معشر اليهود اتَّقوا الله، فـوالله الذي لا إلـه إلا هـو إِنَّكم لتعلمون أَنَّـه رسولُ اللهِ وأَنَّـه جـاءَ بحقٍّ، فقـالـوا كـذبْتَ، فـأَخْـرجَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أحمدُ بن عثمان حدَّثنا شريح بن مسلمة حـدَّثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق قال سمعتُ البراء يحدث قال: ابتـاع أبو بكر من عازب رَحْلاً فحملته معه، قال فسأَلَهُ عازبٌ عَنْ مسير رسولِ اللهِ ﷺ، قال أخذ علينا بالرَّصَدِ فخرجنا ليلاً فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، ثم رُفِعَتْ لنا صخرة أتيناها ولهـا شيء مِنْ ظلٍّ. قـال ففرشتُ لـرسولِ اللهِ ﷺ فـروةً معي ثم اضطجع عليها النَّبيّ ﷺ فانطلقت أنفض ما حوله فإذا أنا بـراع قد أَقْبـل في غنمه يريدُ مِنَ الصخرة مثل الذي أَردنا، فسألتـه لمن أَنْتَ يا غـلام؟ فقال أنـا لفلان، فقلت هل في غنمـك مِنْ لبن؟ قال نعم. قلت لـه هل أَنْتَ حـالب؟ قال نعم. قال فأخـذ شاةً مِنْ غنمِـهِ فقلتُ له انفض الضِّـرْع قال فحلب كثبـة من لبن ومعي إداوَةٌ مِنْ مـاء عليها خـرقةٌ قـد روَّأْتُها لـرسـول الله ﷺ، فصببتُ على اللَّبنِ حتى بـرد أسفلُهُ ثم أَتيتُ بـه النَّبيّ ﷺ فقلت اشـرب يـا رسـول الله، فشـرب رسولُ اللهِ ﷺ حتى رضيت. ثم ارتحلنا والطلب في إثرنا. قال البراءُ فدخلْتُ مع

---

(١) البخاري (٧/٢٤٩ ـ ٢٥٠) في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

أبي بكر على أَهْله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمى، فرأَيْتُ أباها أقبل وقال: كيف أنت يا بنية[1]؟ وقال حدَّثنا محمدُ بن بشار حدَّثنا غندر حدَّثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعتُ البراءَ بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: أَوَّلُ ما قدم علينا مصعبُ بن عمير وابن أم مكتوم وكانوا يقرؤون الناس، فقدم بلالٌ وسعدٌ وعمارُ بنُ ياسر، ثم قدم عمرُ بنُ الخطاب في عشرين من أصحاب النَّبيّ ﷺ ثم قدم النَّبيّ ﷺ، فما رأيتُ أَهْل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسولِ اللهِ ﷺ حتى جعل الإماءُ يَقُلْنَ: قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ، فما قَدِمَ حتى قرأتُ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى/١) في سور مِنَ المفصَّلِ[2].

(١) البخاري (٧/٢٥٥) في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٢) البخاري (٧/٢٥٩ ـ ٢٦٠) في مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

## الإذنُ بالقتال

وبعدها كُلِّفَ بالقتالِ لشيعةِ الكُفرانِ والضَّلالِ
حتَّى أَتَوْا للدِّينِ مُنْقادينا ودَخَلُوا في السِّلم مُذْعنينا

(**وبعدها**) أي بعد الهجرة (**كلف**) أي أمر (**بالقتال**) في سبيل الله عز وجل (**لشيعة**) أعوان (**الكفر**) بالله وما أرسل الله به رسله ونزَّل به كتبه (**والضلال**) عن صراطه المستقيم. وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه ﷺ ﴿**يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ (المدثر/١) الآيات، وهي أول ما نزل بعد فترة الوحي، وبينها وبين نزول الآيات من صَدْرِ سورة العلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن اسحاق رحمه الله[1]، وذلك مدة الفترة، وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهاداً لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَرُوا فأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً. وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً، فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً**﴾ (الفرقان/٥١ ـ ٥٢). وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكَّةَ مأموراً إلا بالعفو أو الإعراض عن الجاهلين والصَّبر على أذاهم واحتمال ما يلقى منهم كقوله تعالى ﴿**خُذِ العَفْوَ، وَأْمُرْ بِالعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عنِ الجَاهِلِينَ**﴾ (الأعراف/١٩٩) الآيات وقوله ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ**﴾ (الحجر/٩٤) الآيات وغيرها. ولهذا قال أئمة التفسير إنَّ آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف، فلمَّا هاجَر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وصارتْ لهم دار منعة وإخوان صدق وأنصار حق، أَذِنَ الله تعالى لهم في الجهاد فقال عز وجل ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَأَنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٍ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا**

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٣ ـ ١٧) والخلاف في هذه المدّة.

رَبُّنَا اللهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيراً، ولينصرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج/٣٩ ـ ٤١)، وقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ، فَإِنِ انْتَهَوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، فَإِنِ انْتَهَوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/١٩٠ ـ ١٩٣) الآيات. وقال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا، ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآيات.

وقال تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، فَإِنِ انْتَهَوا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ﴾ (الأنفال/٣٨ ـ ٤٠)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ. التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/١١١ـ ١١٢)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف ـ ٤) إلى أَنْ قاله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ . وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قال الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾ (الصف/ ١٠ ـ ١٤) الآية .

وقال النَّبيّ ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتل الناس حتى يشهدوا أَنْ لا إله إلّا الله»[1] الحديث، وقال ﷺ «بُعِثْتُ بالسَّيْف بين يدي السَّاعَةِ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له بأَنْ يقولوا لا إله إلّا الله»[2]، أو كما قال، وقال ﷺ «اغْزوا باسْمِ اللهِ في سبيل الله، قاتلوا من كَفَرَ بالله»[3] الحديث.

والآيات والأحاديث في الجهاد أكثر مِنْ أَنْ تحصى، وقد أُفْرِدَتْ لها مصنفات مستقلات. والجهاد ذروة سنام الإسلام، ولا يقوم إلّا به، كما أَنَّ بيانَ شرائعه لا تقوم إلّا بالكتاب، ولهذا قرنَ الله تعالى بينهما فقال ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالميزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (الحديد ـ ٢٥) فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه، والحديد لحمل الناس على الحق وأَطْرهم عليه.

والمقصود أَنَّ النَّبيّ ﷺ حين أذن الله له بالقتال وأمره به، شَمَّرَ عن ساعد الاجتهاد في شأْنه وكان بينه وبين المشركين ما كان مِنَ الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأُحُد والخندق وخيبر والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية، ونصرَهُ اللهُ بالرُّعْبِ في قلوب أعدائه مسافةَ شهرٍ، حتى فتح

---

(١) البخاري (١/ ٧٥) في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ومسلم (١/ ٥٣/ح ٢٢) فيه، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله.

(٢) أحمد (٢/ ٥٠ و٩٢) وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب من المسند (ق ٢/٩٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٥٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٨٨) وهو صحيح.

(٣) مسلم (٣/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٨/ح ١٧٣١) في الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

الله بـه وبكتابـه وأنصاره البـلاد والقلوب وعمَّرهـا، ففتح البـلاد بالسَّيفِ والقلوب بالإيمان وعَمَّرَ البلادَ بالعدلِ والقلوب بالعلم، فلِلَّهِ الحمد والمنَّة.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: بُعِثَ النَّبيّ ﷺ بأَرْبعة أَسياف: سيفٌ للمشـركين ﴿**واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ (البقـرة ـ ١٩١)، وسيف للمنـافقين ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الكُفَّارَ وَالمُنَـافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ (التوبـة ـ ٧٣)، وسيف لأهل الكتـاب ﴿**قَاتِلُوا الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـاللهِ وَاليَوْمِ الآخِـرِ وَلَا يُحَرِّمُـونَ مَا حَـرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ (التوبة ـ ٢٩)، وسيفٌ للبغاة ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَـا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَى الأُخْـرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾ (الحجرات/٩)[1] وقد بذل المهـاجرون والأنصـار مَعَ رسـولِ اللهِ ﷺ أمـوالهم وأَنفسهم في سبيل اللهِ كمـا وصفهم اللهُ تبارك وتعـالى ﴿**إِنَّمَا المُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيـلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحجرات ـ ١٥)، وبـذل المشركـون جهدهم ومجهـودهم في عداوته وقتاله وأَلَّبـوا وتحزَّبـوا كما قـال الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّـذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُـونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيـلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَـا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْـرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**﴾ (الأنفال ـ ٣٦) الآيات. وقال تعالى ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُـورَ اللهِ بِأَفْـوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُـولَهُ بِـالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**﴾ (الصف ـ ٨) فقد فعل تبارك وتعالى.

(**حتى أتـوا للدّين**) دين الإسلام، (**منقـادينا**) الألف لـلإطلاق طـوعاً وكـرهـاً، (**ودخلوا في السلم**) أي الإسلام (**مذعنينا**) مستسلِمين.

وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأَنَّ النَّاس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً لأَنَّهم في الجاهلية هم سادة العرب وقـادتها، وكـذلك هم في الإسـلام، فلمَّا أَسلمُـو

(١) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي كما في الدر المنثور (٤/٢٣٩).

بادر كل قومٍ بإسلامهم، وتواترت الوفودُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من كل فَجٍّ عميق، وانتشر الإسلام وجرتْ أحكامُهُ، وانتشرت أعلامه في كلِّ جزيرة العرب والنَّبيّ ﷺ حيٌّ. وأنزل الله عز وجل عليه ﴿إِذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ (النصر/١ ـ ٣) ولهذا علم هو أصحَابه أَنَّ ذلك أجله، أعلمه اللهُ به، كما قال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا موسى بنُ اسماعيل حدَّثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيدِ بنِ جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمرُ يدخلني مَعَ أشياخ بدر، فكأَنَّ بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إِنَّهُ من حيث علمتم. فدعاه ذاتَ يوم فأدخله معهم فما روّيت أَنَّه دعاني يومئذٍ إلاّ ليريهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ (النصر/١) فقال بعضُهم: أُمرنا أَنْ نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتِحَ علينا. وسكتَ بعضهم فلم يَقُلْ شيئاً. فقال لي: أكذاك تقولُ يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ هُوَ أجلُ رسولِ اللهِ ﷺ» أعلمه قال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ (النصر/١) وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ (النصر/٣) فقال عمر: ما أعلم مِنْها إلا ما تقول[1].

وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التي لم تفرض من قبل، فالجهاد في السنة الأولى، وأُتمَّت صلاة السفر في الأولى، وشرعَ الأذانَ والصِّيام وزكاةَ الفِطْرِ وزكاةَ النصب وتحويل القبلة إلى الكعبة كلها في الثانية، وشرع التيمم سنة ستٍّ، وصلاة الخوف سنةَ سبعٍ، والحج في السادسة وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة وفيها حَجَّ ﷺ، وأنزل اللهُ عَزَّ وجَلَّ عليه وهو واقف بعرفة يوم الجمعة ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِيناً﴾ (المائدة/٣) كما قدمنا الحديث في الصحيحين.

---

(١) البخاري (٨/ ٢٠) في المغازي، باب «٥١» وفي التفسير. والمناقب.

## وفاته صلوات الله وسلامه عليه

وَبَعْـدَ أَنْ قَـدْ بَلَّغَ الـرِّسالـه ... واستَنْقَـذَ الخَلْقَ مِنَ الجهالـه
وَأَكـمـل اللهُ لـه الإسْـلامـا ... وقـام دينُ الحقِّ واستقـامـا
قَـبَـضَـهُ اللهُ الـعـليُّ الأعـلى ... سبحـانـهُ إلى الـرَّفيق الأعلى

(**وبعد أن قد بلغ**) الرسول محمد ﷺ (**الرسالة**) من القرآن وبيانه أمراً ونهياً وخبراً ووعداً ووعيداً وقصصاً (**واستنقذَ الخلق**) حتّى أنقدهم الله به (**من الجهالة**) من الشرك وما دونه (**وأكمل اللهُ لَهُ الإسلامـا**) بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، (**وقـام**) ظهر (**دين الحق**) الذي بعثه الله ليظهره على الدين كله، (**واستقـامـا**) اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل، وذهبت عنه غياهب الشِّرْكِ وظلم الغي وطغاية الشبهات، وجاءَ الحقُّ وظهر أَمْرُ اللهِ وهم كارهون ﴿**وَقُـلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ (الإسراء/٨١)، ﴿**قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ الباطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾ (سبأ/٤٩)، وتبين الرشد من الغي والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم ﴿**لِيميزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ (الأنفال/٣٧) ولم يبق من خيرٍ آجلٍ ولا عاجلٍ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عليه، ولا شر عاجل ولا آجل إلّا وحذَّرهم منه ونهاهم عنه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها بعدَهُ إلّا هالك، وترك فيهم مالم يضلوا إنْ تمسكوا به كتابَ الله، وبعد هذا (**قبضَهُ اللهُ العليُّ**) بجميع معالي العلو ذاتاً وقهراً وقدراً (**الأعلى**) بكل تلك المعاني، فلا شيءَ أعلى منه عَزَّ وجَلَّ (**سبحانـه**) وكان قبضه إياه (**إلى الـرفيق الأعلى**) وهي أعلى عليِّين، وهي الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة ولا تنبغي إلا له ﷺ، وقد أمرنا أَنْ نسأل الله له ذلك، اللهم آتِ نبينا محمداً الوسيلة والفضيلة آمين،

وكانت وفاته ﷺ في ربيع الأول نهارِ الاثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة، قال تبارك وتعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضِرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٤- ١٤٥)، وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/٣٤). ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تَوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (آل عمران/١٨٥)، وقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر/٣١).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا قتيبةُ حدَّثنا سفيانُ عن سليمان الأحول عَنْ سعيد بن جبير قال ابن عباس: يوم الخمس وما الخميس، اشتدَّ برسولِ اللهِ ﷺ وجعه فال «آتوني أَكْتب لكم كتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عِنْدَ نبيٍّ تنازع، فقالوا: ما شأنه، استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه. وأوصاهم بثلاث قال «أَخْرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم» وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها[1]. وله عن عائشة رضي الله عنها: دخل عبدُالرحمن بنُ أبي بكر على النَّبيّ ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستنُّ به، فأَبَّده رسولُ اللهِ ﷺ بصره، فأخذتُ السِّواكَ فقصمته ونفضتُهُ وطيَّبته ثم دفعته إلى النَّبيّ ﷺ فاستنَّ به، فما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ استنَّ استناناً قط أحسن، فما عدا أَنْ فرغ رسولُ اللهِ ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال «في الرَّفيق الأعلى» ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول: ماتَ ورأْسُهُ بين حاقنتي وذاقنتي، وفي رواية قالت: وبين يديه ركوةً فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماءِ فيمسحُ بهما وَجهَهُ

---

(١) البخاري (١٣٢/٨) في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته وفي (١٧٠/٦) في الجهاد، باب جوائز الوفد، والجزية، ومسلم (١٢٥٧/٣/ح ١٦٣٧) في الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

ويقول «لا إله إلاّ اللهُ، إنَّ للموتِ سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول «في الرَّفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده. وفي أخرى قالت: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخِرِ يومٍ من الدنيا وأول يوم من الآخرة[1].

وفي الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد الله بن عبدالله قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحدِّثيني عن مرضِ رسولِ اللهِ ﷺ. قالت: بلى، ثقل النَّبيّ ﷺ فقال «أَصلَّى الناس»؟ قلنا. لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ اللهِ. قال «ضعوا لي ماءً في المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه، ثم أفاق. فقال: «أَصَلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ اللهِ فقال «ضعوا لي ماءً في المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال «أَصَلَّى الناس» فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ اللهِ. فقال «ضعوا لي ماءً في المخضب» ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوءَ فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناسُ؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ اللهِ. قال والناس عكوفٌ في المسجد ينتظرون رسول اللهِ ﷺ لصلاةِ العشاءِ الآخرة، قالت: فأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بكر أَنْ يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمرك أَنْ تصلي بالناس. فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً -: يا عمر صلِّ بالناس. قال، فقال عمر: أَنْت أحق بذلك. قالت فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام. ثم إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وجد من نفسه خِفَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلِّي بالناسِ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأَخَّر فأومأ إليه النَّبيّ ﷺ أَنْ لا يتأخر، وقال لهما «أجلساني إلى جنبه»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النَّبيّ ﷺ، والنَّاسُ يصلون بصلاةِ أبي بكر، والنَّبيّ ﷺ قاعد[2]. الحديث.

وفيه عن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ أبا بكر كان يصلِّي لهم في وجع

---

(١) البخاري (٨/١٣٨) في المغازي، باب مرض النبي ﷺ (ح ٤٤٣٨ و٤٤٤٩ و٤٤٥١).

(٢) البخاري (٨/١٣٨) في المغازي، باب مرض النبي ﷺ، وفي الوضوء، وفي الجماعة، وفي الجهاد، وفي الهبة، وفي الأنبياء، وفي الطب، وفي الاعتصام، ومسلم (١/٣١١/ح ٤١٨) في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر.

رسولِ اللهِ ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوفٌ في الصلاة كشف رسولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ الحجرةِ، فنظرنا إليه وهو قائم كأنَّ وجهه ورقة مصحف، ثم تبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ ضاحكاً فبهتنا ونحنُ في الصلاة من فرحٍ بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيهِ ليصل الصفَّ، وظنَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خارج للصلاةِ فأشار إليهم رسولُ اللهِ ﷺ بيده أنْ أتمُّوا صلاتكم. قال: ثم دخل رسولُ اللهِ ﷺ فأَرْخَى السِّتر، قال: فتوفي رسولُ اللهِ ﷺ من يومه ذلك. وفي رواية قال: لم يخرج إلينا نبيُّ اللهِ ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبيُّ اللهِ ﷺ بالحجابِ فدفعه، فلما وضح لنا وجه نبيِّ اللهِ ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه النَّبيِّ ﷺ حين وضح لنا[1].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن بكير حدَّثنا الليثُ عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة. أنَّ عائشة رضي الله عنها أخبرته أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْحِ حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلِّم الناس حتى دخل على عائشة فتيمَّمَ رسولَ اللهِ ﷺ وهو مغشيٌّ بثوب حِبَرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنْت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتَتين: أمَّا الموتةُ التي كتبت عليك فقد مُتّها. قال الزهري: وحدَّثني أبو سلمة عن عبدالله بن عباس أنَّ أبا بكر خرج وعمرُ بن الخطاب يكلِّمُ الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أنْ يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أمَّا بعدُ مَنْ كان منكم يعبدُ محمّداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ـ إلى قوله ـ **الشاكرين**﴾ (آل عمران/١٤٤ ـ ١٤٥). وقال: واللهِ لكأنَّ الناس لم يعلموا أنَّ الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقّاها الناس منه كلُّهم، فما أسمع بشراً من النَّاس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيَّب أنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: والله ما

---

(١) البخاري (٢/١٦٤) في الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم (١/٣١٥/ح ٤١٩) في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر.

هـو إلاَّ أَنْ سمعت أبا بكـر تلاهـا فعَقِرتُ حتى لا تقلني رجـلايَ، وحتى أَهويت إلى الأرض حين سمعتُه قالها أَنَّ النَّبيّ ﷺ قد مات[1].

(١) البخـاري (٨/١٤٥) في المغازي، بـاب مرض النبي ﷺ ووفـاته. (٣/١١٣) في الجنـائـز، بـاب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ.

## تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله

نَشهـدُ بـالحقِّ بـلا ارتيـاب  بـأَنَّـهُ المـرسـل بـالكتـاب
وَأَنَّـهُ بـلَّغَ مـا قـد أُرْسـلا  بِـه وكـل مـا إلـيـه أُنْـزلا

(نشهد بالحق) بيقين وصدق (بلا ارتياب) بدون شك (بأَنَّه المرسل بالكتاب) بالقرآن إلى كافة الناس من الجن والإنس بشيراً ونذيراً. قال الله تبارك وتعالى ممتناً على عباده المؤمنين ببعثة رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران/١٦٤)، وقال تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ. هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ (الجمعة/٢ ـ ٤)، وقال تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة/١٢٨) يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمه على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها ارساله فيهم محمداً ﷺ رسولاً من عند الله تبارك وتعالى العلي العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بكلامه الذي هو صفته، وهو كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ليهديهم به من الضلالة، ويبصرهم به من العمى، وينقذهم به من دَرَكات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ. اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

﴿الأَرْضِ﴾ (إبراهيم/١) يالها نعمة ما أعظمها وأجلها، ومنة ما أكملها وأجزلها ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آل عمران/١٦٤) أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالاً بكون ذلك الرسول من أنفسهم يعرفون شخصه ونسبه ورحمه، ما من أهل بيت من العرب إلا وله ﷺ فيهم نسب ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ (الشورى/٢٣) ثم جعل الرسالة بلسانهم الذي به يتحاورون، ومن جنس كلامهم الذي فيه يتفاخرون. معجزاً بالفصاحة التي في ميدانها يتسابقون بأَوْضح المباني وأفصحها، وأكمل المعاني وأَصحها، مع اتِّساق سياقه وسلاسة ألفاظه، وانتساق تراكيبه وملاحة مفرداته.

ثم مع هذا التالي له من أَنفسهم رسول مِنْ عند ربهم ثم هو ﷺ مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قاله ربُّ العزة لم يقله النَّبيّ ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الضمير لله عز وجل، ليسمعوا لذيذ خطابه. ويتأملوا لطيف عتابه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (ص/٢٩) ﴿ويزكِّيهم﴾ يطهرهم ظاهراً وباطناً حساً ومعنى لمن التزمه واتبعه، أما قلوبهم فيزكِّيها بالإيمان مِنْ دَنَسِ ورِجْسِ الشِّرك ورجزه كما قال تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج/٣٠)، و﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر/٥)، وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها، وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح، وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم إليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضربها ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ﴾ القرآن المجيد ﴿والحِكْمَةَ﴾ السنة النبوية التي هي تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه، وتدل كما قال الله تعالى له ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل/٤٤) وقال النبي ﷺ «أُوتيتُ القرآن مثله»[1] يعني السنة.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ إرساله إليهم وبعثه فيهم ﴿لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم

(١) أحمد (٤/١٣١) وأبو داود (٤/٢٠٠/ح ٤٦٠٤) في السنة، باب لزوم السنة، وإسناده صحيح.

الموجبة لدخول جهنَّم، والخلود في عذابها الأليم المقيم، أجارنا الله منها. وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة/١٢٩) فاستجاب الله له تلك الدعوة المباركة كما قضى الله عز وجل ذلك في الأزل وسبق علمه وسطره في كتابه وأخذ على رسله الميثاق في الإيمان به والقيام بنصره كما قال تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران/٨١ ـ ٨٢)، وقال النَّبيّ ﷺ فيما روى الترمذي «كنت نبياً وآدم منجدل في طينته»[1] وفي رواية أخرى «وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد»[2] يعني وجبت له في الكتاب، ولأن السائل قال له: متى وجبت لك النبوة؟ هذا معنى الحديث، وقال ﷺ «أَنَا دعوةُ أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤْيا أُمِّي»[3] أو كما قال، فأما دعوة إبراهيم فما في الآية السابقة، وأما بشرى عيسى فقول الله عز

---

(١) أحمد (٤/١٢٧ و١٢٨) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٩/ح ٤٠٩) والحاكم (٢/٤١٨ و٦٠٠) وصححه ووافقه الذهبي في الأول. وابن حبان (٨/١٠٦). من دحيث العرباض ولم أره عند الترمذي وفيه سويد بن سعيد. لم يوثقه إلّا ابن حبان. وقال البخاري: لم يصح حديثه (تعجيل المنفعة ت ٣٧١).
قال المصنف رحمه الله: على تقدير صحته ليس معناه أنه كان قد نبىء يومئذ ولا أنه ولد نبياً، ولم يبدأه الوحي إلّا بعد تمام الأربعين من عمره وذلك العمر الذي قال الله تعالى «لقد لبثت فيكم عمراً من قبله»، وقال «وما كنت تتلو من قبله من كتاب» الآية، وقال «وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب». وقال «وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» ولعله قد بسط هذا المعنى في موضع غير هذا.

(٢) أحمد (٥/٥٩) وفي السنة (ص ١١١) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٩/ح ١٤١٠) وأبو نعيم في الحلية (٩/٥٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١/٣٧٤) وابن سعد (٧/٦٠) من حديث ميسرة الفجر. وهو صحيح.

(٣) أحمد (٥/٢٦٢) وابن سعد في الطبقات (١/١٠٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وإسناده حسن. وله شواهد أخرى.

وجل ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف/٦) الآية، وأما رؤيا أُمِّه فإنَّها رأَتْ كأَنَّه خرج منها نورٌ أضاءَ له قصور بصرى من أرض الشام[1]، الحديث. وقد شهد الله تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ (المنافقون/٦٣)، وقال تعالى ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ (النساء/١٦٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ﴾ (البقرة/١١٩) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب/٤٥) الآيات، وقال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً. مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء/٧٩) وغير ذلك من الآيات. وقال تبارك وتعالى في عموم رسالته إلى الأحمر والأسود والجن والإنس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سبأ/٢٨)، وقال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَآمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ باللهِ وكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف/١٥٦ ـ ١٥٨) ومعنى كونه أمياً: لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك أمته أمية لا يقرأون ولا يكتبون، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كُنْتَ

---

(١) هو الحديث السابق.

تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (القصص/٨٦)، وقال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/٤٨) الآيات، وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمانُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللهِ﴾ (الشورى/٥٢)، وقال تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود/٤٩) وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى أيضاً في ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة/١٤ ـ ١٦) الآيات، ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/٦٤)، وقال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٠١)، وقال ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩) وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «ما من الأنبياء مَنْ نبيٍّ إلّا وقد أُعطي مِنَ الآياتِ ما مثله آمَنَ عليه البشرُ، وإنَّما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى اللهُ إليَّ، فأرجو أَنْ أكونَ أكثرهم تابعاً يومَ القيامة»[1] وفيه

---

(١) مسلم (١/١٣٤/ح ١٥٢) في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس =

عنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمع بي أَحَدٌ مِنْ هذه الأُمَّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به الا كان من أصحاب النار»[1]، وفي حديث الخصائص، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى الناس عامَّة»[2] وهو في الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ «لو كانَ موسى حيّاً واتبعتموه وتركْتموني لضللتم»[3] وقال ﷺ «لو كانَ موسى حيّاً ما وَسِعَهُ إلّا اتِّباعي»[4] وأخبر ﷺ أَنَّ عيسى ينزل حكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ يقيم كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ [5] فلا ناسخ ولا مغير لشريعته، ولا يسع أحداً الخروج عنها. ولله الحمد والمنّة.

## [اختصاصه ﷺ بعموم الرسالة]

والمقصود أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا باتباعه، ولا يصل أحد دار السلام التي دعا الله إليها عباده إلّا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لا نسخ له بعده ولا تغيير، ولا تحويل ولا تبديل وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي

---

= ونسخ الملل بملّته. والبخاري (٣/٩) في فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، وفي الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم.

(١) مسلم (١/١٣٤/ح ١٥٣) في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته.

(٢) البخاري (١/٤٣٦) في التيمم، في فاتحته، وفي المساجد، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وفي الجهاد، باب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم، ومسلم (١/٣٧٠/ح ٥٢١) في المساجد، في فاتحته.

(٣) أحمد (٣/٤٧١ و٤/٢٦٦) من حديث عبد الله بن ثابت عن عمر. وسنده حسن ويشهد له الذي بعده.

(٤) رواه الدارمي (١/١١٥ ـ ١١٦) من حديث جابر عن عمر رضي الله عنهما وفيه مجالد بن سعيد وقد تغير بآخرة والحديث يشهد له الذي قبله.

(٥) انظر صحيح مسلم (١/١٣٥) في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ.

أعظمها هذا القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعاً وأطولها فيه باعاً وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعاً، مع عظم محادَّتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور/٣٤)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (هود/١٣)، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٢٣). ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين، لا في زمنٍ واحد ولا في أزمان، فقال تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء/٨٨)، وغير ذلك من الآيات.

ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاتة مع علمه أنَّه لا يقدر على شيء البتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأركّ ما ينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى أنَّه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النِّساء ولا المخنثين، وصار كذبهُ معلوماً عند كل أحد، ووسمه الله عز وجل على لسان نبيِّه محّمد ﷺ باسم الكذَّاب فلا يسمى إلا به، ولا يعرف إلّا به، حتى صار أشهر من عليه العلم، بل لا علم له غيره أبداً، ويروى أنَّ أصحاب الفيلسوف الكندي[1] قالوا له: أيُّهَا الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إنِّي فتحتُ المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرتُ فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى

---

(١) هو يعقوب بن اسحق بن الصباح (أبو يوسف الكندي) (ت ٢٦٠ هـ) فيلسوف اشتهر بالطب والفلسفة والهندسة والفلك والموسيقى كان صاحب الأمين والمعتصم، اشتهر بالبخل. انظر قصته هذه في لسان الميزان (٦/٣٠٥).

بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أَحدٌ أَنْ يأتي بهذا، قلت: وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلّا فبلاغةُ القرآنِ فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أَنْ يصفوا صفات مَنْ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

**ومن ذلك انشقاق القمر** قال الله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر/١) الآيات، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال «سأَل أَهل مكة أَنْ يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»[١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال «انشقَّ لقمرُ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ فرقتين فرقةٌ فوق الجبل وفرقةٌ دونه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ اشهدوا» زاد في رواية «ونحنُ مع النَّبيِّ ﷺ»[٢].

**ومنها حنين الجذع إليه ﷺ** كما في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما «إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرةٍ أو نخلةٍ، فقالتْ امرأَةٌ منَ الأنصار أو رجل: يا رسولَ اللهِ ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إنْ شِئْتُمْ، فجعلوا له منبراً، فلمَّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النَّخلةُ صياح الصبيِّ، ثم نزل النَّبيُّ ﷺ فضمَّها إليه تئن أَنين الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[٣] وفي رواية «قال فلما صُنِعَ له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النَّبيّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»[٤].

---

(١) البخاري (٦١٧/٨) في تفسير سورة (اقتربت الساعة) وفي الأنبياء، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب انشقاق القمر، ومسلم (٢١٥٩/٤/ح ٢٨٠٢) في صفات المنافقين، باب انشقاق القمر.

(٢) البخاري (٦١٧/٨) في تفسير سورة (اقتربت الساعة)، وفي الأنبياء، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب انشقاق القمر، ومسلم (٢١٥٨/٤/ح ٢٨٠٠) في صفات المنافقين، باب انشقاق القمر.

(٣) البخاري (٦٠١/٦ - ٦٠٢) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. وفي الجمعة، باب الخطبة على المنبر.

(٤) البخاري (٦٠٢/٦) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

فيا حامداً معنى بصورة عاقلٍ أمالك من قلبٍ شهيدٍ ولا سمْعِ
يحنُّ إليه الجذعُ شوقاً وما لنا ألسنا بذاك الشَّوْقِ أولى مِنَ الجذعِ

**ومنها تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله عز وجل، ونبع الماء من اصابعه الشريفة** ﷺ، كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «كُنَّا نعدُّ الآيات بركة، وأَنْتم تعدُّونها تخويفاً. كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماءُ فقال اطلبوا فضلة من ماءٍ، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من اللهِ عز وجل، فلقد رأيتُ الماءَ ينبع مِنْ بين أصابع رسولِ اللهِ ﷺ، ولقد كُنَّا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل»[1]. وعن أنس رضي الله عنه قال «أُتي النَّبيّ ﷺ بإناءٍ وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماءُ ينبعُ مِنْ أصابعه فتوضَّأ القوم، قال وكانوا ثلاثمة أو زهاء ثلاثمائة»[2]. وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنَّبيّ ﷺ بين يديه ركوة فتوضَّأ، فجهش الناس نحوه فقال: ما لكم؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الرَّكوة فجعل الماء يفورُ بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضَّأنا. قلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كُنَّا خمس عشرة مائة»[3]. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النَّبيّ ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجَّ في البئر فمكثنا غير بعيدٍ، ثم استقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا»[4]. وعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد

---

(١) البخاري (٦/٥٨٧) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) البخاري (٦/٥٨١) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٤/١٧٨٣/ح ٢٢٧٩) في الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ.

(٣) البخاري (٦/٥٨١) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب غزوة الحديبية، وفي تفسير سورة الفتح، باب (إذ يبايعونك تحت الشجرة)، وفي الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، ومسلم (٣/١٤٨٣/ح ١٨٥٦) في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام بجيش عند إرادة القتال.

(٤) البخاري (٦/٥٨١) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب غزوة الحديبية.

سمعت صوت رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيءٍ؟ قالت: نعم فأخرجتْ أقراصاً من شعيرٍ ثم أخرَجَتْ خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسولِ اللهِ ﷺ، قال فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمتُ عليهم فقال لي رسول الله ﷺ «أرسلك أبو طلحة»؟ فقلتُ: نعم. قال بطعامٍ؟ قلت: نعم. فقال رسولُ اللهِ ﷺ لمن معه «قوموا» فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخْبرته. فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سليم، قد جاء رسولُ اللهِ ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالتْ اللهُ ورسولُهُ أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسولَ اللهِ ﷺ، فأقبل رسولُ اللهِ ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «هلمَّ يا أُمَّ سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ فيه ما شاءَ اللهُ أَنْ يقول ثم قال «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلاً[1].

وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ أباه توفي وعليه دين، فأتيتُ النَّبيّ ﷺ فقلت: إنَّ أبي ترك دَيْناً وليس عندي إلا ما يخرج نخلهُ ولا يبلغ ما يُخْرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحش على الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم[2]. وفي حديث أبي قتادة الطويل في تلك الغزوة: ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيءٌ من ماء فتوضَّأ منها وضوءاً دون وضوء، قال وبقي منها شيء من ماءٍ، ثم قال لأبي قتادة «احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ» الحديث، إلى أَنْ قال: فانتهينا الى الناس حين امتدَّ النَّهار وحمى كل شيء وهم يقولون: يارسولَ اللهِ

---

(١) البخاري (٦/٥٨٦ ـ ٥٨٧) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الأطعمة، باب من أكل حتى شبع، وباب من أدخل الضيفان عشرة عشرة، وفي المساجد، باب من دعي لطعام في المسجد، وفي الإيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمراً بخبزه ومسلم (٣/١٦١٢/ح ٢٠٤٠) في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق رضاه.

(٢) البخاري (٦/٥٨٧) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الوصايا.

هلكنا عطشنا فقال «لا هلك عليكم ـ ثم قال ـ اطلقوا لي غمري» قال ودعا بالميضأة فجعل رسولُ اللهِ ﷺ يصبُّ وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أَنْ رأى الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «احسنوا الملء كلكم سيروى» قال ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ وأَسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي «اشربْ» فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسولَ اللهِ، قال «إنَّ ساقي القوم آخرهم شرباً» قال فشربْتُ وشرب رسولُ اللهِ ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواء[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إنْ كُنْتُ لاعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإنْ كنت لأَشُدَّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية مِنْ كتاب الله ما سألته إلاّ ليشبعني فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلاّ ليشبعني فمرَّ ولم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسَّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال «أبا هر» قلتُ لبيك يارسولَ اللهِ. قال «الحق» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأَذن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال «مِنْ أين هذا اللبن» قالوا أهداه لك فلان أو فلانة، قال «أبا هر» قلت: لبيك يارسولَ اللهِ، قال «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال وأَهل الصُّفَّةِ أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أَرسل اليهم وأَصاب منها وأَشركهم فيها، فساءني ذلك فقلتُ وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أَحقُّ أَنْ أُصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنتُ أَنا أعطيهم، وما عسى أَنْ يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأَقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال «أبا هر» قلتُ لبَّيك يارسولَ اللهِ، قال «خذ فأَعطهم» قال فأخذتُ القدح فجعلتُ أُعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح، فأُعطي

(١) مسلم (١/٤٧٢ ـ ٤٧٤/ح ٦٨١) في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.

الرجل فيشرب حتى يروي ثم يـرُدُّ عليّ القدح، حتى انتهيتُ إلى النَّبيّ ﷺ وقـد روى القوم كلُّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسَّم فقال «يا أبا هر» قلت لبيك يارسولَ اللهِ قال «بقيتُ أَنا وأَنت» قلت صدقْتَ يارسولَ اللهِ، قال «اقعد فـاشرب» فقعـدتُ فشربْتُ، فمـا زال يقول اشـرب حتى قلت «لا والـذي بعثـك بالحقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مسلكاً» قال «فأرني» فأعـطيته القـدح فحمد الله وسمى وشـرب الفضلة[1].

وقـال أبو داود رحمـه الله: حـدَّثنـا سليمـان بن داود المهـر حـدَّثنـا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كـان جابـر بن عبدالله يحـدث أَنَّ يهوديـة من أَهـل خيبر سمَّت شـاةً مصليَّةً ثم أهـدتها لـرسولِ اللهِ ﷺ فـأَخـذ رسـولُ اللهِ ﷺ الذِّراع فأكل منها وأكل رهطٌ من أصحابه معه، ثم قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ «ارفعوا أيديكم» وأرسل رسولُ اللهِ ﷺ الى المرأة فدعاها فقال لهـا «أَسَمَمْتِ هذه الشـاة» قال اليهودية. مَنْ أخبرك؟ قال «أخبرتني هذه التي في يدي» وهي الـذراع. قالت نعم قال «فما أردتِ بذلك»؟ قالت: قلت إنْ كنت نبياً فلنْ تضـرك، وإنْ لم تكن نبيّاً استرحنا منك. الحديث وهو في صحيح البخاري عن أبي هريرة في مـواضع مختصراً ومطولاً[2]. **لكن الشاهد منه في هذه الرواية أصرح وهو قـوله «أخبـرتني هذه» للذراع**. وقد رواه جماعة من الصحابة في عامة الأمهـات وغيرهـا. ودلائل نبوته ﷺ أكثر مِنْ أَنْ تحصى في الأسفار فضـلاً عن هذا المختصـر، وقد جُمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وبالله التوفيق.

وكـذا قـد صنفت التصـانيف الجملة في صفـاتـه الخُلُقيـة والخَلْقيـة وسيـرتـه وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتهـا. وكذا خصـائصه

---

(١) البخاري (١١/٣١) في الاستئذان، باب إذا دعي الرجل فجاء هل يستـأذن؟، وفي الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه.

(٢) أبو داود (٤/٧٤/ح ٤٥١٠) في الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمـة فمات أيقـاد منه. وإسناده منقطع فإن الزهري لم يسمع من جـابر بن عبـد الله رضي الله عنه لكن يشهـد له حـديث أبي هريرة في البخاري كما نبـه المصنف رحمه الله وكـذلك أنس رضي الله عنـه في البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه.

التي انفرد بها في الدنيا والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والأرضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك.

(و) نشهد (**أنه بلغ**) الى الناس كافة (**ما**) أي الذي (**قد أرسلا**) بالبناء للمفعول والألف للاطلاق (**به**) من ربه (**وكل ما إليه انزلا**) من الكتاب والحكمة.

**وفي هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر:**

**الأولى: أنَّه أي الرسول ﷺ مبلغ عن الله عز وجل**، لم يقل شيئاً من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه ﷺ رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به، ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية لله عز وجل، وتكذيبه تكذيباً لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله. قال الله تبارك وتعالى ﴿**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً. مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (النساء/٧٩)، وقال تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ**﴾ (الأنفال/٢٠ ـ ٢١)، وقال تعالى ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾ (المائدة/٩٢)، وقال تعالى ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾ (النور/٥٤)، وقال تعالى ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً، إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ**﴾ (الشورى/٤٨)، وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ (الرعد/٧)، وقال تعالى ﴿**إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ**﴾ (فاطر/٢٣)، وقال ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (ص/٦٥)، وقال تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ (الكهف/١١٠)، وقال ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ، وَمَا**

أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق/٤٥)، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً، إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (الجن/٢٢)، وقال ﴿فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات/٥٥)، وقال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (الأعلى/٩)، وقال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ (الغاشية/٢١)، وقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/٧) وغير ذلك من الآيات ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ (النجم/٤) وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّه سمع رسولَ اللهِ ﷺ يقول «ليدخلن الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ ليس بنبيٍّ مثل الحيين ـ أو مثل أحد الحيين ـ ربيعة ومضر»، فقال رجلٌ: يارسولَ اللهِ وما ربيعة من مضر؟ قال «إنَّما أقولُ ما أقول»[1]، وله عن عبدالله بن عمر وقال كُنْتُ أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعه من رسولِ اللهِ ﷺ أريدُ حفظه، فنهتني قريشٌ فقالوا إنَّك تكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه من رسولِ اللهِ ﷺ ورسولُ اللهِ ﷺ يتكلَّم في الغضب والرِّضا، فأمسكتُ عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ فقال «أكتُبْ فوالذي نفسي بيده ما خرج منِّي إلّا الحق»[2] وله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا أقول إلا حقاً». قال بعضُ أصحابه فإنَّك تداعبنا، قال «إنِّي لا أقولُ إلّا حقّاً»[3] وللبزار

---

(١) أحمد (٥/٢٥٧ و٢٦١ و٢٦٧) والطبراني.
قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة (المجمع ١٠/٣٨٤).
قلت: قال الحافظ عنه: مقبول. وقد وثقه العجلي وأبو داود وروى عنه عِدّة. فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) أحمد (٢/١٦٢ و١٩٢) وأبو داود (٣/٣١٨/ح ٣٦٤٦) في العلم، باب في كتابة العلم، والدارمي (١/١٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/١٠٥ ـ ١٠٦) والخطيب في تقيد العلم (ص ٨٠ ـ ٨١) وهو حديث صحيح.

(٣) أحمد (٢/٣٤٠ و٣٦٠) والترمذي (٤/٣٥٧/ح ١٩٩٠) في البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والشمائل (٢/٣٤) والبغوي في شرح السنة (ح ٣٦٠٣) =

عنه رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «ما أَخبرتكم أَنَّه من عند الله فهو الذي لا شك فيه»[1] وغير ذلك من الأحاديث، ويكفي في دلك قول الله تعالى ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل لأَخَذْنَا منه باليمين، ثم لَقَطَعْنَا منه الوتين**﴾ (الحاقة/٤٤) الآيات.

**المسألة الثانية: أَنَّه ﷺ بلَّغ جميع ما أُرسل به لم يكتم منه حرفاً واحداً**، قال الله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الرسولُ بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّكَ وإِنْ لم تفعل فما بلَّغْتَ رسالته واللهُ يعصِمك من الناس**﴾ (المائدة/٦٧). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ فذكر الغلول فعظَّمه وعظَّم أَمره ثم قال: لا أَلفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رغاءٌ يقول: يارسولَ اللهِ أَغِثْنِي فأقولُ لا أملك لك شيئاً قد أَبلغْتُكَ، لا ألفين أَحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمةٌ فيقول: يا رسولَ اللهِ أغثني. فأقول لا أَملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسولَ اللهِ أغثني فأقولُ لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسولَ اللهِ أَغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسولَ اللهِ أغثني فأقول لا أَملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته صامِت فيقول يارسولَ اللهِ أَغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»[2].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله ﷺ وقد تركتُ فيكم ما لَنْ تضلوا بعده إِنْ اعتصمْتُمْ به كتاب الله، وأَنتم تسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهدُ أَنَّك قد بلَّغت وأَدَّيْتَ ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء

---

= والبخاري في الأدب المفرد (١/٣٥٨/ح ٢٦٥ ـ فضل الله الصمد) وهو صحيح.

(١) البزار (١/١١٢/ح ٢٠٣/ كشف الأستار) وفي سنده عبد الله بن صالح كاتب الليث. وهو كثير الغلط. ورواه البزار (١/١١١/ح ٢٠١) عن ابن عباس. قال الهيثمي: إسناده حسن إلاّ أن اسماعيل بن عبد الله الأصبهاني شيخ البزار لم أر من ترجمه.

(٢) البخاري (٦/١٨٥) في الجهاد، باب الغلول وقول الله عز وجل: (ومن يغلل يأتِ بما غل يوم القيامة)، ومسلم (٣/١٤٦١/ح ١٨٣١) في الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول.

وينكتها الى الناس: اللهم أشهد اللهم أشهد ثلاث مرات»[1] الحديث. وفيهما من حديث ابن عباس في ذلك الجمع الأعظم حين خطب: اللهم هل بلَّغْتُ اللهم هل بلغت[2]؟ ومن حديث أبي بكرة في تلك الخطبة أيضاً ألا هلْ بلَّغْتُ؟ قالوا نعم. قال اللّهُمَّ اشهد فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ فربّ مبلَّغ أوعى من سامع»[3] وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفه وهب بن عبدالله السوائي قال: قلتُ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيءٌ من الوحي ممَّا ليس في القرآن؟ فقال «لا والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسمة، إلّا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآنِ، وما في هذه الصحيفة» قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال «العقل وفكاكُ الأسير وأَنْ لا يقتل مسلمٌ بكافر»[4]، وفيه من رواية الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: ما عندنا شيءٌ إلّا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النَّبيّ ﷺ «المدينةُ حرم ما بين عير إلى كذا، مَنْ أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين»[5] الحديث. وفي رواية قال: خطبنا عليٌّ رضي الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال «واللهِ ما عندنا من كتاب يُقرأ إلّا كتابَ اللهِ، وما في هذه الصحيفة. فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وإذا فيها: المدينة حرم من عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. وإذا فيه: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[6]، ولابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت

---

(١) مسلم (٢/٨٨٦ ـ ٨٩٢/ح ١٢١٨) في الحج، باب حجة النبي ﷺ.

(٢) البخاري (٣/٥٧٣) في الحج، باب الخطبة أيام منى.

(٣) البخاري (٣/٥٧٣ ـ ٥٧٤) في الحج، باب الخطبة أيام منى.

(٤) البخاري (٦/١٦٧) في الجهاد، باب فكاك الأسير. وفي الديات، باب لا «يقتل مسلم بكافر».

(٥) البخاري (١/٢٠٤) في العلم، باب كتابة العلم، وفي الديات، باب العاقلة، ومسلم (٢/٩٩٤ ـ ٩٩٦/ح ١٣٧٠) في الحج، باب فضل المدينة.

(٦) البخاري (٦/١٦٧) في الجهاد، باب فكاك الأسير، وفي الديات، باب العاقلة، ولا يقتل مسلم =

عند ابن عباس، فجاء رجل فقال له: إن أناساً يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله ﷺ للناس. فقال ابن عباس «ألم تعلم أن الله تعالى قال ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهِ﴾ (المائدة/٦٧) والله ما ورثنا رسولُ اللهِ ﷺ سوداءَ في بيضاء» وإسناده جيد[1]. وتقدم قول عائشة رضي الله عنها قالت «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أُنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[2] (المائدة/٦٧) الآية.

**المسألة الثالثة: أَنَّ هذا الذي بلَّغه الرسولُ ﷺ عن ربِّهِ تعالى هو جميع دين الإسلام** مكملاً محكماً لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حلٍّ، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل، قال الله تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/٣٨) فكما أَنَّ الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن، كما علمه الله عز وجل، فكذلك هذا القرآن وافٍ شافٍ كافٍ محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها، فمنْ لم يكفه فلا كفى، ومن لم يشفه فلا شفى. ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/٥١)، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو وافٍ بالذب عنه وبردِّ كل شبهة ترد عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحادّ، وبدمغ كل باطل وإزهاقه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان/٣٣). ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء/١٨)، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩)،

---

= بكافر ومسلم (٢/٩٩٢ ـ ٩٩٧/ح ١٣٧٠) في الحج، باب فضل المدينة، وفي العتق، باب تولي العتيق غير مواليه.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير (٢/٨٠) والدر المنثور (٣/١١٧) إسناده جيد هو قول ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا، أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ، اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيز، لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيم. وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت/٤٠ - ٤٤).

وكذلك السنة من جوامع كَلِم الرَّسولِ ﷺ التي اختصه الله بها، هي روح المعاني والوحي الثاني، والحكمة والبيان وتبيان القرآن. والنور والبرهان. فلم يتوفَّ ﷺ حتى بين الشريعة أكمل بيان، ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، والله تعالى يقول ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/٦٤)، ويقول تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (النحل/٤٤) ثم يخبر أنَّه ما أنزل عليك الكتاب إلّا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذ ذلك وإنجازه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلهم ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٥١) فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل ﴿لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾؟ والذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ما توفاه الله عز وجل حتى بلغَ ما أرسله الله به أكمل بلاغ وبيَّنَهُ أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأكمل به الدين وأتمَّ علينا النعمة ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعة الذي اختصّ به هو وأمته وهداهم له في أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم الذي لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله ﷺ بعده ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾ (المائدة/٣)، فأخبر فيها بأكمال دينه الذي وعدنا إظهاره في قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٣) وبإتمامه النعمة كما وعد في قوله تعالى ﴿وَلأُتِمَّ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وتقدم الحديث الصحيح في قول اليهودي لعمر في شأنها وما ردّ عليه به. وقال عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة/٣) وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أَتمَّهُ فلا ينقصه أَبداً، وقد رضيهُ فلا يسخطه أبداً[1]. قلت وفي ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النَّبيّ ﷺ «ذاقَ طعمَ الإيمان مَنْ رضيَ باللهِ ربّاً وبالإسلامِ ديناً وبمحمَّدٍ ﷺ نبيّاً»[2] وأمرنا بهذا الذكر في كل مساء وصباح، وقال أسباط عن السدي: نَزَلَتْ هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرام، ورجع رسولُ الله ﷺ فمات، قالتْ أسماءُ بنتُ عميس. حججتُ مع رسولِ الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلَّى له جبريلُ، فبينما رسولُ الله ﷺ على الرَّاحلة فلم تُطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآنِ فبركت، فأتيته فسجَّيتُ عليه برداً كان عليّ[3]. وقال ابن جرير وغير واحد: ماتَ رسولُ الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً. رواهما ابن جرير[4]، وله عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج بكى عمرٌ رضي الله عنه، فقال له النَّبيّ ﷺ ما يبكيكَ؟ قال رضي الله عنه كنَّا في زيادة من ديننا فأَمَّا إذا أكمل فإنَّه لم يكمل شيءٌ إلا نَقَصَ، فقال «صَدَقْتَ»[5]. وقال ابن عباس رضي

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٧٩) وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/١٧).

(٢) مسلم (١/٦٢/ح ٣٤) في الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٧٩ ـ ٨٠).

(٤) ابن جرير في تفسيره (٦/٧٩) وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٧/٢١٥).

(٥) ابن جرير في تفسيره (٦/٨٠) وابن أبي شيبة كما في الدر المنثور (٣/١٨) وهو مرسل قوي. فعنترة بن عبد الرحمن الكوفي: ثقة ولم تثبت له صحبة.

الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان/٣٣) قال ولا يأتونك بمثل أي بما يلتمسون به غير القرآن والرسول ﴿إِلّا جِئْنَاكَ بالحقِّ﴾ الآية أي لإنزال جبريل من الله تعالى بجوابهم[1].

وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف المرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتب قبله المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالقرآنُ أشرفُ كتاب أنزله اللهُ، ومحمدٌ ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى. وقد جمع الله للقرآن الصفتين معاً: ففي الملأ الأعلى أُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا، ثم أُنزل بعد ذلك إلى الأرض منجماً بحسب الوقائع والحوادث[2]. ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان/٣٣)، ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ (الإسراء/١٠٦).

وكما وفى بالردِّ على كُلِّ مُشَاقٍّ لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيين وغيرهم، ونزل منجَّماً على حسب ذلك، فكذلك هو واف برد شبهة كل ملحد إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادَّعى النبوة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب/٤٠)، وعلى الدَّجَّالِ فواتح سورَةِ الكهف، وعلى المعطل والمشبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾، وعلى النافي للقدر ﴿مَنْ يَشَأ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام/٣٩)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩)، وعلى الجبرية الغلاة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة/٢٨٦)، ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء/١٦٥)،

---

(١) انظر ابن كثير (٣/٣٣٠).

(٢) هي من تفسير ابن كثير رحمه الله (٣/٣٣٠).

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾ (الأنعام/١٤٩)، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام/١٤٩)، وعلى نفاة الرؤية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٣) وعلى الرافضة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ (التوبة/٤٠) وعلى الناصبة ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة/١٠٠) الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب/٣٣)، وعلى الفريقين ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر/١٠) وعلى كل ذي بدعة مطلقاً ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إلى آخرها مع قوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران/٨٣)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران/٨٥).

(**المسألة الرابعة**): **أَنَّ هذا الدين** التام المكمل الذي بلَّغه الرَّسولُ ﷺ إلى الناس كافة **لا يقبل زيادة** على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها ولا نقصاً منها ولا تغييراً ولا تبديلاً ولا يُقْبَلُ مِنْ أحدٍ ديناً سواه، ولا تقبل لأحد عبادة لم يتعبَّدها محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ ولا أصحابُهُ، ولا يُعبد الله تعالى إلّا بما شرع، وهذه المسألة يأتي إنْ شاء الله الكلام عليها في الفصل الأخير، والله المستعان.

(**المسألة الخامسة**): **أَنَّ محمداً ﷺ خاتم الرسل فلا نبيَّ بعده**، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده، فهو محكم أبداً. وهذه المسألة هي المشار إليها بهذا البيت والذي بعده:

وكُلُّ مَنْ مِنْ بَعدِهِ قَدِ ادَّعى ... نبوةً فكاذبٌ فيما ادَّعى
فهو ختام الرُّسُلِ باتفاق ... وأفضلُ الخَلْقِ على الإطلاق

قال الله تبارك وتعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الأحزاب/٤٠)، وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيداً﴾ (البقرة/١٤٣)، وقال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران/١٤٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (النساء/١٦٣) إلى غير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدَّثني معنُ عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لي خمسة أسماء أنا محمدٌ، وأنا أحمدٌ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[1] ورواه مسلم وزاد «وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»[2] وله عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يسمى لنا نفسه أسماءَ فقال «أنا محمدٌ وأحمدُ والمقفى والحاشر ونبيُّ التوبة ونبي الرحمة»[3].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب خاتم النبيين ﷺ، حدَّثنا محمد بن سنان حدَّثنا سليم حدَّثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال النَّبيّ ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء كمثلِ رجل بَنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبِنة، فجعل الناس يدخلونها يتعجَّبون ويقولون: لولا موضع اللبنة»[4] رواه مسلمٌ وزاد: قال رسولُ اللهِ ﷺ «فأنا موضع اللبنة، جئْتُ فختمت الأنبياء»[5]، وقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا قتيبة بن سعيد حدَّثنا إسماعيل بن جعفر عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ قال «إنَّ مثلي ومثل الأنبياء مِنْ قبلي كمثلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ

---

(١) البخاري (٦/٥٥٤) في المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، وفي تفسير سورة الصف، ومسلم (٤/١٨٢٨/ح ٢٣٥٤) في الفضائل، باب في أسمائه ﷺ.

(٢) مسلم (٤/١٨٢٨/ح ٢٣٥٤) في الفضائل، باب في أسمائه ﷺ.

(٣) مسلم (٤/١٨٢٨ - ١٨٢٩/ح ٢٣٥٥) في الفضائل، باب في أسمائه ﷺ.

(٤) البخاري (٦/٥٥٨) في المناقب، باب خاتم النبيين، ومسلم (٤/١٧٩١/ح ٢٢٨٧) في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٥) مسلم (٤/١٧٩١/ح ٢٢٨٧) في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

وضعت هذه اللبنة؟ قال ﷺ «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» رواه مسلم من طرق[1]. وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «مثلي ومثل النبيين» فذكر نحوه[2]. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو عامر الأزدي حدَّثنا زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «مثلي في النبيين كمثل رجُلٍ بنى داراً فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبِنة لم يضعها، وجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون مِنْهُ ويقولون: لَوْ تمَّ موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة». ورواه الترمذي عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح[3]. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا مسدد حدَّثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً، فقال: أتخلفني في الصِّبيان والنِّساء؟ قال «ألا ترضى أَنْ تكون مِنِّي بمنزلةِ هارون مِنْ موسى إلاَّ أَنَّه ليس نبيٌّ بعدي»[4]. ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لعليّ «أَنْتَ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أَنَّه لا نبيَّ بعدي» قال سعيد فأحببْتُ أَنْ أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني به عامر فقال: أنا سمعته، فقلتُ أَنْت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا سُكتا[5]. وتقدم في حديث ذكر الدجال قوله ﷺ «إنَّه يبديء فيقول إنَّه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي»[6] الحديث. وفي حديث ثوبان الطويل

---

(١) البخاري (٦/٥٥٨) في المناقب، باب خاتم النبيين، ومسلم (٤/١٧٩٠/ح ٢٢٨٦) في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) مسلم (٤/١٧٩١/ح ٢٢٨٧) في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٣) أحمد (٥/١٣٨) والترمذي (٥/٥٨٦/٣٦١٣) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ.

(٤) البخاري (٨/١١٢) في المغازي، باب غزوة تبوك، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومسلم (٤/١٨٧٠/ح ٢٤٠٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥) مسلم (٤/١٨٧٠/ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) تقدم تخريجه سابقاً.

عند أبي داود وغيره «وأنَّه سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون ثلاثون كلُّهم يزعم أنَّه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي»[1] وللبخاري ومسلم وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «نحن الآخرونَ ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه اللهُ علينا هدانا اللهُ له فالنَّاسُ لنا فيه تبع، اليهود غداً والنَّصارى بعد غد»[2]. وفي رواية «وكذلك هم تَبَعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوَّلون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق»[3]. وفي صحيح البخاري في غير موضع من صحيحه من طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسولِ الله ﷺ قال «إنَّما أَجَلُكُمْ في أَجل من خلا مِنَ الأُمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنَّما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجلٍ استعمل عمَّالاً فقال: مَنْ يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهودُ إلى نصف النهار على قيراط قيراط. فقال: مَنْ يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النّصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط. فقال: من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ قال: ألا فأنتم الذين يعملون من صلاةِ العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين. فغضبت اليهودُ والنصارى، فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال الله تعالى: هل ظلمتكم مِنْ حقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنَّه فضلي أوتيه من شئت»[4]. ولهما عن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة رضي الله عنه خمسين سنين سمعتُهُ يحدِّثُ عن النَّبيّ ﷺ قال «كانت بنو إسرائيل

---

(١) أبو داود (٤/٩٧ ـ ٩٨/ح ٤٢٥٢) في الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، والترمذي (٤/٤٩٩/ح ٢٢١٩) فيه، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، وأحمد (٥/١٦ و٤١ و٤٦) وأخرجه مسلم بطوله دون هذه اللفظة (ح/٢٨٨٩) فيه، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

(٢) البخاري (٢/٣٥٤) في الجمعة، باب فرض الجمعة، وباب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم (٢/٥٨٥/ح ٨٥٥) فيه، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

(٣) مسلم (٢/٥٨٦/ح ٨٥٦) في الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

(٤) البخاري (٦/٤٩٥ ـ ٤٩٦) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي الإمارة.

تسوسُهم الأنبياءُ، كلَّما هلك نبيٌّ خلف نبي، وإنَّه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأوَّلِ فالأوَّل، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ الله تعالى سائلهم عما استرعاهم»[1] وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ الرسالة والنبوَّة قد انقطعت، فلا رسولَ بعدي ولا نبي». قال فشقّ ذلك على النَّاس، فقال «ولكن المبشرات» قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال «رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة»[2] وللبخاري من حديث أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «لم يبْقَ مِنَ النبوَّةِ إلّا المبشِّرات. قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[3].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدَّثنا اسماعيل ـ وهو ابن جعفر ـ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «فضلتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أعطيتُ جوامِعَ الكلم، ونصرتُ بالرُّعْب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجعلتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلتُ إلى الخلق كافَّة، وختم بي النبيون»[4]. وروى الإمام أحمدُ عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنِّي عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[5]. وله عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ يوماً كالمودع فقال «أنا محمد النبي الأميّ (ثلاثاً) ولا نبيَّ بعدي، أوتيتُ فواتح الكلم وجوامعَهُ وخواتمه»[6].

---

(١) البخاري (٦/٤٩٥) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم (٣/١٤٧١/ح ١٨٤٢) في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٢) أحمد (٣/٢٦٧)، والبخاري (٤/٥٣٣/ح ٢٢٧٢) في الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والحاكم في المستدرك (٤/٣٩١) وإسناده حسن.

(٣) البخاري (١٢/٣٧٥) في التعبير، باب المبشرات.

(٤) مسلم (١/٣٧١/ح ٥٢٣) في المساجد، باب في فاتحته.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أحمد (٢/١٧٢ و٢١١) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. والحديث تقدّمت شواهده.

وقد وردت عدة أحاديث في صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لا نبي بعده لا بأس أن نذكر ما تيسر منها. فروى البخاري ومسلم عن السائب عبد الله بن يزيد رضي الله عنه قال «ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: يارسولَ اللهِ إنَّ ابن أختي وقع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضَّأ فشربْتُ من وضوئه، ثم قمتُ خلفَ ظهره فنظرتُ إلى خاتم بين كتفيه مثل زِرِّ الحَجَلة»[1]، ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال «كان رسولُ اللهِ ﷺ قد شَمِطَ مقدَّمَ رأْسِهِ ولحيته، وكان إذا ادَّهَنَ لم يتبيَّنْ، وإذا شعث رأسه تبيَّنَ، وكان كثير شعر اللِّحية. فقال رجل: وجهُهُ مثل السيف. قال: بل كان مِثْلَ الشمس والقمر، وكان مستديراً، ورأيتُ الخاتَم عند كتفه مثل بيضَةِ الحمامةِ يشبه جسده، وفي رواية قال: «رأَيْتُ خاتماً في ظهر رسولِ اللهِ ﷺ كأَنَّه بيضةُ حمام»[2]. وله عن عبدالله بن سرجس رضي الله عنه قال «رأيتُ النَّبيّ ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً ـ أو قال ثريداً ـ قال فقلتُ له: أَستغفر لك النَّبيّ ﷺ؟ قال: نعم ولك. ثم تلا هذه الآية ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ﴾. قال «ثم درتُ خلفه فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عن ناغِضِ كتفِهِ اليسرى جمعا عليه خِيلانٌ كأَمثالِ الثآليل»[3] وروى أبو داود الطيالسي عن معاوية بن قرة عن أبيه قال «أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلتُ: يارسولَ اللهِ أرني الخاتم، فقال: أَدخل يدك فأَدْخلتُ يدي في جربانه فجعلت أَلمس أنظر إلى الخاتم، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة، فما منعه ذاك أَنْ جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه» ورواه النسائي[4]. وروى الإمام أحمد عن أبي رمثة التيمي قال «خرجتُ مع أبي حتَّى أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فرأيت رأْسَهُ رِدْعٌ حنَّاء، ورأيتُ على كتفه مثل التفاحة، فقال أبي: إِنِّي طبيبٌ أفلا أطبها لك؟ قال: طبيبها الذي خلقها». قال «وقال

---

(١) البخاري (٦/٥٦١) في المناقب، باب خاتم النبوة. وفي الطهاره، وفي الطب، وفي الدعوات، ومسلم (٤/١٨٢٣/ح ٢٣٤٥) في الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته.

(٢) مسلم (٤/١٨٢٣/ح ٢٣٤٤) في الفضائل، باب شيبه ﷺ.

(٣) مسلم (٤/١٨٢٣/ح ٢٣٤٦) في الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته.

(٤) أبو داود الطيالسي (ص ١٤٤/ح ١٠٧١) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٨/٢٨٢) والبيهقي في دلائل النبوة (١/٢٦٤) وهو على شرطيهما.

لأبي: هذا ابنك؟ قال: نعم. قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه»[1].

وروى البيهقي عن سلمان الفارسي قال «أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فألقى رداءَهُ وقال: يا سلمانَ انظر إلى ما أُمرت به؟ قال فرأيْتُ الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة»[2] وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوخي الذي بعثَه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك الحديث، وفيه «فحلَّ حبوته عن ظهره ثم قال: ههنا امض لما أُمرت به، قال فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة»[3]. وروى الإمام أحمد عن غياث البكري قال: كُنَّا نجالِسُ أبا سعيد الخدري بالمدينة فسأَلْتُهُ عن خاتَمِ رسولِ اللهِ ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابة: هكذا لحمٌ ناشِزٌ بين كتفيه ﷺ[4]. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبدالله بن أبي حسين حدَّثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قَدِمَ مسيلمةُ الكذَّابُ على عهدِ رسول الله ﷺ فجعل يقول: إنْ جعل لي محمد من بعده - يعني الأمر - تبعته. وقدمها في بشرٍ كثير مِنْ قومه، فأَقْبل إليه رسولُ اللهِ ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يدِ رسولِ اللهِ ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال «لو سألْتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أَمْرَ اللهِ فيك. ولئِنْ أدبرت ليعقرنك الله، وإنِّي لأراكَ الذي أريت فيك ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني». ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: فسألتُ عن قولِ رسول الله ﷺ «وإنِّي لأراكَ الذي أُريتُ فيك ما رأيت» فأخبرني أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سوارين مِنْ ذهب،

---

(١) أحمد (٢/٢٢٧ و٢٢٨ و٣/٤٣٥، ٤/١٦٣ و٥/٣٥) بأسانيد عدّة والحديث صحيح. ورواه يعقوب بن سفيان في تاريخه (البداية والنهاية ٦/٢٧).

(٢) البيهقي «دلائل النبوة ١/٢٦٥ - ٢٦٦) وفيه سلامة العجلي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح (ت ١٣٠٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) يعقوب بن سفيان في تاريخه (البداية والنهاية ٦/٢٧ - ٢٨) ورواه أحمد (٣/٤٤١ - ٤٤٢) قال ابن كثير: هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به (البداية والنهاية ٥/١٦) ورواه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان (دلائل النبوة ١/٢٦٦).

(٤) أحمد (٣/٦٩) وفي سنده عبد الله بن ميسرة وهو ضعيف. وقال ابن كثير: تفرد به أحمد من هذا الوجه.

فأَهمَّني شأْنهما، فأُوحي إليَّ في المنام أَن انفخهما، فنفختهما فطارا فأَوَّلتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنْسي والآخر مسيلمة»[1]. حدَّثنا إسحاقُ بن منصور حدَّثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أَنَّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «بينا أنا نائم أُتيت بخزائنِ الأرض، فوضع في كَفِّي سواران من ذهب، فكبَّر عليَّ، فأُوحي إليَّ أَن انفخهما. فنفتخهما فذهبا، فأَوَّلْتُهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»[2]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وفيما أشرنا إليه كفاية.

**(فهو)** محمد ﷺ **(ختام الرسل)** فلا نبي بعده، والرسالة من باب أولى إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوة وحي مطلق مجرداً، فإن أمر بتبليغه فرسالة، فكل رسول نبي ولا عكس **(باتفاق)** من كل كتاب منزل وكل نبي مرسل وكل مؤمن بالله واليوم الآخر **(وأفضل الخلق)** كلهم **(على الاطلاق)** بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾ (البقرة/٢٥٣) قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ وتقدم قوله ﷺ «أَنا سيِّدُ وَلَدِ آدم ولا فخر»[3]. وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته وبشَّرَ به كلُّ نبي قومَه وبُعِثَ إلى الجنِّ والإنس والأسود والأحمر كافة، وأتى في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبيّ قبله من انشقاق القمر وحنين الجذع إليه ونبع الماء من أصابعه وتسليم الأشجار والأحجار عليه وغير ذلك.

## [أعظم معجزاته ﷺ هذا القرآن]

وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الدَّاهرين، لا

---

(١) البخاري (٦/٦٢٦ ـ ٦٢٧) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب وفد بني حنيفة، وباب قصة الأسود العنسي، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)، ومسلم (٤/١٧٨٠/ح ٢٢٧٣) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ.

(٢) البخاري (١٢/٤٢٣) في التعبر، باب النفخ في المنام، وفي المغازي، باب وفد بني حنيفة، ومسلم (٤/١٧٨١/ح ٢٢٧٤) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً أخرجه مسلم وغيره.

تفني عجائبه، ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار ولا يمل مع التكرار. بل يجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يُعلى، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلاّ تذكارها، وهو كل يوم براهينه في مزيد ومعجزاته في تجديد ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/٤٢).

**وقد ظهرت فضيلتُهُ ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماماً**، وعلوة فوق الجميع مقاماً، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل، واختص ﷺ بأشياء أخر في سماحة شريعته، ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعاً، وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته، وله الحوض المورود وهو الكوثر، وهو أكثر الأنبياء وارداً، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه. وله المقام المحمود الذي يغبطه به الأَوَّلون والآخرون، ويرغب إليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن، وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلث أهل الجنة، لما جاء أَنَّهم ثمانون صفّاً وغيرهم من الأمم أربعون صفّاً، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفّاً، ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر، وله ﷺ الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلاّ عرش الرحمن عز وجل، وليست هي لأحد غيره ﷺ، وغير ذلك من مقاماته العلية التي لا ينالها غيره ولا يدركها سواه، وهذا مقام يطول ذكره ولا يقدر قدره. ولا يحيط بغايته إلاّ الذي اصطفاه له، وأكرمه به. جعلنا الله عز وجل ممن اقتدى به واهتدى بهديه وكان هواه تبعاً لما جاء به آمين.

## مسألة:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهوديٌّ يعْرِض سلعته أُعطي بها شيئاً كرِهَهُ، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعهُ رجلٌ من الأنصارِ فقام فلطَمَ خدَّهُ وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر

والنَّبيّ ﷺ بين أَظْهرنا؟ فذهب اليهوديُّ إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إنَّ لي ذمَّةً وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمتَ وجهه؟ فذكره، فغضب النَّبيّ ﷺ حتى رؤى في وجهه ثم قال «لا تفضلوا بين أنبياءِ اللهِ عز وجل، فإنَّه ينفخ في الصور فيصعق مَنْ في السموات ومن في الأرض إلاّ مَنْ شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أَحوسب بصعقته يوم الطُّور أَم بُعِثَ قبلي؟ ولا أقول إنَّ أحداً أفضل من يونس ابن متى»[1]، ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيّ ﷺ قال «ما ينبغي لعبدٍ أَنْ يقول إنِّي خيرٌ مِنْ يونس بن متى»[2]. ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «لا ينبغي لعبدٍ أَنْ يقولَ أَنا خيرٌ من يونس بن متى»[3]. وفي رواية لمسلم عن النَّبيّ ﷺ أَنَّه قال ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ «لا ينبغي لعبدٍ لي»[4] الحديث.

قال النَّووي رحمه الله تعالى في الحديث الأول قوله ﷺ «لا تفضلوا بين أنبياء الله» جوابه من خمسة أوجه.

أحدها أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أَنَّه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدباً وتواضعاً.

والثالث: أَنَّ النَّهي إنَّما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

---

(١) البخاري (٥/٧٠) في الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، وفي الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده، وباب قول الله تعالى: (وأن يونس لمن المرسلين)، وفي الرقاق، باب نفخ الصور، وفي التوحيد، باب في المشيئة والارادة وقول الله تعالى: (تؤتي الملك من تشاء). ومسلم (٤/١٨٤٣/ح ٢٣٧٣) في الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ.

(٢) البخاري (٦/٤٥٠) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وان يونس لمن المرسلين)، وباب (هل أتاك حديث موسى)، وفي تفسير سورة الأنعام، باب قوله تعالى: (ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين)، وفي التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم (٤/١٨٤٦/ح ٢٣٧٧) في الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام.

(٣) البخاري (٦/٤٥١) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وان يونس لمن المرسلين)، وفي تفسير سورة النساء، وفي تفسير سورة الأنعام، وفي تفسير سورة الصافات.

(٤) مسلم (٤/١٨٤٦/ح ٢٣٧٦) في الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام.

والرابع: إنَّما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أَنَّ النَّهيَ مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنَّما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى[1]. ذكر ابنُ كثير رحمه الله تعالى وجهاً أَنَّ التفضيل ليس إليكم وإنَّما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به[2]. اهـ.

قلتُ الوجه الأول من كلام النووي ضعيف، والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب. ويقوى عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرَّأْي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحطّ من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعاً منهى عنه شرعاً، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضي الله عنه، فغضب النَّبيّ ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأُمَّةِ وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك. وأما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلّا عن الله وعن رسوله ﷺ. والله المستعان وبه التوفيق.

وقال النووي رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ في شأْنِ يونس أَنَّه ﷺ قال هذا زاجراً عن أَنْ يتخيل أَحَدٌ منَ الجاهلين شيئاً من حطِّ مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن من قصَّتِهِ: قال العلماءُ وما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر. وأما قوله ﷺ «ما ينبغي لعبدٍ أَنْ يقول أَنا خيرٌ مِنْ يونس» فالضمير قيل يعود إلى النَّبيّ ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٣٧ ـ ٣٨).
(٢) ابن كثير (١/٣١١ التفسير).

المجتهدين في عبادة أو غير ذلك من الفضائل، فإنَّه لـو بلغ من الفضائـل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة. ويؤيد هذا التأويل الرواية التي فيها قوله ﷺ «لا ينبغي لعبدٍ أَنْ يقولَ أنا خيرٌ مِنْ يونس بن متى» والله أعلم[1].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٣٢ - ١٣٣).

## فصل في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ

### وذكر الصحابة بمحاسنهم، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم رضي الله عنهم

**أهم ما في هذا الفصل خمس مسائل: الأولى**: مسألةُ الخلافة. **والثانية**: فضل الصَّحابةِ وتفاضلهم بينهم. **والثالثة**: تولى أصحاب النَّبيِّ ﷺ وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم. **الرابعة**: ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم. **والخامسة** السكوت عمّا شجر بينهم وأنَّ الجميع مجتهد: فمصيبهم له أجران أجر على اجتهاده وأجر على اصابته، ومخطؤهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور.

### [خلافة الصديق رضي الله عنه]

**وبعده الخليفةُ الشفيقُ ... نعم نقيب الأمة الصِّدِّيقُ**
**ذاك رفيقُ المصطفى في الغار ... شيخُ المهاجرينَ والأنصار**
**وَهُوَ الذي بنفْسِه تولَّى ... جهاد مَنْ عَنِ الهُدَى تولَّى**

(**وبعده**) أي بعد رسول الله ﷺ (**الخليفة**) له في أمته (**الشفيق**) بهم وعليهم (**نعم**) فعل مدح (**نقيب**) فاعل نعم، والنقيب عريف القوم وأفضلهم (**الصدّيق**) هو المخصوص بالمدح وهو النقابة منه لجميع الأمة.

وهو أبو بكر عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أول الرجال إسلاماً، وأفضلُ الأُمَّةِ على الإطلاق رضي الله عنه، فلنسق الكلام أولاً في خلافته، ثم في مقاماته أيام خلافته رضي الله عنه.

فأمَّا خلافته فقد تقدم الحديث في تقديم النَّبيِّ ﷺ إياه إماماً في الصلاة مقامه أيام مرضه ﷺ، وهو في الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ، وعن جماعة

غيرها من الصحابة رضي الله عنهم في الصحيحين وغيرهما، منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعري وعمر بن الخطاب.

وقد راجعته عائشة وحفصة رضي الله عنهما مراراً وهو يكرر مراراً عديدة يقول «مُروا أبا بكر فليصَلِّ بالنَّاسِ، مروا أبا بكر فليصَلِّ بالناسِ، مروا أبا بكر فليصل بالناس» ولما أشير بغيره حرك يده وقال «ليصل بالناس ابن أبي قحافة»[1].

وفي رواية «يأبى اللهُ والمؤمنون إلاّ أبا بكر»[2] رضي الله عنه.

وروى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال «أَتَتْ امرأَةٌ النَّبيّ ﷺ فأَمرها أَنْ ترجع إليه، قالت أرأيت إنْ جئتُ ولم أجدك؟ كأَنَّها تقول الموت، قال ﷺ: إنْ لم تجديني فأتي أبا بكر»[3].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «بينما أنا نائمٌ رأيتني على قليب عليها دلو فنزعتُ منها ما شاءَ الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعهِ ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابنُ الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتَّى ضرب الناس بعطن»[4].

وفيهما عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أَنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما كان يحدِّثُ «أَنَّ رجلاً أَتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال إِنِّي رأيتُ الليلةَ في المنام ظلة تنطفُ السَّمْنَ والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سببٌ

---

(١) البخاري (٢/١٦٤) في الجماعة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة من حديث ابن عمر، ومسلم ١/٣١١/ح ٤١٨) في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وللحديث شواهد من حديث عائشة وعبد الله بن زمعة وأبي موسى الأشعري وغيرهم.

(٢) مسلم (٤/١٨٥٧/ح ٢٣٨٧) في الفضائل، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/١٧) في فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، وفي الاعتصام، ومسلم (٤/١٨٥٦/ح ٢٣٨٦) فيه، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٧/١٨ ـ ١٩) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ، لو كنت متخذاً خليلاً، وفي التوحيد، وفي التعبير، ومسلم (٤/١٨٦٠/ح ٢٣٩٢) فيه، باب في فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

واصلٌ من الأرض إلى السماء فأراك أخذتَ به فعلوتَ. ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذَ به رجل آخرُ فينقطع، ثم وصل فقال أبو بكر: يارسولَ اللهِ بأبي أَنْتَ والله لتدعني فأُعبرها، فقال النَّبيّ ﷺ: اعبرها. قال: أَمَّا الظلة فالإسلام، وأَمَّا الذي ينطفُ السَّمْنَ والعسل فالقرآن حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآنِ والمستقل. وأَمَّا السببُ الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أَنْتَ عليه تأخذ به فيعليك الله عز وجل، ثمَّ يأخذ به رجلٌ مِنْ بعدك فيعلو به ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجلٌ آخر فينقطع ثم يوصل فيعلو به. فأخبرني يارسولَ اللهِ بأبي أنت أَصبْتُ أَمْ أخطأْتُ؟ قال النَّبيّ ﷺ: أَصَبْتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً. قال فواللهِ يارسولَ اللهِ لتحدثني بالذي أخطأت قال لا تقسم»[1].

وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خَطَبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناس وقال «إنَّ الله تعالى خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله عز وجل. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أَنْ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ مِنْ أَمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر رضي الله عنه، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبا بكر رضي الله عنه»[2].

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت «قال رسول الله ﷺ في مرضه: ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكرٍ»[3]. وروى أبو داود عن عبدالله بن زمعه رضي الله عنه قال «لما استُعِزّ برسولِ اللهِ ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من

---

(١) البخاري (١٢/٤٣١) في التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ومسلم (٤/١٧٧٧/ح ٢٢٦٩) في الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا.

(٢) البخاري (٧/١٢) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر. وباب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وفي المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ومسلم (٤/١٨٤٥/ح ٢٣٨٢) فيه، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) مسلم (٤/١٨٥٧/ح ٢٣٨٧) في الفضائل، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المسلمين دعاه بلالٌ إلى الصَّلاة فقال: مروا من يصلي للناس. فخرج عبدالله بن زمعه فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر قُمْ فصلِّ بالنَّاس. فتقدم فكبر، فلما سمع رسولُ اللهِ ﷺ صوتَهُ وكان عمرُ رضي الله عنه رجلاً مجهراً قال: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه فجاء بعد أَنْ صلَّى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس»[1].

وفي رواية قال: «لما سمع النَّبيّ ﷺ صوت عمر رضي الله عنه قال ابن زمعة: خرج النَّبيّ ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال ﷺ: لا، لا، لا. ليصلِّ للناسِ ابن أبي قحافة»[2].

وله عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه «أَنَّ النَّبيّ ﷺ قال ذات يوم: مَنْ رأى منكم رؤيا؟ قلت أنا رأيتُ كأَنَّ ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجحَ أبو بكر، وَوُزِنَ عمر وعثمان فرجَحَ عمر، ثم رُفِعَ الميزان. فرأينا الكراهية في وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ»[3].

ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال «فاستاء لها رسول الله ﷺ» يعني فساءه ذلك فقال «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[4].

---

(١) أبو داود (٤/٢١٥/ح ٤٦٦٠) في السنة، باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه. وأحمد (٤/٣٢٢) وإسناده صحيح.

(٢) أبو داود (٤/٢١٦/ح ٤٦٦١) في السنة، باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه. وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٣٩ ـ ٥٤٠/ح ١١٦٠) وإسناده صحيح.

(٣) أبو داود (٤/٢٠٨/ح ٤٦٣٤) في السنة، باب في الخلفاء والترمذي (٤/٥٤٠/ح ٢٢٨٧) في الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (٣/٧٠ ـ ٧١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولم يوافقه الذهبي ولكنه صححه. ولكنه فيه عنعنة الحسن البصري. والحديث له طريق أخرى وهي الآتية ولكن فيها علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وله شاهد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها رواه الحاكم (٣/٧١) فالحديث صحيح.

(٤) أبو داود (٤/٢٠٨/ح ٤٦٣٥) وأحمد (٥/٤٤ و٥٠) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٢٢/ح ١١٣٥) وهو صحيح لما تقدم.

وله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنَّه كان يحدِّثُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «أرى الليلة رجل صالح أنَّ أبا بكر نيطَ برسولِ اللهِ ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر» قال جابر فلما قمنا من عنْد رسول الله ﷺ قلنا: أما الرَّجُلُ الصالحُ فرسولُ اللهِ ﷺ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاةُ هذا الأمرِ الذي بعث الله به نبيه ﷺ[1].

وله عن سمرة بن جندب رضي الله عنه «أنَّ رجلاً قال: يارسولَ اللهِ إنِّي رأيت كأنَّ دلواً دليت مِنَ السماءِ، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلَّعَ، ثم جاء عثمان بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء»[2].

وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «إنِّي لأرى ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللّذيْن من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر. حديث حسن[3].

وله عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أنْ يؤمهم غيره»[4]. وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها وسئلت: من

---

(١) أحمد (٣/٣٥٥) وأبو داود (٤/٢٠٨/ح ٤٦٣٦) في السنة، باب في الخلفاء والحاكم في المستدرك (٣/٧١ ـ ٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٢٣/ح ١١٣٤) وفيه عمرو بن أبان بن عثمان قال الحافظ في التقريب مقبول «يعني إذا توبع وإلافلين». وقد رواه بعضهم فأسقط عمراً.

(٢) أحمد (٥/٢١) وأبو داود (٤/٢٠٨/ح ٤٦٣٧) في السنة، باب في الخلفاء وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٢٦/ح ١١٤١) وفيه عبد الرحمن والد الأشعث وهو مجهول لم يرو عنه سوى ولده أشعث قاله الذهبي.

(٣) الترمذي (٥/٦٠٩/ح ٣٦٦٣) في المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، وقال هذا حديث حسن. وابن ماجة (١/٣٧/ح ٩٧) في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ. وأحمد (٥/٣٩٩ و٣٨٥ و٤٠٢) والطحاوي في المشكل (٢/٨٣ ـ ٨٤) والحميدي في مسنده (١/٢١٤/ح ٢٤٩) وابن سعد (٢/٣٣٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٣١/ح ١٠٤٨ و١٠٤٩) وأبو نعيم في الحلية ٩/١٠٩) والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/٢٠)، والحاكم في المستدرك (٣/٧٥)، وابن حيان في صحيحه (٩/٢٥ ـ إحسان) وهو كمال المصنف.

(٤) الترمذي (٥/٦١٤/ح ٣٦٧٣) في المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد تقدم شاهده في مسلم.

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت أبو بكر. فقيل لها ثم من بعد أبي بكر؟ قالت عمر، قيل لها: من بعد عمر؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح[1].

وصفة بيعته رضي الله عنه بخلافة النبوة ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ماتَ وأبو بكر بالسنح، فقام عمرُ يقول: والله ما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ. قالت وقال عمرُ والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنّهُ الله فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجُلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنْتَ وأُمّي، طبت حيّاً وَميْتاً. والذي نفسي بيده لا يذيقكَ اللهُ الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك.. فلما تكلَّم جلس عمرُ رضي الله عنه، فحمِد اللهَ أبو بكر واثنى عليه وقال: ألا مَنْ كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت وقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر/٣٠)، وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٤) قال فنشج النَّاسُ يبكون. قال واجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منَّا أميرٌ ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فذهب عمرُ يتكلَّم فأسكته أبو بكر وكان عمرُ يقول: والله ما رأيتُ بذلك إلّا إني قد هيّأت كلاماً قد أعجبني خشيتُ أن لا يبلغهُ أبو بكر، ثم تكلَّمَ أبو بكر فتكلَّم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراءُ وأنتم الوزراء. فقال حُباب: والله لا نفعل، منَّا أميرٌ ومِنْكُم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكن نحنُ الأُمراء وأنتم الوزراء إنَّ قريشاً هم أَوْسطُ العرب داراً وأعربهُم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بلْ نبايعك أنْتَ، فأَنْتَ سيِّدنا وخيرُنا وأَحبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعدَ بنَ عُبادة، فقال عمر: قتلَهُ الله. زاد في رواية: فما كانت مِنْ خطبتهما من خطبةٍ إلّا نفع اللهُ بها،

---

(١) مسلم (٤/١٨٥٦/ح ٢٣٨٥) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

لقد خوَّفَ عمرُ الناس وإنَّ فيهم النفاق، فردَّهم الله بذلك، ثم بصَّرَ أبو بكر الناس الهدى وعرَّفهم الحقَّ الذي عليهم وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ - إلى - الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٤)[1].

وفيه أيضاً عن عمرَ رضي الله عنه من خطبتهِ الطويلة قال: ثم إنَّه بلغني أنَّ قائلاً منكم يقول: واللهِ لو ماتَ عمرُ بايعتُ فلاناً. فلا يغترن امرؤٌ أنْ يقول إنَّما كانت بيعة أبي بكر فلتةً وتمَّتْ، ألا إنَّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرَّهَا، وليس منكم من تُقْطَعُ الأعناقُ إليه مثل أبي بكر. مَنْ بايعَ رجلاً من غير مشورةٍ من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعهُ تغرَّةً أنْ يقتلا، وإنَّه قد كان من خبرنا حين توفَّى الله نبيَّنا ﷺ أنَّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفةِ بني ساعدة، وخالف عنَّا عليٌّ والزُّبيرُ ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكرٍ فقلت لأبي بكر: يا أبا بكرٍ انطلقْ بنا إلى إخواننا هؤلاء مِنَ الأنصار. فانطلقنا نريدُهم، فلمَّا دنوْنَا منهم لقينا مِنْهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القومُ، فقال أين تريدونَ يا معشرَ المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء مِنَ الأنصار، فقال: لا عليكم أنْ لا تقربوهم، اقْضوا أمركم، فقلتُ: والله لنأتينَّهم، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بني ساعدة فإذا رجلٌ مُزَمِّلٌ بين ظهرانيهم، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا هذا سعدُ ابنُ عبادة. فقلتُ: ما له؟ قالوا يوعَك. فلما جلسنا قليلاً تشهَّدَ خطيبُهم فأثنى على اللهِ بما هو أهْله ثم قال: أمَّا بعدُ فنحن أنصارُ اللهِ وكتيبةُ الإسلامِ، وأنتم معشر المهاجرين رهْطٌ، وقد دفَّتْ دافَّةٌ مِنْ قومكم فإذا هم يريدون أنْ يختزلونا من أصْلنا وأنْ يحضنونا من الأمْرِ. فلمَّا سكت أردتُ أنْ أتكلَّم، وكنت زوَّرت مقالةً أعجبتني أريدُ أنْ أقدِّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلمَّا أردْتُ أنْ أتكلَّم قال أبو بكر: على رِسْلِكَ. فكرهت أنْ أُغضبَهُ، فتكلم أبو بكرٍ فكان هو أحلم مِنِّي وأوْقر، واللهِ ما ترك كلمةً أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهتِهِ مثلها وأفضل منها، حتى سكت فقال: ما ذكر فيكم مِنْ خيرٍ فأنْتم له أهل، ولنْ يُعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيِّ من قريش، هُمْ أوْسَطُ العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحَد هذينِ الرَّجلين فبايعوا أيُّهما

(١) البخاري (٧/١٩ - ٢٠) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً».

شئتم. فأخذ بيدي وبيدِ أبي عبيدة بن الجَرَّاحِ وهو جالس بيننا، فلم أَكْرَهْ مما قال غيرها. كان واللهِ أَنْ أُقدَّمَ تضرب عنقي ولا يُقرِّبني ذلك من إثم أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَتأَمَّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر، اللهمَّ إلاّ أَنْ تُسَوِّلَ إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أَجده الآن. فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك وعُذيقُها المرجَّب، مِنَّا أميرٌ ومنكم أَميرٌ يا معشر قريش. فكثر اللغط وارتفعتِ الأصواتُ حتى فرِقْتُ من الإختلافِ، فقلتُ: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصارُ، ونزونا على سعد بن عبادة. فقال قائل منهم: قتلتُم سعدَ بن عُبادة، فقلت قتل اللهُ سعْدَ بن عبادة. قال عمر: وإنَّا واللهِ ما وجدنا فيما حضرنا من أَمرٍ أَقوى من مبايعةِ أبي بكر، خشينا إنْ فارقنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أَنْ يُبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمَّا بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكونُ فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورةِ المسلمين فلا يُتابعُ هو والذي بايعَهُ تغرَّةً أَنْ يقتلا[1].

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في صائفةٍ من المدينة، قال فجاء فكشف عن وجهه فقبَّلهُ وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبك حيّاً وميْتاً، مات محمدٌ وربِّ الكعبةِ. فذكر الحديث. فانطلق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتعادان حتى أَتوهم، فتكلَّم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار أو ذكره رسولُ اللهِ ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصارُ وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار» ولقد علمتَ يا سعد أَنَّ رسول الله ﷺ قال وأَنْتَ قاعد «قريشٌ ولاةُ هذا الأمر فبرُّ الناس تبع لبرِّهِمْ، وفاجرهم تَبَعٌ لفاجرهم، فقال له سعد: صدقْتَ، نحن الوزراء وأَنْتم الأمراء[2]، وله بإسناد جيد عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوه ذات السلاسل قال: وسألته عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدث عمّا تقاولتْ به الأنصارُ وما كلَّمَهُمْ به وما كلَّم به عمرُ بنُ

---

(١) البخاري (١٢/١٤٤ ـ ١٤٥) في الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

(٢) أحمد (١/٥) وإسناده هذا منقطع فحميد بن عبد الرحمن لم يدرك وفاة رسول الله ﷺ وحديث السقيفة وبيعة أبي بكر. والحديث صحيح لما تقدم من ذكره في الصحيح وغيره.

الخطاب رضي الله عنه الأنصار وما ذكر به من إمامتي إياهم بـأَمْرِ رسـولِ اللهِ ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتُها منهم، وتخوَّفْتُ أَنْ تكون فتنة بعدها ردَّة[1].

وروى البخاري عن أنس بن مالـك أَنَّه سمـع خطبـة عمر الأخيـرة حين جلس على المنبـر وذلك الغـد من يوم تـوفي رسولُ اللهِ ﷺ وأبـو بكر صـامتٌ لا يتكلَّم قـال: كُنْتُ أرجو أَنْ يعيش رسـولُ اللهِ ﷺ حتى يدبـرنا، يـريدُ بـذلـك أَنْ يكـون آخـرهم، فإنْ يـك محمدٌ قـد مات فـإنَّ الله تعالى قـد جعـل بين أظهـركم نـوراً تهتدونَ به هدى الله محمداً ﷺ، وإنَّ أبا بكر صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ وثـاني اثنين وإنَّه أَولى المسلمين بأُموركم فقوموا فبايعوه، وكانت طائفةٌ قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعـدة، وكانت بيعـة العامَّـةِ على المنبر. قـال الزهـري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذٍ لأبي بكر: اصْعَدِ المنبَـر، فلم يزل بـه حتى صعد المنبر فبايعه عامَّةُ الناس[2].

وقال محمد بن إسحاق حدثني الزهري حدَّثني أنس بن مالك قال: لمـا بُويـع أبـو بكر في السَّقيفـة وكان الغـد جَلَسَ أبو بكـرٍ رضي الله عنه على المنبـر، وقام عمرُ فتكلَّم قبل أبي بكر فحمِدَ اللَه وأثنى عليه بما هو أَهْله ثم قال: أَيُّهـا الناس، إنِّي قد كُنْتُ قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدها إليَّ رسولُ اللهِ ﷺ ولكنِّي أرى أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سيدبر أَمْرنـا ـ يقول يكون آخرنـا ـ وإنَّ اللَه قد أَبقى فيكم كتـابهُ الـذي هدى بـه رسولَ اللهِ ﷺ، فـإن اعتصمتُمْ بهُ هداكُمُ اللهُ لما كان هداهُ اللهُ له، وإنَّ الله تعالى قد جمع أَمركم على خيـركم صاحب رسـولِ اللهِ ﷺ وثاني اثنين إذ همـا في الغار، فقـوموا فبـايعوه. فبايع النَّاسُ أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلَّم أبو بكر فحمِد اللَه تعالى وأَثنى عليـه بما هـو أَهْله ثم قال: أَمَّـا بعد أَيُّهـا الناس فـإنِّي قد وُلِّيْتُ عليكم ولستُ بخيـركم، فإنْ أَحسنتُ فـأَعينـوني، وإنْ أَسـأْتُ فقـوِّمـوني. الصدق أمانـةٌ والكذب خيـانةٌ، والضعيف منكم قـويٌّ عندي حتى أزيـح علَّتَهُ إنْ شـاءَ اللهُ، والقويُّ فيكم ضعيف حتى آخـذ منه الحقَّ إنْ شـاء الله عز وجـل. لا

---

(١) أحمد (١/٨) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري (١٣/٢٠٦٥) في الأحكام، باب في الاستخلاف.

يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله عز وجل إلّا ضربَهم بالذُّلِّ، ولا يُشيع قوم قط الفاحشة إلا عمَّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَهُ، فإذا عصيتُ الله ورسولهُ فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1].

وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة باسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال فقام خطيبُ الأنصار فقال: أتعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان مِنَ المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كُنَّا أنصار رسولِ اللهِ ﷺ ونحنُ أنصار خليفته كما كُنَّا أنصاره. فقال فقام عمرُ بنُ الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم. فبايعوه فبايعه عُمَرُ وبايعه المهاجرون والأنصار. قال فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم يَرَ الزبير، قال فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت ابن عَمَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ وحواريه، أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسولِ اللهِ ﷺ، فام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم يرَ عليّاً، فدعا بعليٍّ بن أبي طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته، أردت أَنْ تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسولِ اللهِ ﷺ فبايعه[2].

وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنَّها أخبرته أنَّ فاطمة بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تسأله ميراثها مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ممَّا أفاءَ اللهُ عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «لا نُوَرَّثُ، ما تركناه صدقةً، إنَّما يأْكُلُ آل محمد ﷺ في هذا المال، وإنِّي والله لا أُغَيِّرُ شيئاً من

---

(١) محمد بن اسحاق (سيرة ابن هشام ٤/٣١٠ ـ ٣١١ والبداية والنهاية ٦/٣٠١) وإسناده حسن. ومحمد صرح بالتحديث.
والحديث أصله في البخاري (٣/٢٤٥) في الاعتصام بالسنة مختصراً.

(٢) البيهقي (البداية والنهاية ٦/٣٠١ ـ ٣٠٢). وسنده صحيح. قال ابن خزيمة: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبت له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، فقلت يسوي بدنة! بل هذا يسوي بدرة.
والحديث رواه أحمد مختصراً والحاكم مطولاً.

صدقة رسولِ اللهِ ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسولِ اللهِ ﷺ ولأعملنَّ فيها بما عمل رسولُ اللهِ ﷺ. فأبى أبو بكر أَنْ يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدَتْ فاطمةُ على أبي بكر في ذلك. قال فهجرته فلم تكلِّمْهُ حتى توفيت، وعاشت بعد النَّبيّ ﷺ ستَّة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجُها عليٌّ بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها عليٌّ. وكان لعليٍّ رضي الله عنه مِنَ الناس وجهة حياة فاطمة رضي الله عنها. فلما تُوفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأَرْسل إلى أبي بكر أَنِ ائتنا ولا يأتينا معك أَحدٌ ـ كراهية أَنْ يحضر عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه ـ فقال عمر لأبي بكر: واللهِ لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر وما عساهم أَنْ يفعلوا بي، إِنِّي واللهِ لآتِيَنَّهُمْ. فدخل عليهم رضي الله عنه، فتشهَّدَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قال: إِنَّا عرفنا يا أَبا بكر فضيلتك وما أَعطاك اللهُ، ولم ننفس عليك خيراً ساقهُ اللهُ إليك، ولكنك استبددت علينا بالأَمْرِ، وكنا نحن نرى لنا حقّاً لقرابتنا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضَتْ عينا أبي بكر رضي الله عنه، فلمَّا تكلَّم أبو بكر رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لقرابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ أَحبُّ إِليَّ أَنْ أَصل من قرابتي. وأَمَّا الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإِنِّي لم آل فيها عن الحقِّ، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما: موعدك العشية للبيعة. فلما صلَّى أبو بكر رضي الله عنه صلاةَ الظهر رقى على المنبر فتشهَّد وذكر شأْنَ عليٍّ وتخلفه عن البيعة وعذرهُ بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهَّدَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه فعظم حقّ أبي بكر رضي الله عنه وأَنَّه لم يحمله على الذي صنعه نفاسةً على أبي بكر ولا إِنكاراً للَّذي فضَّلهُ الله به، ولكنا كُنَّا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبدَّ علينا به فوجدنا في أنفسنا. فسُرَّ بذلك المسلمون وقالوا أَصَبْتَ، فكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً حين راجع الأمر المعروف[1].

---

(١) مسلم (٣/١٣٨٠/ح ١٧٥٩) في الجهاد، باب قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركناه فهو صدقة».
قال ابن كثير بعد أن ساق أخبار بيعة علي رضي الله عنه لأبي بكر مع الناس في البيعة الأولى: وأما =

وهذا لا ينافي ما ذكر في بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها، ولفظة «لم يكن بايع تلك الأشهر» إنْ كان من قول عائشة فلعَلَّها لم تعلم بيعته الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيره، لأنَّ الرِّجَال في مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النِّساء. وأيضاً فقد قدمنا مراراً أنَّ مجرَّد النفي لا يكون علماً وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافي، إذ فآية ما عند النافي أنَّه لا يعلم. ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشي ولم يبلغها حضوره صبحتها في البيعة العامة. وإنْ كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد ما فهمه من البيعة الأخرى ظنَّ أنَّه لم يبايع قبل ذلك فقال مصرِّحاً بظنِّه (ولم يكن بايع تلك الأشهر). وإنَّما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة رضي الله عنها لإزالة ما كان حصل من الوحشة والمشاجرة بسبب دعواها، ويشهد لذلك أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصِدِّيق رضي الله عنه في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجه معه إلى ذي القصة حينَ عقد ألوية الأمراء الأحد عشر في حياة فاطمة رضي الله عنها في الشهر الثالث من وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ كما روى الدارقطني من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ أقولُ لك ما قاله رسول الله ﷺ يوم أُحُد: لُم سَيْفَكَ ولا تفجعنا بنفْسِكَ وارجع إلى المدينة، فواللهِ لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظامٌ أبداً. فرجع[1].

ورواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب ابن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهري أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بن عروة

---

= ما ذكر من مبايعته إياه بعد موت فاطمة... فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياه. قلت: وألفاظ الحديث في مسلم تشهد لهذا.

(١) الدارقطني في غرائب مالك (البداية والنهاية ٦/٣١٥) وهو ضعيف فيه عبد الوهاب بن موسى ذكره الذهبي بقول: حيوان كذاب! وفيه كلام طويل انظره في اللسان (ت ١٧١) ج (٤) وقال ابن كثير: حديث غريب من طريق مالك.

عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسولِ اللهِ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً. فرجع وأمضى الجيش[1].

وفي الصحيح خروجهما إلى خارج المدينة وأنَّ أبا بكر رضي الله عنه وجد الحسن بنَ عليٍّ يلعب مع الصبيان فحمله وهو يقول:

بأَبي شَبيهٌ بالنبيّ  لَيْسَ شَبيهٌ بعليّ

وعليّ رضي الله عنه يضحك[2].

ومن تدبر النصوص في ذلك واجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النَّبيّ ﷺ وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق ﷺ «يأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر»[3].

وأما فضله فقال تبارك وتعالى ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾ (التوبة/٤٠)، وقال الله تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر/٣٣)، وقال ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل/١٧ ـ ٢١) حكى

---

(١) زكريا الساجي (ابن كثير البداية والنهاية ٦/٣١٥) من طريق عبد الوهاب بن موسى الزهري. وإسناده متهم بالوضع..

(٢) البخاري (٦/٥٦٣) في المناقب، باب صفة النبي ﷺ وفي فضائل الصحابة (٧/٩٥)، باب مناقب الحسن والحسين. وليس في الصحيح ذكر ما احتج به من توافق علي مع أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ قبل وفاة فاطمة رضي الله عنها. ولكن عند أحمد بسند البخاري (ح ٤٠ نسخة أحمد شاكر) قال عقبة بن الحارث: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه... وذكره. فهذا أوضح وأجلى والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

جماعة من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه[1].

وفي الصحيحين من حديث الهجرة الطويل «فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب، قد لحقنا يارسولَ اللهِ، فقال: لا تحزن إن الله معنا»[2].

وفيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال «قلتُ للنَّبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنُّكَ يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثهما»[3].

وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «كُنَّا نخير بين الناس في زمن النَّبيّ ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»[4].

وفي لفظ قال «كُنَّا في زمن النَّبيّ ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحابَ النَّبيّ ﷺ لا نفاضل بينهم»[5].

وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنَّهما سمعا أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «بينما رجلٌ يسوقُ بقرةً له قد حمل عليها التفتت إليه البقرةُ فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا ولكنِّي إنَّما خلقتُ

---

(١) انظر توجيه هذه الآية وأن المقصود (بالأتقى) هو الصديق في الكتاب المستطاب (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٤/٢٧٣) فإن فيه من التحرير المفيد ما لا تجده في غيره.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) البخاري (٧/٨ ـ ٩) في فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وباب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وفي تفسير سورة براءة، ومسلم (٤/١٨٥٤/ح ٢٣٨١) فيه، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٧/١٦) في فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ.

(٥) البخاري (٧/٥٣ ـ ٥٤) في فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. قلت وقد وهم المصنف بعزوهما لمسلم ولم يخرجها.

للحرث، فقال الناس: سبحانَ اللهِ تعجباً وفزعاً أبقرة تكلم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فإنِّي أُومنُ به وأبو بكر وعمر» وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ «بينما راعٍ في غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت اليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري. فقال الناس سبحان الله. فقال رسول الله ﷺ: فإنِّي أُومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر[1]، وفي رواية لهما «ومن ثم أبو بكر وعمر» ولمسلم «وما هما ثم»[2].

وفي صحيح البخاري عن همام قال: سمعت عماراً يقولُ «رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وما معه إلّا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر»[3].

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كُنْتُ جالساً عند النَّبيِّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النَّبيّ ﷺ: أمَّا صاحبُكم فقد غامر، فسلَّم وقال: يارسولَ اللهِ إنَّه كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ فسألته أنْ يغفر لي فأبى عليّ فأقبلتُ إليكَ. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً)، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا لا، فأتى إلى النَّبيِّ ﷺ فسلَّم عليه فجعل وجه النَّبيِّ ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسولَ اللهِ والله أنا كُنْتَ أظلم. مرتين. فقال ﷺ: إنَّ الله بعثني إليكم فقلتُمْ كذبتَ وقال أبو بكر صدقْتَ، واساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين. فما أوذى بعدها ـ وفي رواية ـ فقال رسولُ اللهِ ﷺ، هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إنِّي قلتُ يا أيُّهَا الناس إنِّي رسولُ اللهِ إليكم فقلتم كذبْتَ

---

(١) البخاري (١٨/٧) في فضائل الصحابة، باب مناقب أبي الصديق رضي الله عنه وذكر قصة الذئب فقط في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الحرث والمزارعة، وفي الأنبياء ومسلم (١٨٥٧/٤/ح ٢٣٨٨) فيه، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) مسلم (١٨٥٨/٤/ح ٢٣٨٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) البخاري (١٨/٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وباب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال أبو بكر صدقت»[1]. قال أبو عبدالله ـ هو البخاري ـ سبق بالخير.

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: من أنفق زوجيْنِ من شيءٍ من الأشياء في سبيل الله دعي مِنْ أبوابِ الجنَّة: يا عبد اللهِ هذا خير، فمن كان مِنْ أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومَنْ كان مِنْ أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومَنْ كان من أهل الصَّدقة دعي من باب الصَّدقة، ومن كان مِنْ أهل الصيام دعى من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحدٌ يارسولَ اللهِ؟ قال نعم، وأرجو أن تكون منهم ياأبا بكر»[2].

وفيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبيّ ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت أَيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقلتُ مِنَ الرجال؟ فقال: أبوها. قلت ثم مَنْ؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً»[3].

وفيه عن محمد بن الحنفية قال: قلتُ لأبي أَيُّ الناس خيرٌ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال أبو بكر، قلت ثم مَنْ؟ قال عمر، وخشيتُ أَنْ يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلاّ رجلٌ مِنَ المسلمين[4].

وفيه عن عروة بن الزبير قال: قلتُ لعبدِ الله بنِ عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسولِ اللهِ ﷺ، قال: بينا رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي بفناءِ الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسولِ اللهِ ﷺ ولوى ثوبَهُ في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقْبل أبو بكر فأَخَذَ بمنكبه ودفع عن رسولِ اللهِ ﷺ وقال:

---

(١) البخاري (٧/١٨) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً.

(٢) البخاري (٧/١٩) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وفي الصوم، باب الريان للصائمين، ومسلم (٢/٧١١ ـ ٧١٢/ح ١٠٢٧) في الزكاة، باب جمع الصدقة وأعمال البر.

(٣) البخاري (٧/١٨) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً. وفي المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، ومسلم (٤/١٨٥٦/ح ٢٣٨٤) فيه، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٧/٢٠) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً.

أتقتلون رجلاً أَنْ يقول ربيَ اللهُ وقد جاءكم بالبيِّناتِ مِنْ ربِّكم[1].

وفيهما عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّه توضَّأَ في بيته ثم خرج فقلتُ: لألزمنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ولأكونَنَّ معه يومي هذا، قال فجاء المسجد فسأَلَ عن النَّبيّ ﷺ فقالوا خرج ووجَّه ههنا، فخرجتُ على إثْرِهِ أَسْأَلُ عنه حتى دخل بئر أريس فجلستُ عند الباب وبابها من جريد ـ حتى قضى رسولُ اللهِ ﷺ حاجتَهُ فتوضَّأَ، فقمتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئْر أريس وتوسَّط قُفَّها وكشف عن ساقيه ودلاّهما في البئر فسلَّمْتُ عليه ثم انصرفْتُ فجلسْتُ عند الباب فقلت لأكونَنَّ بوَّاب رسولِ اللهِ ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر، فقلت على رسلك، ثم ذهبت فقلت يارسولَ اللهِ هذا أبو بكر يستأذن، فقال ائذن له وبشِّرْهُ بالجنة، فأَقْبَلْتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُلْ ورسولُ اللهِ ﷺ يبشِّرُكَ بالجنةِ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلّى رجليه في البئر كما صنع النَّبيّ ﷺ وكفَّ عن ساقيه، ثم رجعتُ فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلتُ إِنْ يرد اللهُ بفلانٍ خيراً ـ يريد أخاه ـ يأتِ به، فإذا إنسانٌ يحرِّكُ الباب، فقلت مَنْ هذا؟ فقال عمرُ بنُ الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئتُ رسولَ اللهِ ﷺ فسلَّمْتُ عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن له وبشِّرْهُ بالجنَّةِ، فجئت فقلتُ له ادخل وبشَّرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنَّةِ، فدخل فجلس مع رسولِ اللهِ ﷺ في القُفِّ عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعتُ فجلست فقلت إِنْ يرد اللهُ بفلانٍ خيراً يأتِ به، فجاءَ إنسانٌ يحرِّكُ الباب، فقلت مَنْ هذا؟ فقال عثمانُ بن عفان، فقلت على رِسلك، فجئتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتُهُ فقال: ائذنْ له وبشِّرْهُ بالجنَّةِ على بلوى تصيبه، فقلتُ له ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنَّة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القُفَّ قد ملىءَ فجلس وجاهه من الشِقِّ الآخر. قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم[2].

---

(١) البخاري (٢٢/٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وباب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي تفسير سورة المؤمن.

(٢) البخاري (٢١/٧ ـ ٢٢) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، =

وفيهما عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبيّ ﷺ صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال «اثبتْ، فإنَّما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان»[1].

وللترمذي عن ابن عمر أَنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر «أَنْتَ صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار» وقال حسن صحيح[2].

وله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ نتصدق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ اليوم أَسبق أَبا بكر إِنْ سبقته يوماً. قال فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ ما أبقيتَ لأَهلك؟ قلتُ: مثله. وأَتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك؟ قال أبقيتُ لهم الله ورسوله. قلتُ لا أسبقه إلى شيءٍ أبداً» هذا حديث حسن صحيح[3].

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَصبح منكم اليومَ صائماً؟ قال أبو بكر أَنا، قال فمن تَبِعَ منكم اليومَ جنازةً؟ قال أبو بكر أَنا. قال فمن أَطعم مِنْكُمْ اليومَ مسكيناً؟ قال أبو بكر أَنا. قال فَمَنْ عادَ منكم اليومَ مريضاً؟ قال أبو بكر أَنا فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما اجتمعنَ في امرىءٍ إلّا دخل الجنّة»[4].

والأحاديث في الصديق كثيرة جداً، قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكر كفاية في

---

= وباب مناقب عمر بن الخطاب وباب مناقب عثمان بن عفان، وفي الأدب، باب نكث العود في الماء والطين. ومسلم (٤/١٨٦٧/ح ٢٤٠٣) فيه، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) البخاري (٧/٢٢) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وباب مناقب عمر بن الخطاب، وباب مناقب عثمان بن عفان. قلت ولم يخرجه مسلم كما وهم المصنف.

(٢) الترمذي (٥/٦١٣/ح ٣٦٧٠) في المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال: حديث حسن صحيح غريب.
وفيه كثير بن اسماعيل النواء (أبو اسماعيل) وهو ضعيف.

(٣) الترمذي (٥/٦١٤ ـ ٦١٥/ح ٣٦٧٥) في المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه، وأبو داود (٢/١٢٩/ح ١٦٧٨) في الزكاة، باب في الرخصة في الرجل يخرج من ماله. والدارمي ١/٢٩١ ـ ٢٩٢) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٦٥/ح ١٢٤٠. واسناده حسن.

(٤) مسلم (٢/٧١٣/ح ١٠٢٨) في الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، وفي فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

التنبيه على ما وراءه، وما أحسن ما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إذا تـذكَّـرت شجْـواً مِنْ أَخٍ ثـقـةٍ ... فـاذْكُـر أَخَـاكَ أَبـا بكـر بمـا فعـلا
خَيْـرُ البَـرِيَّـةِ أَوْفَـاهَـا وَأَعْـدَلَهَـا ... بَـعْـدَ النَّـبيِّ وأولاهـا بـمـا حمـلا
والتـالي الثـاني المحمـودُ مشهـدُهُ ... وأَوَّلُ النَّـاسِ منهم صـدَّق الـرُّسُـلا
عـاشَ حـميـداً لأَمْـرِ اللهِ مـتَّـبـعـاً ... بـأَمْرِ صـاحبه المـاضي وما انْتقـلا[1]

## [مواقفه العظيمة]

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النَّبيِّ ﷺ من حين بعثته إلى أَنْ توفَّاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير، فأَمْرٌ لا تدرك غايته، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أَن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع الله به شملَ العربِ بعد شتاتِهِ، وقمع به كل عدوّ للدين ودمّر عليه وألف له الأمة وردَّهم إليه، بعد أَنْ ارتدَّ أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين. حتى قيل: لم يبق يصلى إلَّا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمي بالبحرين، فردَّهُمُ الله تعالى إلى الحق طوعاً وكرهاً وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر الروض الأنف للسهيلي (١/٢٨٤) والبداية والنهاية (٣/٢٨). وهذه الأبيات رويت من طريق ابن عباس وقد سئل من أول من أسلم: فقال أبو بكر الصديق ثم قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت... وذكرها.
وقد رواها عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (ح ١٠٣) والحاكم (٣/٦٤) وابن الأثير في الكامل (٣/٢٠٨) من طريق محمد بن حميد الرازي عن عبد الرحمن بن مغراء عن مجالد عن الشعبي وسنده ضعيف جداً فالرازي متهم ومجالد ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم في العلل (٢/٣٨٢) والطبري في تاريخه (٣/٢٥٤) من طريق مجالد.
ورواه عبد الله في فضائل الصحابة (ح ١١٩) وفي زيادات الزهد (ص ١١٢) والطبراني: وفيه الهيثم بن عدي وهو متروك ومجالد وهو ضعيف المجمع (٩/٤٦) والأبيات في ديوان حسان (ص ١٧٤).

قال الله تبارك وتعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ (المائدة/٥٤) الآيات. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة.

وذلك أَنَّ النَّبيّ ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضُهم الزكاة[1]. وهمَّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحابُ النَّبيّ ﷺ وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتِلُ الناس وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ «أُمرتُ أَنْ أُقاتِلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، فمَنْ قال لا إله إلّا الله عصم منِّي ماله ونفسه إلا بحقه وحسابُهم على اللهِ عز وجل» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فواللهِ لأقتلنَّ مَنْ فرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاةَ حق المال، واللهِ لو منعوني عناقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسولِ اللهِ ﷺ لقاتلتهم على منعها[2].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابةُ رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سقفَهُ وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج في أثره. قال ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردَّة.

وكان قد ارتد في حياة النَّبيّ ﷺ ثلاث فرق: **منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار** عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مشعبذاً فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسولُ اللهِ ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من

---

(١) انظر البداية والنهاية (٦/٣١٢).

(٢) البخاري (١٣/٢٥٠) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وفي الزكاة، وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، ومسلم (١/٥١/ح ٢٠) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النُّهوض لحرب الأسود فقتله فيروزُ الديلمي على فراشه قال رضي الله عنه: فأتى الخبرُ النَّبيّ ﷺ من السَّماءِ في الليلة التي قتل فيها، فقال ﷺ «قُتل الأسودُ البارحة قتله رجلٌ مبارك» قيل ومن هو؟ قال «فيروز، فاز فيروز»[1] فبشَّر النَّبيّ ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقُبِضَ النَّبيّ ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه[2].

**والفرقة الثانية بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب**، وكان قد تنبّأ في حياة رسولِ اللهِ ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنَّه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسولِ اللهِ ﷺ «من مسيلمة رسولِ اللهِ، إلى محمد رسول الله: أما بعد فإنَّ الأرض نصفها لي ونصفها لك» وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسولُ اللهِ ﷺ «لولا أنَّ الرسلَ لا تقتل لضربْتُ أعناقكما» ثم أجاب «من محمَّدٍ رسولِ اللهِ ﷺ، إلى مسيلمة الكذاب: أمَّا بعد فإنَّ الأرض لله يورثها مَنْ يشاءُ مِنْ عباده، والعاقبة للمتّقين»[3].

ومرض رسولُ اللهِ ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالدَ بن الوليد إلى مسيلمة الكذَّاب في جيشٍ كثير حتى أهلكه اللهُ على يدي وحشى غلام مطعم بن عديّ الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حربٍ شديدة، وكان وحشى يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشرَّ الناس في الإسلام[4].

**والفرقة الثالثة بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد**، وكان طليحة آخر من ارتدَّ

---

(١) أخرجه سيف التميمي في الفتوح من طريق ابن عمر كما في الاصابة (٣/٢١٠) والبداية والنهاية (٦/٣١٠) وسيف متهم.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٠٥).

(٣) أحمد (٣/٤٨٧ و٤٨٨) وأبو داود (٣/٨٣ - ٨٤/ح ٢٧٦١) في الجهاد، باب في الرسل مختصراً. والطبراني كاملاً كما في المجمع (٥/٣١٨) وسنده صحيح من حديث نعيم بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٦٦٣) وقصة قتله مسيلمة ساقها البخاري في صحيحه (٧/٣٦٧ - ٣٦٨) في المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وادعى النبوَّة في حياة النَّبيّ ﷺ وأوَّل من قوتل بعد وفاة رسول الله ﷺ مِنْ أهل الردَّة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفْلت طليحة فمرَّ على وجهه هارباً نحو الشام، ثم إنَّه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه[1].

وارتدَّ بعد وفاة النَّبيّ ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم، ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه، قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرأبَّ النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بحبَّارٍ لهاضها. انتهى من تفسير البغوي رحمه الله[2].

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ (المائدة/٥٤) قال حس: هو واللهِ أبو بكر وأصحابه[3].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننه وابن عساكر عن قتادة: قال الله تعالى هذه الآية ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ**﴾ (المائدة/٥٤) وقد علم أنَّه سيرتد مرتدُّون من الناس، فلما قبض الله نبيَّهُ ﷺ ارتدَّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل جؤاثي من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا. فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنَّهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة. فقال: والله لا أُفَرِّقُ بين شيء جمعه الله عز وجل، ولو منعوني عقالاً مما فرض اللهُ ورسولُهُ لقاتلتُهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة. قال قتادة: فكنَّا نتحدَّثُ أنَّ هذه

---

(١) انظر الاستيعاب (٢/٤٧٧).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٢/٢٦٨ - ٢٧٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٢٨٢) وأحمد في فضائل الصحابة (ح ٦١٣) وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣/١٠٢) والبيهقي في الدلائل (٦/٣٦١) وهو صحيح إلى الحسن.

الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤) إلى آخر الآية[1].

ولا ينافي هذا ما ورد من أنَّها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (المائدة/٥٤). الآية، قال عمر رضي الله عنه: أنا وقومي يارسولَ اللهِ؟ قال «لا. بل هذا وقومه» يعني أبا موسى الأشعري[2].

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مَرْدَوَيْه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤) قال رسولُ اللهِ «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[3].

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبه والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال تليت على النَّبيّ ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ (المائدة/٥٤) الآية فقال النَّبيّ ﷺ «قومك يا أبا موسى الأشعري، أهل اليمن»[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٢٨٣) وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر كما في الدر المنثور (٣/١٠١ ـ ١٠٢).

(٢) ابن جرير في تفسيره (٦/٢٨٤) وهو منقطع فشريح بن عبيد لم يسمع من عمر رضي الله عنه. وروي من طريق عياض الأشعري وحديثه مرسل كما جزم أبو حاتم رحمه الله وهو الآتي.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/١٠٧) وابن جرير في تفسيره (٦/٢٨٣) والحاكم في المستدرك (٢/٣١٣) والبيهقي في الدلائل (٥/٣٥١ ـ ٣٥٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/١٠٢) والطبراني (١٧/٣٧١/ح ١٠١٦). وعياض الأشعري: يشك في صحبته. والحديث رواه ابن جرير من رواية عياض عن أبي موسى الأشعري (٦/٢٨٤) ويشهد له الحديث الآتي.

(٤) أخرجه الحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/١٠٢).

وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسندٍ حسن عن جابر بن عبدالله قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن قوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ (المائدة/٥٤) الآية فقال «هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب»[١].

وأخرج البخاري في تأريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون[٢]. وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية[٣].

قلت. وكان غالب أَهْل القادسية من أهل اليمن، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلاً عن غيرهم، وكان بأس الناس الذي هم فيه، كما رواه ابن اسحاق عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسودا، فإنما الفارسي تيس. وقد قتل رضي الله عنه أسواراً فارس الفرس وأبلى بلاء حسناً، وكانت له اليد البيضاء يومئذ[٤].

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في تأريخه عن القاسم بن ينخُسرة قال: أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤) الآية ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله أَنَّه لمنكم أهل اليمن ـ ثلاثاً[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن كما في الدر المنثور (١٠٢/٣) والطبراني في الأوسط قال الهيثمي: إسناده حسن (المجمع ١٨/٧) وكذا قال السيوطي في الدر المنثور. قال ابن كثير: هذا حديث غريب جداً.

(٢) أخرجه البخاري في تأريخه وأخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٧٢/٢ ـ ٧٣) وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (١٠٣/٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة كما في الدر المنثور (١٠٣/٣).

(٤) البداية والنهاية (٤٥/٧).

(٥) البخاري في تاريخه (١٦١/١/٤). وقد وقع في المطبوع القاسم بن مخيمرة نقلاً عن الدر المنثور (١٠٣/٣) وهو خطأ والتصحيح من التاريخ.

وكلُّ هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولاً، فإن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذٍ، وإنَّما ارتدَّ كثيرٌ منهم مع الأسود وثبت كثيرٌ منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبي موسى وفيروز الديلمي وغيرهم من عمَّال النَّبيّ ﷺ ونشب بين مؤمنهم وكافرهم قتال عظيم حتى قتل الله الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسى إلَّا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فإنه لم يزل يتابع الكتائِبَ مدداً لمؤمنهم على كافرهم حتى راجَعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاءً في أيام الردة والفتوح، فحينئذٍ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكل هذا في شأن السبب لنزول الآية، وإلا فهي عامة لكل مؤمن يحبُّ الله ويحبه ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم.

وكان أبو بكر وأصحابه أسعد النَّاسِ بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه وأول من تناولته الآية، رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لمَّا توفي رسولُ اللهِ ﷺ واستُخْلِف أبو بكر بعده وكفر مَنْ كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمَنْ قال لا إله إلّا الله فقد عصم مِنِّي ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابُهُ على الله عز وجل» فقال أبو بكر: والله لأُقاتِلَنَّ مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسولِ اللهِ ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أَنْ رأيتُ الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنَّه الحق[1].

وتفاصيل مواقفه العظام رضي الله عنه مشهورة مبسوطة في كتب السيرة

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

وغيرها، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً، وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر مِنْ بعده إلى عمرَ بنِ الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرىء على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا له وأطاعوا. وكان عُمْرُ الصديق رضي الله عنه يوم توفي ثلاثاً وستين سنة السن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضى الله عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة.

## [خلافة الفاروق رضي الله عنه]

**ثانيه في الفَضْلِ بلا ارتياب ... الصادع النّاطق بالصَّوابِ**
**أعني به الشهم أبا حفص عمر ... مَنْ ظاهرَ الدِّينَ القويم ونصر**
**الصارم المنكى على الكُفَّارِ ... وموسع الفتوح في الأمصارِ**

(**ثانيه**) أي ثاني أبي بكر (**في الفضل**) على الناس بعده فلا أفضل منه وكذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع (**بلا ارتياب**) أي بلا شك (**الصادع**) بالحق المجاهر به الذي لا يخاف في الله لومة لائم، ومنه قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ (الحجر/٩٤) فكان عمر رضي الله عنه كذلك، وبه سماه النَّبيّ ﷺ فاروقاً (الناطق بالصواب) والذي وافق الوحي في أشياء قبل نزوله كما سيأتي (**أعني به**) أي بهذا النعت (**الشهم**) الذكي المتوقد السيد المطاع الحكم القوي في أَمْرِ اللهِ الشديد في دين الله (**أبا حفص عمر**) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوى ثاني الخلفاء وإمام الحنفاءِ بعد أبي بكر رضي الله عنهما وأوَّل من تسمى أمير المؤمنين، (**الصارم**) السيف المسلول (**المنكى**) من النكاية (**على الكفار**) لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إنْ كان شيطانه ليخافه أَنْ يأمره بمعصية كما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه (**وموسع**) من الاتساع (**الفتوح**) فتوح الإسلام

(في الأمصار) فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مَزَّقَ اللهُ به ملكهم كل مُمزَّق، ثم أوغل في بلاد الترك كما هو مبسوط في كتب السير وغيرها.

تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريباً مع ذكر أبي بكر رضي الله عنه وكثير من فضائله أيضاً التي شارك فيها أبا بكر. وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ «رأيتني دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعتُ خشخشة فقلتُ من هذا؟ فقال هذا بلال، ورأيتُ قصراً بفنائه جارية، فقلتُ لمن هذا؟ فقال لعمر، فأردتُ أنْ أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي وأمي يارسولَ اللهِ أعليك أغار؟»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينا نحنُ عِنْدَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلتُ لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمرَ، فذكرت غيرته فولَّيْتُ مدبراً. فبكى عمر وقال: أعليك أغارُ يارسولَ اللهِ؟»[2].

وعن حمزة بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عَنْ أبيه عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال «بينا أنا نائم إذ رأيتُ قدحاً أُتيتُ به فيه لبن فشربْتُ منه حتى إنِّي لأرى الريَّ يجري في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلى عمرَ بن الخطاب. قالوا فما أوَّلتَ ذلك يارسولَ اللهِ؟ قال العلم»[3].

---

(١) البخاري (١٢/٤١٦) في التعبير، باب القصر في المنام، وباب الوضوء في المنام، وفي بدء الخلق، باب صفة الجنة، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، وفي النكاح، باب الغيرة، ومسلم (٤/١٨٦٢/ح ٢٣٩٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٧/٤٠) في فضائل الصحابه، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وفي النكاح، باب الغيرة، وفي التعبير، باب القصر في المنام، وباب الوضوء في المنام، ومسلم (٤/١٨٦٣/ح ٢٣٩٥) فيه، باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/٤٢) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي العلم، باب فضل العلم، وفي التعبير، باب اللبن، وباب إذا جرى اللبن في أطرافه وأظافره، وباب إذا أعطى فضلة غيره في النوم، وباب القدح في النوم، ومسلم (٤/١٨٨٩/ح ٢٣٩٠) فيه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناس عرضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثَّدْيَ، ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعُرِضَ عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميصٌ يجتره. قالوا فما أَوَّلْتَهُ يارسولَ اللهِ؟ قال: الدين»[1].

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال «استأذن عِمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه على رسولِ اللهِ ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريش يكلمنَهُ ويستكثرنه عالية أصواتُهُنَّ على صوته ﷺ، فلمَّا استأذن عمر بنُ الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأَذِنَ له رسولُ اللهِ ﷺ، فدخل عمرُ ورسولُ اللهِ ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنَّكَ يارسولَ اللهِ، فقال النَّبيّ ﷺ: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، فلمَّا سمعن صوتكَ ابتدرنَ الحجاب. فقال عمر: فأَنْتَ أَحَقَّ أَنْ يهبن يارسولَ اللهِ. فقال عمر: يا عدُوَّاتِ أَنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقلن: نعم أَنْتَ أَفظُّ وأغلظ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أَيُّها يا ابنَ الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيَكَ الشيطان سالكاً فجًّا قط إلا سلك فجّاً غير فجك»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلَّمون من غير أَنْ يكونوا أَنبياء، فإِنْ يكُنْ من أُمَّتي منهم أَحَدٌ فعمر»[3].

---

(١) البخاري (٧/٤٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، وفي التعبير، باب القميص في المنام، وباب جر القميص في المنام، ومسلم (٤/١٨٥٩/ح ٢٣٩٠) فيه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٧/٤١) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، وفي الأدب، باب التبسم والضحك، ومسلم (٤/١٨٦٣/ح ٢٣٩٦) فيه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/٤٢) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم (٤/١٨٦٤/ح ٢٣٩٨) فيه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: لما توفي عبدُ اللهِ بن أبيّ جاءَ ابنُهُ عبدالله بن عبدالله إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأعطاه قميصَهُ وأمرهُ أنْ يكفنه فيه، ثم قام يصلِّي عليه، فأخذ عمرُ بنُ الخطاب بثوبه فقال: تصلِّي عليه وهو منافق وقد نهاك اللهُ أنْ تستغفرَ لهم؟ قال إنَّما خيرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ**﴾ (التوبة/٨٠) فقال: سأزيده على سبعين. قال فصلى عليه رسولُ اللهِ ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (التوبة/٨٤)[1] متفق على جميعها.

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال «لما ماتَ عبدُاللهِ بن أبيّ ابن سلول دُعي له رسولُ اللهِ ﷺ ليصلِّي عليه، فلمَّا قام رسولُ اللهِ ﷺ وثبْتُ إليه فقلتُ: يارسولَ اللهِ أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوْمَ كذا كذا وكذا، قال اعدد عليه قوله. فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ وقال: أَخِّرْ عنّي يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إنِّي خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ، لو أعلم أنِّي إنْ زدتُ على السبعين يغفر له لزدتُ عليها. قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ـ إلى قوله ـ وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (التوبة/٨٤). قال: فعجبتُ مِنْ جرأتي على رسولِ اللهِ ﷺ واللهُ ورسولُهُ أعلم»[2].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة أسارى بدر بطوله قال ابنُ عباس فلما أسروا الأسارى قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر هم يا نبيَّ الله بنو العمِّ والعشيرة، أرى أنْ تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أنْ يهديهم للإسلام.

---

(١) البخاري (٣/١٣٨) في الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف، ومن كفن بغير قميص، وفي تفسير سورة براءة. ومسلم (٤/١٨٦٥/ح ٢٤٠٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٨/٣٣٣ ـ ٣٣٤) في تفسير سورة براءة، باب قول الله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم).

فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أَنْ تضربَ أعناقهم فتمكِّن عليّاً مِنْ عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان ـ نسيباً لعمر ـ فأَضْرِبْ عنقه، فإنَّ هؤلاء أئمةُ الكفر وصناديدها. فهوى رسولُ اللهِ ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوِ ما قلتُ، فلمَّا كان من الغد جئتُ فإذا رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلتُ: يارسولَ اللهِ أخبرني مِنْ أيِّ شيءٍ تبكي أنت وصاحبك، فإنْ وجدت بكاءً بكيت، وإنْ لم أجد بكاءً تباكَيْتُ لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ أبكي للذي عرض عليّ في أصحابك من أَخْذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة ـ شجرة قريبة مِنْ نبيِّ اللهِ ﷺ ـ وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ـ إلى قوله ـ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ (الأنفال/٦٧ ـ ٦٩) فأحل الله الغنيمة لهم[1].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقتُ اللهَ في ثلاث ـ أو وافقني اللهُ في ثلاث ـ قلتُ يارسولَ اللهِ لو اتَّخذت من مقام إبراهيم مُصلًّى فأنزل الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة/١٢٥)، وقلتُ يارسولَ اللهِ يَدْخُلُ عليك البرُّ والفاجرُ فلو أمرت أُمَّهات المؤمنين بالحجاب، فأَنْزَلَ الله آيةَ الحجاب، قال وبلغني معاتبة النَّبيِّ ﷺ بعضُ نسائِهِ فدخلتُ عليهنَّ قلت إن انتهيتُنَّ أو ليبدلنَّ اللهُ رسولَهُ ﷺ خيراً منكنَّ، حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر ما في رسول الله ﷺ ما يعظُ نساءَه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ (التحريم/٥)[2].

---

(١) مسلم (٣/١٣٨٣ ـ ١٣٨٥، باب ١٧٦٣) في الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٢) البخاري (١/٥٠٤) في الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها وصلى لغير القبلة، وفي تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وفي تفسير سورة الأحزاب، باب قول الله تعالى: (لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يؤذن لكم)، وفي تفسير سورة التحريم، ومسلم (٤/١٨٦٥/ح ٢٣٩٩) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعنه رضي الله عنه أَنَّ رجلاً سأَل النَّبيّ ﷺ عن الساعة فقال متى الساعةُ؟ قال وماذا أعددت لها؟ قال لا شيء، إلّا أَنِّي أحبُّ الله ورسوله ﷺ. فقال: أَنْتَ مع مَنْ أَحببت قال أَنس: فما فرحنا بشيءٍ كما فرحنا بقول النَّبيّ ﷺ «أَنت مع مَنْ أحببت» قال أنس: فأَنا أُحِبُّ النَّبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أَنْ أكون معهم بحبِّي إياهم وإِنْ لم أعمل بمثل أعمالهم[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ما رأيتُ أحداً قط بعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ من حين قبض كان أَجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه[2].

وعن المسور بن مَخرمة قال: لمَّا طُعن عمرُ رضي الله عنه جعل يـأْلَمُ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وكأَنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحسنتَ صحبتَهُ، ثم فارقته وهو عَنْكَ راضٍ. ثم صحبتَ أبا بكر فأحسنْتَ صحبتَهُ، ثم فارقته وهو عنك راضٍ. ثم صحبْتَ صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون. قال: أَمَّا ما ذكرت من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه فإِنَّما ذاك مِنَ الله تعالى مَنَّ به تعالى عليَّ، وأما ما ذكرتَ من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك مِنَ الله عز وجل ذكره منَّ به عليَّ. وأما ما ترى من جزعي فهو من أَجلك وأجل أصحابك، والله لو أَنَّ لي طِلاع الأرضِ ذهباً لافتديت به من عذابِ الله عز وجل قبل أَنْ أَراه[3].

وفيهما عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: وُضِعَ عمرُ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلُّون قبل أَنْ يُرفع وأَنا فيهم، فلم يَرُعني إلّا رجل آخذ منكبي فإذا عليٌّ رضي الله عنه فترحَّم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أَنْ ألقى الله بمثل عمله منك. وأَيمُ الله إِنْ كنتُ لأظنُّ أَنْ يجعلك الله تعالى مع

---

(١) البخاري (٤٢/٧) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الأدب، باب علامة الحب في الله، وباب ما جاء في قول الرجل: ويلك، وفي الأحكام، باب الفتيا والقضاء في الطريق، ومسلم (٢٠٣٢/٤/ح ٢٦٣٩) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب، وفي الفتن (ح ٢٦٥٣)، باب قرب الساعة.

(٢) البخاري (٤٢/٧) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٤٣/٧) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

صاحبيك، وحسبك إنِّي كنتُ أسمعُ النَّبيّ ﷺ يقول كثيراً: ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر. زاد مسلم في آخره أيضاً. فإنْ كنتُ لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما[1].

والأحاديث في فضله كثيرة جداً قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكرنا كفاية.

## [قصة استشهاد الفاروق رضي الله عنه]

وكان قصة استشهاده ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا موسى بن إسماعيل حدَّثنا أبو عوانه عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيتُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قبل أَنْ يصابَ بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أَنْ تكونا قد حمَّلتُما الأرض ما لا تطيق؟ قا لا حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أَنْ تكونا حملتما الأرض مالا تطيق. قالا لا. فقال عمر لئن سلَّمني الله تعالى لأَدَعنَّ أراملَ أهل العراق لا يحتجنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً. قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رضي الله عنه. قال إني لقائم ما بيني وبينه إلَّا عبدالله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مرَّ بين الصَّفَّين قال استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدَّمَ فكبَّرَ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع النَّاسُ، فما هو إلا أَنْ كَبَّرَ حتى سمعتُهُ يقول: قتلني - أو أكلني - الكلبُ حين طعنهُ، فطار العلج بسكِّين ذات طرفين لا يمر على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلمَّا رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظنَّ العلج أَنَّه مأخوذٌ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأمَّا نواحي المسجد فلا يدرون غير أَنَّهم فقدوا صوت عمر رضي الله عنه وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلَّى بهم عبدُ الرحمن بنُ عوف صلاةً خفيفة، فلمَّا

---

(١) البخاري (٧/٤١ - ٤٢) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم (٤/١٨٥٨/ح ٢٣٨٩) فيه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر مَنْ قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، فقال: الصَّنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجلٍ يدَّعي الإسلام، فقد كنتَ أَنْتَ وأبوك تحبَّان أَنْ تكثُر العلوجُ بالمدينة. وكان العباس أكثرهم رقيقاً. فقال: إنْ شئت فعلتُ، أي إنْ شئت قتلنا. قال: كذبْتَ، بعدما تكلَّموا بلسانكم، وصلُّوا قبلتكُم، وحَجُّوا حَجَّكُمْ؟ فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأنَّ الناس لم تصبهم مصيبةٌ قبل يومئذ، فقائل يقول؛ لا بأس، وقائل يقول: أخافُ عليه، فأُتي بنبيذٍ فشربَهُ فخرج مِنْ جَوْفه، ثم أُتي بلبنٍ فشربه فخرج من جُرْحِهِ، فعلموا أَنَّه ميِّتٌ، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجلٌ شابٌّ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ وقدَمٍ في الإسلام ما قد علمت، ثم وَليتَ فعدلتَ، ثم شهادة. قال: وددتُ أَنَّ ذلك كفاف، لا عليَّ ولا لي. فلمَّا أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخي ارفعْ توبك، إنَّه أبقى لثوبكَ، وأتقى لربِّكَ. يا عبدالله بن عمر انظر ما على من الدَّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إنْ وفى له مالُ آل عمر فأَدِّهِ مِنْ أموالهم، وإلا فسل بني عَديِّ بن كعب، فإنْ لم تفِ أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأَدِّ عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة فقل: يقرأُ عليكِ عمر السلام ـ ولا تقل أميرَ المؤمنين فإنِّي لستُ اليوم للمؤمنين أميراً ـ وقل: يستأذن عمرُ بنُ الخطاب أَنْ يُدْفَنَ مع صاحبيه. فسلَّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأُ عليك عمرُ بنُ الخطاب السلام ويستأذن أَنْ يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أُريده لنفسي ولأوثرنَّ به اليوم على نفسي. فلما أَقبل قيل هذا عبدُاللهِ بنُ عمر قد جاء، قال ارفعوني، فأسنده رجلٌ إليه فقال: ما لَدَيْكَ؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ. قال: الحمدُللهِ. ما كان مِنْ شيءٍ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحملوني، ثم سلِّم فقل: يستأذن عمرُ بنُ الخطاب، فإن أَذنت لي فأَدخلوني، وإنْ ردَّتني ردُّوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أُمُّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء تسيرُ معها، فلما رأيناها قُمنا، فولجتْ عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً

لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أَوْص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر مِنْ هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمَّى عليّاً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: ليشهدكم عبدالله بنُ عمر وليس له من الأمر شيءٌ ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمرةُ سعداً فهو ذاك، وإلّا فليستعن به أيُّكم ما أُمِّر، فإنِّي لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة. وقال: أُوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوَّلين أَنْ يعرف لهم حقَّهم، ويحفظ لهم حرمتهم؛ وأُوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوَّأوا الدار والإيمان من قبلهم أَنْ يقبل مِنْ محسنهم وأَنْ يعفو عنْ مسيئهم. وأُوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنَّهم ردءُ الإسلام وجباةُ المال وغيظ العدو وأَنْ لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأُوصيه بالأعراب خيراً فإنَّهم أصل العرب ومادَّةُ الإسلام أَنْ يؤخذ من حواشي أموالهم وتردُّ على فقرائهم. وأُوصيه بذمَّةِ اللهِ وذمة رسولِ اللهِ ﷺ أَنْ يوفى لهم بعهدهم وأَنْ يقاتل من ورائهم ولا يُكلفوا إلا طاقتهم. فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا نمشي. فسلَّم عبدالله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت: أدخلوه. فأدخل: فَوُضِعَ هنالك مع صاحبيه. فلمَّا فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاءِ الرهطُ، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان. وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرَّأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأسكتَ الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله على أَنْ لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابةِ رسولِ اللهِ ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتُكَ لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك. فلمَّا أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمانُ، فبايعه وبايع له عليٌّ رضي الله عنه، وولجَ أهل الدار فبايعوه، رضي الله عنهم أجمعين[1].

---

(١) البخاري (٧/٥٩ ـ ٦٢) في فضائل الصحابة، باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفي =

وكانت مدة خلافة الفاروق رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر، وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر، وهي السن التي توفي لها رسولُ اللهِ ﷺ ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبويع لعثمان في ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين، وأوَّل من بايعه عبدُ الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب ثم بقيةُ أصحابِ الشُّورى ثم بقيَّة أهل الدار ثم بقيَّة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

## [خلافة عثمان رضي الله عنه]

**ثالثهم عثمانُ ذو النُّورَيْنِ ... ذو الحلمِ والحيا بغير مين**
**بحرُ العلوم جامعُ القرآنِ ... منه استحت ملائِكُ الرَّحمن**
**بايع عنه سيِّدُ الأكوانِ ... بكفِّهِ في بيعةِ الرِّضوانِ**

(**ثالثهم**) في الخلافة والفضل كما في حديث ابن عمر السابق (**عثمان**) بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السَّابقين الأوَّلين إلى الإسلام بدعوة الصِّدِّيق إياه، وزوَّجه رسولُ اللهِ ﷺ رقية ابنته رضي الله عنها، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلّف عن بدر لمرضها. وضرب له النَّبيّ ﷺ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوّجه النَّبيّ ﷺ أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى (**ذو النورين**) لأنَّه تزوج ابنني نبيٍّ واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه.

(**ذا الحلم**) التام الذي لم يدركه غيره (**والحياء**) الايماني الذي يقول فيه النَّبيّ ﷺ «الحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمان»[1] وقال «أشدكم حياءً عثمان»[2] (**بحر العلوم**)

---

= الجهاد والسير، والتفسير.

(١) تقدم تخريجه سابقاً من حديث عمران وأبي هريرة وهو صحيح.

(٢) الترمذي (٥/٦٦٤ ـ ٦٦٥/ح ٣٧٩٠ و٣٧٩١) في المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، وباب مناقب معاذ وزيد وأبي بن كعب وأبي عبيدة، وابن ماجة (١/٥٥/ح ١٥٤) في المقدمة، باب فضائل خبَّاب. وابن حبان في صحيحه (٩/١٣١ و١٣٦ و١٨٧ ـ إحسان). والحاكم في

الفهم التام في كتاب الله تعالى حتى إنْ كان ليقوم به في ركعة واحدة فلا يركع إلاّ في خاتمتها إلاّ ما كان مِنْ سجودِ القرآن[1].

(**جامع القرآن**) لما خشي الاختلاف في القرآن والخصام فيه في أثناءِ خلافته رضي الله عنه فجمع الناس على قراءَةٍ واحدةٍ وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريلُ على رسولِ اللهِ ﷺ آخر سني حياته.

وكان سبب ذلك أَنَّ حذيفة بنَ اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سَبْعَةِ أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطَّأَهُ الآخر أو كفَّره، فأَدَّى ذلك إلى خلاف شديد وانتشار الكلام السيّءِ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أَميرَ المؤمنين أَدرك هذه الأُمَّة قبل أَنْ تختلف في كتابها كاختلافِ اليهود والنَّصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم في ذلك ورأَى أَنْ يكتب المصحف على حرفٍ واحد وأَنْ يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك من مصلحة كفَّ المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانتْ عند الصديق أيام حياتِهِ، ثم كانَتْ عند عمر، فلما توفي صارَتْ إلى حفصة أم المؤمنين. فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أَنْ يكتب وأَنْ يُملى عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبدالله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن

---

= المستدرك (٣/٤٢٢) وأخرجه أحمد (٣/١٨٤ - ٢٨١) والطحاوي في مشكل الآثار (١/٣٥١) وأبو نعيم في الحلية (٣/١٢٢) والبغوي في شرح السنة (١٤/١٣١) والطيالسي (ح/٢٠٩٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٨٧/ح ١٢٨١ و١٢٨٢) من حديث أنس رضي الله عنه وهو صحيح.

(١) معلوم النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام قال ﷺ: إقرأ القرآن في ثلاث، فإنه لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث. رواه أبو داود (ح ١٣٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهو صحيح. وقال بعضهم: لا يقرأه في أقل من سبعة أيام. لحديث: إقرأ في سبع ولا تزيدن على ذلك. رواه البخاري (٩/٩٥) ومسلم (٢/٨١٣/ح ١١٥٩) في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر.

ابن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيءٍ أَنْ يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهْل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكَّة مصحفاً، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفاً، ويقال لهذه المصاحف «الأئمة»، ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف[1].

وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي داود السجستاني عن سويد بن غفلة قال: قال لي عليٌّ رضي الله عنه حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هُو لصنعته[2].

وروى البيهقي عنه رضي الله عنه قال؛ قال عليّ رضي الله عنه: أَيُّها النَّاسُ إِيَّاكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف، واللهِ ما حرقها إلا عَنْ ملأٍ مِنْ أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ ولو وليت مثل ما ولى لفعلتُ مثل الذي فعل[3].

(**منه استحتْ ملائِكُ الرَّحمن**) كما في الصحيح عن عطاءٍ وسليمان بن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أَنَّ عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسولُ اللهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكرفأَذن له وهو على تلك الحال فتحدَّث، ثم استأذن عمرُ فأَذن له وهو كذلك فتحدَّث، ثم استأْذن عثمان فجلس رسولُ اللهِ ﷺ وسوَّى ثيابَه. قال محمد ـ يعني ابن أبي حرملة الراوي عنهم ـ ولا أقول ذلك في يومٍ واحدٍ فدخل فتحدَّث، فلمَّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلسْتَ وسوَّيْتَ ثيابك. فقال: أَلا أَستحى من رجلٍ تستحي منه الملائكة»[4].

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/٢١٦ ـ ٢١٧).

(٢) الطيالسي وأبو بكر بن أبي داود في المصاحف (البداية والنهاية ٧/٢١٧) من حديث شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال: قال لي علي... وذكره. وفي سنده مبهم وباقي رجاله ثقات. وقد ذكر الرجل في الحديث الآتي وهو العيزار بن جرول. قال أبو حاتم في الجرح ثقة. لكن الحديث الآتي من طريق محمد بن إبان المعروف بمشك وقد ضعفه جماعة. انظر الجرح والتعديل (ت ١١١٩). فالحديث يحتمل التحسين.

(٣) البيهقي (البداية والنهاية ٧/٢١٧). انظر الحديث السابق.

(٤) مسلم (٤/١٨٦٦/ح ٢٤٠١) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه.

وعن سعيد بن العاص أَنَّ عائشة رضي الله عنها وعثمان رضي الله عنه حدثاه «أَنَّ أبا بكر رضي الله عنه استأْذَن على رسولِ اللهِ ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأَذِنَ لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجتَهُ ثم انصرف، ثم استأْذَنَ عمر فأَذِنَ له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابكِ فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفتُ. فقالت عائشةُ: يا رسول الله مالي لم أَرَكَ فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ عثمان رجلٌ حيي وإِنِّي خشيت إِنْ أذنت له على تلك الحال أَنْ لا يبلغ إليّ في حاجته»[1].

**(بايع عنه)** حين ذهب لمكة في حاجة الرسول ﷺ والمسلمين **(سيد الأكوان)** محمد رسول الله ﷺ **(بكفه)** ضرب بها على الأخرى وقال: هذه لعثمان **(في بيعة الرضوان)** لما غاب عَنها فيما ذكرنا، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة، ثم دعا رسولُ اللهِ ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكّة ليبلغ عنه أَشراف قريش ما جاء له فقال: يارسولَ اللهِ إِنِّي أَخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكَّةَ من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عَرِفَتْ قريش عداوتي إِيَّاها وغلظي عليها، ولكني أَدُلُّكَ على رجلٍ أَعَزُّ بها مني، عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أَنَّه لم يأتِ لحرب، وأَنَّه إِنَّما جاءَ زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته. فخرج عثمانُ رضي الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أَنْ يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فانطلق عثمانُ رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ ما أرسله به فقال لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالةِ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم: إِنْ شئتَ أَنْ تطوفَ بالبيت فطُفْ. فقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسولُ اللهِ ﷺ. واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أَنَّ عثمان رضي الله عنه قد قتل، قال ابن اسحاق:

---

(١) مسلم (٤/١٨٦٦/ح ٢٤٠٢) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه.

فحدَّثني عبدُالله بن أبي بكر رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال حين بلغه أَنَّ عثمان رضي الله عنه قد قتل «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا رسولُ اللهِ ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعةُ الرُّضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسولُ اللهِ ﷺ على الموت، وكان جابرُ بنُ عبدالله رضي الله عنهما يقول: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أَنْ لا نفر. فبايع الناسُ ولم يتخلَّف أحدٌ من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول: والله لكأَنِّي أنظر إليه لاصقاً بابط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الذي كان من أمر عثمان باطل[1].

وفي الصحيحين عن عثمان بن موهب قال: جاء رجلٌ مِنْ أَهْلِ مصر حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: مَنْ هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمَنِ الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر. قال: يابنَ عمر، إِنِّي سائِلُكَ عن شيءٍ فحدِّثني عنه، هل تعلم أَنَّ عثمان فرَّ يوم أُحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيَّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أَنَّه تغيَّب عن بيعة الرضوان، فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: اللهُ أكبر. قال ابن عمر: تعال أُبَيِّنُ لك، أما فراره يوم أُحد فأشهد أَنَّ الله عفا عنه وغفر له. وأَمَّا تغيبه عن بدرٍ فإِنَّه كان تحته بنت رسول اللهِ ﷺ وكانتْ مريضة فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لك أجر رجلٍ ممَّن شهد بدرا وسهمه. وأَمَّا تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسولُ اللهِ ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ بيده اليمنى: هذه يدُ عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان. فقال له ابن عمر رضي الله عنه: اذهب بها الآن معك[2].

---

(١) محمد بن اسحاق كما في السيرة لابن هشام (٣/٣٢٩ ـ ٣٣٠) والبداية والنهاية (٤/١٦٧) وعبد الله بن أبي بكر هو بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وهو تابعي ثقة.

(٢) البخاري (٧/٥٤) في فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي المغازي، وفي فرض الخمس. قلت ولم يخرجه مسلم كما وهم المصنف رحمه الله.

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: لما أَمر رسول الله ﷺ ببيعةِ الرضوان كان عثمانُ بنُ عفَّان رضي الله عنه رسولَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أَهْل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأُخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيراً من أَيديهم لأنفسهم، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح[1].

وفي الصحيحين عن عروة أَنَّ عبدالله بن عدي بن الخيار أَخبره أَنَّ المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما منعك أَنْ تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمانَ حتى خرج إلى الصلاة، قلتُ: إنَّ لي إليك حاجة وهي نصيحةٌ لك. قال: يا أَيُّها المرء أَعوذُ باللهِ منك، فانصرفتُ فرجعت إليهم إذ جاء رسولُ عثمان، فأتيته فقال: ما نصيحتُك؟ فقلتُ: إنَّ اللهَ سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحقِّ، وأَنزل عليه الكتاب، وكنت ممَّن استجاب للهِ تعالى ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسولَ اللهِ ﷺ ورأيتَ هديه. وقد أكثر الناس في شأْنِ الوليد. قال: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قلت لا، ولكن خلص إليَّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال: أَمَّا بعد فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ بالحقِّ فكنت ممَّن استجاب للهِ ولرسوله ﷺ وآمنتُ بما بُعِثَ به وهاجرت الهجرتين ـ كما قلت ـ وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ وبايعتُه، فوالله ما عصيتُهُ، ولا غششتُهُ، حتى توفّاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلفت، أَفليس لي مِنَ الحق مثل الذي لهم؟ قلتُ بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرتَ من شأْنِ الوليد فسآخذ فيه بالحقِّ إنْ شاء الله. ثم دعا عليّاً فأَمرهُ أَنْ يجلده، فجلده ثمانين[2].

---

(١) البيهقي والترمذي (٥/٦٢٦/ح ٣٧٠٢) في المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقال: حسن صحيح غريب.
وفيه الحكم بن عبد الملك القرشي: ويكادوا يجمعوا على تضعيفه. والحديث يشهد له الذي تقدم.

(٢) البخاري (٧/٥٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وباب هجرة الحبشة.
وقوله: مجلده: أي جلد الوليد.

وفي المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال: قال الأحنفُ: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينةِ، فبينا نحن في منزلنا إذْ جاءنا آتٍ فقال: الناس في المسجد. فانطلقتُ أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفرٍ في المسجد، قال فتخللتهم حتى قمتُ عليهم، فإذا عليٌّ بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، قال فلم يكن ذلك بأسرع من أنْ جاء عثمان يمشي. فقال: ههنا علي؟ قالوا نعم، قال: ههنا الزبير؟ قالوا نعم، قال: ههنا طلحة؟ قالوا نعم. قال: ههنا سعد بن أبي وقاص؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «مَنْ يبتاعَ مربد بني فلان غفر الله له» فابتعتُهُ، فأتيت رسولَ اللهِ ﷺ فقلت: إني قد ابتعته، فقال «اجعله في مسجدنا وأجْره لك»؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «من يبتاع بئر رومة» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلت: إنِّي قد ابتعتها ـ يعني بئر رومه ـ قال: اجعلها سقايةً للمسلمين، ولك أجْرُها»؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال «مَنْ يجهِّز هؤلاء غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟. قالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم أشهد، اللهم أشهد، اللهم أشهد، ثم انصرف رضي الله عنه[1].

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن جزء القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعة، فقال: ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألَّباكم عليَّ، فدعيا له، فقال أنشدكما الله، تعلمان أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما قَدِمَ المدينة ضاق المسجدُ بأهله فقال «مَنْ يشتري هذه البقعة مِنْ خالص ماله فيكون كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنة» فاشتريتُها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنْتُم تمنعوني أنْ أُصَلِّي فيها ركعتين. ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون

---

(١) أحمد (١/٧٠)، والنسائي (٦/٤٦ ـ ٤٧) في الجهاد باب فضل من جهز غازياً وفيه عمرو بن جاوان قال الحافظ مقبول «يعني إذا تابع وإلّا فليِّن» وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٩٣/ح ١٣٠٣). والحديث له شواهد عدة حسنة. انظر النسائي (٦/٢٣٦) وابن حبّان (موارد ص ٥٤٠) والحديث الآتي.

أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذبُ منه إلا بئر رومة فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاءِ المسلمين وله خير منها في الجنَّة» فاشتريتُها مِنْ خالص مالي، وأَنْتم تمنعوني أَنْ أَشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أَنِّي صاحِبُ جيش العُسْرةِ؟ قالوا: اللهم نعم». وقال الترمذي حسن[1].

وله عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: شهِدتُ النَّبيّ ﷺ وهو يحث على جيشِ العسرة، فقام عثمان بنُ عفان فقال: يا رسولَ اللهِ على مائة بعيرٍ بأَحْلاسها وأَقتابها في سبيل اللهِ، ثم حَضَّ على الجيش فقام عثمانُ فقال: يارسولَ اللهِ على مائتي بعيرٍ بأحلاسها واقتابها في سبيل الله. ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان فقال: على ثلاثمائة بعير بأَحلاسها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ينزل مِنْ على المنبر وهو يقول «ما على عثمانَ ما عمِلَ بعد هذا، ما على عثمانَ ما عمل بعد هذا»[2].

وله عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ بألف دينار في كُمِّهِ حين جهَّز جيش العسرة فنثرها في حجره، فقال عبد الرحمن: فرأيتُ النَّبيّ ﷺ يقلبها في حجره ويقول «ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعد اليوم» (مرَّتين) حسَّنَهُ الترمذي[3].

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في

---

(١) أحمد (١/٧٥)، والترمذي (٥/٦٢٧/ح ٣٧٠٣) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، والنسائي (٦/٢٣٥) في الأحباس، باب وقف المساجد، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٩٤/ح ١٣٠٥). وفيه يحيى بن الحجاج: قال عنه الحافظ: مجهول. والحديث صحيح لما تقدم.

(٢) أحمد (٤/٧٥)، والترمذي (٥/٦٢٥/ح ٣٧٠٠) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. وأبو بكر بن مالك في زوائد فضائل الصحابة (ح ٨٢٢ و٨٢٣). وإسناده ضعيف فيه الفرقد أبو طلحة وهو تابعي صغير مجهول. ويشهد له الذي بعده.

(٣) أحمد (٥/٦٣)، والترمذي (٥/٦٢٦/ح ٣٧٠١) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وفيه كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة. قال الحافظ: مقبول. وقد وثقه العجلي وابن حبان. وروى عنه عِدّة فحديثه حسن.

قصة توعدهم إيَّاه بالقتل، قال: ولم يقتلونني؟ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «لا يحل دمَ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: رجُلٌ كفر بعد إسلامه، أَوْ زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس». فوالله ما زنيتُ في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنَّيتُ بدلاً بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً. فبم يقتلونني[1].

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عثمان بن عفان فأَقْبل عليه رسولُ اللهِ ﷺ، فلما رأينا إقبال رسولِ اللهِ ﷺ على عثمان أَقْبلتْ إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمةٍ أَنْ ضرب على منكبه وقال «يا عثمان، إنَّ الله تعالى عسى أَنْ يلبسك قميصاً، فإنْ أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» (ثلاثاً)[2].

وروى أحمدُ والتِّرمذي وقال: حسن غريب عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقال «يقتل فيها هذا المقنع يومئذٍ مظلوماً» فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان[3].

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً أو قال اختلافاً وفتنة ـ فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك»[4].

---

(١) أحمد (١/٦١ و٦٣ و٧٠)، والترمذي (٤/٤٦٠/ح ٢١٥٨) في الفتن، باب ما جاء لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث، والنسائي (٧/٩٢) في تحريم الدم، باب ذكر ما يحل به دم المسلم، وأبو داود (٤/١٧٠/ح ٤٥٠٢) في الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم. وابن ماجه (٢/٨٤٧/ح ٢٥٣٣) في الحدود، باب لا يحل دم امريء مسلم إلا في ثلاث. وهو صحيح.

(٢) أحمد (٦/٧٥ و٨٦ و١١٤ و١١٧ و١٤٩)، والترمذي (٥/٦٢٨/ح ٣٧٠٥) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. وابن ماجه (١/٤١/ح ١١٢) في المقدمة، باب فضل عثمان رضي الله عنه. وهو صحيح.

(٣) أحمد (٢/١١٥)، والترمذي (٥/٦٣٠/ح ٣٧٠٨) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحمد في فضائل الصحابة (ح ٧٢٥). وإسناده حسن.

(٤) أحمد (٢/٣٤٥) والحاكم (٣/٩٩) و(٤/٤٣٣) وقال صحيح ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن. وهو كما قال.

وله عن مرة البهـزى قال: بينمـا نحن مع رسـولِ اللهِ ﷺ في طريق من طُـرُقِ المدينة قال «كيف تصنعون في فتنة تثورُ في أقطار الأرض كأنَّهـا صياصي البقـر» قـالوا نصنـعُ ماذا يـا رسولَ اللهِ؟ قـال: «عليكم هذا وأصحـابـه، أو اتبعـوا هـذا وأصحابه» قال فأسرعْتُ حتى عييت، فأدركتُ الرجل فقلت: هـذا يارسـولَ اللهِ؟ قال «هذا» فإذا هو عثمان بنُ عفان، فقال هذا وأصحابه يذكره[1].

وروى التـرمذي في جـامعه عنـه قـال لـولا حـديث سمعتـه من رسول الله ﷺ ما تكلَّمْتُ. وذكـر الفتن فقربهـا، فمرَّ رجـلٌ متقنع في ثـوب فقال «هذا يومئذٍ على الهدى» فقمتُ إليه فإذا هو عثمان بن عفان. فأقبلتُ عليه بوجهه فقلتُ: هذا؟ قال «نعم» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن ابن عمر وعبدالله بن حوالة وكعب بن عجرة[2].

وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنـه قال «ذكـر رسول الله ﷺ فتنة فقرَّبها وعظَّمها، قال: ثم مَرَّ رجلٌ مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحقِّ. قال فانـطلقت مسرعـاً ـ أو محضراً ـ وأخـذتُ بضبعيه فقلت: هذا يا رسولَ اللهِ ؟ قال: هذا[3].

وروى أبو داود الطيالسي بإسناد رجالـه ثقات عن عبـدالله بن حوالـة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ «تهجمـون على رجلٍ معتجـر ببردة من أهـل الجنَّة

---

(١) أحمـد (٥/٣٥) و(٤/٢٣٥ و٢٣٦) وفي فضـائـل الصحـابـة (ح ٧٢٠) والـترمـذي (٥/٦٢٨/ح ٣٧٠٤) من طرق وهو صحيح.

(٢) الترمذي (٥/٦٢٨/ح ٣٧٠٤) في المناقب، في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الحـديث السابق.

(٣) أحمد (٤/٢٤٢ و٢٤٣) وفي فضائل الصحابة (ح ٧٢١ و٧٢٢)، وابن ماجة (١/٤١/ح ١١١) في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد منقطع قال أبو حاتم: محمد بن سيرين لم يسمـع من كعب بن عميرة. ورواه أبـو بكر بن أبي شيبـة في مسنده عن اسماعيل بن علية عن هشام به، ورواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيـد بن هارون ثنـا هشام بن حسان فذكره بزيادة كما أوردته في زوائد المسـانيد العشرة. ورواه أبـو يعلى المـوصلي في مسنـده شاهد به ثنا همام ثنا قتاده عن محمد بن سيرين به (زوائد ٢/٥٨) والحديث صحيح لشواهده.

يبايعُ الناس» قال فهجمنا على عثمان بن عفان معتجراً يبايع الناس[1].

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما، وفي فضائله منفرداً ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

وكان الاعتداء على حياته رضي الله عنه يَوْمَ الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا إثني عشر يوماً، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين. وأما عمره رضي الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة[2]. والله أعلم.

## [خلافة علي رضي الله عنه]

**والرابعُ ابنُ عمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ ... أعني الإمامَ الحق ذا القدر العلي**
**مبيد كل خارجيٍّ مارقٍ ... وكل خبٍّ رافضيٍّ فاسقِ**
**مَنْ كَانَ للرسولِ في مكان ... هارونَ مِنْ موسى بلا نُكرانِ**
**ولا في نبوَّة فَقَدْ قَدَّمْتُ ما ... يكفي لمنْ مِنْ سوءِ ظنٍّ سلما**

(**والرابع**) في الفضل والخلافة (**ابن عم**) محمد ﷺ (**خير الرسل**) أكرمهم على الله عز وجل (**أعني**) بذلك (**الإمام الحق**) بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة (**ذا**) صاحب (**القدر العلي**) الرفيع، وهو أمير المؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه وأرضاه.

كان أبو طالب عم النَّبيّ ﷺ أخا شقيقا لأبيه عبدالله وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسول الله ﷺ بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دينِ قومه، ولله في ذلك حكمة، وقد حرص النَّبيّ ﷺ على هداية عَمِّه كل الحرص، ولم يكن ذلك حتى

---

(١) أبو داود الطيالسي (ح ١٢٥٠) وأحمد في فضائل الصحابة (ح ٨٢٥) وإسناده صحيح كما قال.
(٢) ذكر ذلك خليفة بن خياط والطبري. وقال الواقدي: لا خلاف عندنا أنه قتل وهو ابن ٨٢ سنة.

خرجَتْ روحه وهو يقول: على مِلَّةِ عبدالمطلب، وأنزل الله تعالى في ذلك تعزية لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص/٥٦) وقال النَّبيّ ﷺ «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة/١١٣)[1] الآيات.

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنَّه قال «يارسولَ اللهِ هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنَّه كان يحوطُكَ ويغضبُ لك، قال: نعم، هو في ضحضاح من نارٍ، ولولا أنا لكانَ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ»، وفي لفظ «وجدتُهُ في غمرات مِنَ النار فأخرجْتُهُ إلى ضحضاح»[2].

وفيه عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ عنده عمه أبو طالب فقال «لعلَّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاحٍ مِنْ نارٍ يبلغ كعبيه يغلي منه دماغُه»[3].

وفيه عن ابن عباس أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعلٌ بنعلينِ يغلي منهما دماغُه»[4].

وكفل النَّبيّ ﷺ عليا رضي الله عنه وهو صغير، فلما بعث آمن به وهو ابن ثمان سنين، وهو أول من آمن من الصبيان، كما أنَّ أبا بكر أول من آمن به من

---

(١) البخاري (٧/١٩٣) في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الجنائز، باب إذا قال المشرك عنه الموت. لا إله إلا الله، وفي تفسير سورة براءة، وفي تفسير سورة القصص، وفي الإيمان والنذور، ومسلم (١/٥٤/ح ٢٤) في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع.

(٢) البخاري (٧/١٩٣) في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الأدب، باب كنية المشرك، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١/١٩٤/ح ٢٠٩) في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٣) البخاري (٧/١٩٣) في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١/١٩٥/ح ٢١٠) في الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٤) مسلم (١/١٩٦/ح ٢١٢) في الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً.

الرجال، وخديجة رضي الله عنها أول من آمن به من النساء، وورقة بن نوفل رضي الله عنه أول من آمن به من الشيوخ وزيدُ بن حارثة رضي الله عنه أول من آمن به من الموالي. وبلال رضي الله عنه أوَّل من آمن به من الأرقاء ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

وكان عليٌّ رضي الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على الرسول ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) فأمر علياً أنْ يدعوهم له فيجتمعون للنذارة. وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا في حديث الهجرة. وهو الذي أدى الأمانات عنه بعدها. وهو الذي برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول: أنا أوَّل مَنْ يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة[1].

وشهد مع الرَّسولِ ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتي.

وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق.، وفتح الله على يديه يوم خيبر بعد قتله فارسهم مرحب. وكان مع حماة النَّبيّ ﷺ يوم أحد.

وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغاً عن الرَّسولِ ﷺ في الموسم، وشريكه في هديه في حجة الوداع، وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيزه حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضي الله عنهم.

وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول الله ﷺ وقولهم عليه ما لم يقل قبَّحهم الله.

(مبيد) أي مدمر (**كل خارجي**) نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا الاسم علماً على الحرورية الذين كفروا أهل القبلة والمعاصي وحكموا بتخليدهم في النار بذلك، واستحلّوا دماءَهم وأموالهم، حتى الصحابة من السابقين الأولين مِنْ أهل بدر وغيرهم، حتى علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر

---

(١) سيأتي حديثه في الصحيح.

وخباب وأقرانهم رضي الله عنهم، ثم صار هذا الاسم عاماً لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقتهم الخائبة.

**وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون:**

فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما في الحديث «أيُّما امرئٍ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعتْ عليه»[1].

ومنها أنَّ من أكبر الكبائر التي يُكفرون بها المؤمنين قتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق وهم أسرع الناس في ذلك يقتلون أهل الإيمان ويَدعون أهل الأوثان.

ومنها أنَّ المؤمن وإنْ عمل المعاصي فهو لا يستحلها وإنَّما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه له وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه، وهم يقتلون النفس التي حرَّم الله قتلها إلّا بالحق، ويأخذون الأموال التي حرَّم الله أخذها إلا بالحق، ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلّين لها، والذي يعمل الكبيرة مستحِلاً لها أولى بالكفر ممن يعملها مقراً بتحريمها بل لا مخالف في ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام، وإنَّما توقَّفَ الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنَّهم كانوا يتأوَّلون فحكموا أنَّهم بُغاة.

(مارق) اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه، وسمى الخوارج «مارقة» لقول النَّبيّ ﷺ فيهم «يمرقون مِنَ الدِّينِ كما يمرق السَّهْمُ من الرمية» وقوله «تمرق مارقة»[2] الحديث.

ففي الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال «أتى رجلٌ

---

(١) البخاري (١٠/٥١٤) في الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ومسلم (١/٧٩/ح ٦٠) في الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر.

(٢) تقدم تخريج أحاديث الخوارج سابقاً وسيأتي بعد قليل.

رسولَ اللهِ ﷺ بالجعرانة منصرفة من حُنين، وفي ثوب بلال فِضّة، ورسولُ اللهِ ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك ومَنْ يعدل إذا لم أَكُنْ أَعدل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إنْ لم أَكُنْ أَعدل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسولَ اللهِ فأقتل هذا المنافق، فقال معاذَ الله أَنْ يتحدَّث الناس أَنِّي أقتلُ أصحابي، إنْ هذا وأصحابه يقرؤون القرآنَ لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»[1].

وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهيبة «فجاء رجلٌ كثُّ اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتىءُ الجبين محلوقُ الرَّأْس فقال: اتَّقِ اللهَ يا محمد، قال فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فَمَنْ يُطعِ الله إنْ عصيتُهُ؟ أيأمنني على أهلِ الأرض ولا تأمنوني؟ قال ثم أَدْبر الرجل فاستأذن رجلٌ من القوم في قتله ـ يرون أَنَّه خالد بن الوليد ـ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ مِنْ ضئضىء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم، يقتلون أَهْل الإسلام ويدعون أَهل الأوثانِ، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السَّهْمُ من الرميَّة، لئنْ أدركتُهُم لأقتلهم قتل عاد» وفي لفظٍ «ثمود»[2] وفي لفظ «فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: يارسولَ اللهِ ائذن لي فيه أَضْرِبْ عنقه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: دعهُ فإنَّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم، يمرقون مِنَ الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظرُ إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ، ثم ينظر إلى نضِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء وهو القدح، ثم ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيءٌ، سبق الفرث والدم، آيتهم رجلٌ أَسودٌ إحدى عُضَديْهِ مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَر، يخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس. قال أبو سعيد: فأشهد أَنِّي سمعتُ

---

(١) البخاري (٦/٢٣٨) في فرض الخمس، باب من الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوزان النبي ﷺ برضاعه فتحلل من المسلمين، ومسلم (٢/٧٤٠/ح ١٠٦٣) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) البخاري (٩/٩٩ ـ ١٠٠) في فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الأدب، باب ما جاء في قول الرجل، ويلك، وفي استتابة المرتدين، باب قتال الخوارج، وباب من ترك قتال الخوارج للتأليف وأن لا ينفر الناس عنه، ومسلم (٢/٧٤١ ـ ٧٤٢/ح ١٠٦٤) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

هذا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، وأشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فوُجِدَ، فأتى به حتى نظرتُ إليه على نعتِ رسولِ اللهِ ﷺ الذي نعت»[1]

وفيه عنه رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ ذكر قوماً يكونون في أُمَّتِهِ يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال «هُمْ شرُّ الخلق، أو من أشر الخلق، يقتلهم أَدنى الطائفتين إلى الحق» قال فصربَ النَّبيّ ﷺ لهم مثلاً ـ أو قال قولاً ـ الرجل يرمي الرمية أو قال الفوق فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضيِّ فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة. قال قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أَهْلَ العراق[2].

وفيه عنه رضي الله عنه قال قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «تمرق مارقةٌ عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطّائفتين بالحق[3].

وفي رواية يكون في أمتي فرقتان فتخرجُ من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحقِّ[4].

وفي لفظ قال ﷺ «تمرقُ مارقةٌ في فرقة من الناس، فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق»[5].

وفي رواية «يخرجون على فرقة مختلفة، يقتلهم أقرب الطَّائفتين مِنَ الحق»[6].

وفيه عن سويد بن غفلة قال: قال عليٌّ رضي الله عنه «إذا حدَّثْتُكُمْ عن رسولِ اللهِ ﷺ فلأَنْ أَخَرَّ من السماء أحبّ إليّ مِنْ أنْ أقول عليه ما لم يقل، وإذا

---

(١) مسلم (٢/٧٤٤ ـ ٧٤٥/ح ١٠٦٤) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٢) مسلم (٢/٧٤٥/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٣) مسلم (٢/٧٤٥/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٤) مسلم (٢/٧٤٦/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٥) مسلم (٢/٧٤٦/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٦) مسلم (٢/٧٤٦/ح ١٠٦٥) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنَّ الحرب خدعة. سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «سيخرجُ في آخرِ الزمان قومٌ أحداثُ الأسنانِ سفهاء الأحلام، يقولون مِنْ خيرِ قولِ البريَّةِ، يقرأون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم، يمرقونَ مِنَ الدِّين كما يمرُقُ السَّهْمُ من الرميَّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[1].

وفيه عن عبيدة عنه رضي الله عنه قال «ذكر الخوارجَ فقال: فيهم رجلٌ مخدج اليد ـ أو مودَن اليد، أو مودون اليد ـ لولا أَنْ تطروا لحدَّثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ. قال قلت: أَنْتَ سمعت من محمد ﷺ؟ قال: إي وربِّ الكعبة، إي وربِّ الكعبة، إي وربِّ الكعبة»[2].

وفيه عن زيد بن وهب الجهني أَنَّه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليٌّ رضي الله عنه: أَيُّها الناس إِنِّي سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «يخرج قومٌ مِنْ أُمَّتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيءٍ، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهِمْ بشيءٍ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيءٍ، يقرأونَ القرآن يحسبونه أَنَّه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتُهم تراقيهم، يمرقونَ مِنَ الإسلام كما يمرقُ السهم من الرمية، لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونَهم ما قضى لهم على لسان نبيِّهم ﷺ لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك أَنَّ فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأسِ عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاءِ يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ واللهِ إِنِّي لأرجو أَنْ يكونوا هؤلاء القوم فإنَّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرحِ الناس، فسيروا على اسمِ الله» قال سلمة بن كهيل فنزلني زيدُ بنُ وهب منزلاً حتى مررنا على قنطرة فلمَّا التقينا وعلى الخوارج

---

(١) البخاري (٩/٩٩) في فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (٢/٧٤٦ ـ ٧٤٧/ح ١٠٦٦) في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج.

(٢) مسلم (٧٤٧/ح ١٠٦٦) في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج.

يومئذٍ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم: أَلقُوا الرِّماح وسُلُّوا سيوفكُمْ من جفونها فإنِّي أخاف أنا يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحَّشوا برماحهم وسَلُّوا السُّيوفَ وشجرهم النَّاسُ برماحهم، قال وقتل بعضهم على بعض، وما أصيبَ من الناس يومئذٍ إلا رجلان. قال عليٌّ رضي الله عنه التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه، فنام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أَتى ناساً قد قُتِلَ بعضُهم على بعض قال أَخِّروهم، فوجدوه مما يلي الأرض فكَبَّر ثم قال: صدق اللهُ وبلَّغَ رسولُهُ، قال فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أَميرَ المؤمنين، الله الذي لا إله إلا هو لسمعتَ هذا الحديث مِنْ رسول الله ﷺ؟ فقال أي والله الذي لا إله إلا هو. حتَّى استحلفه ثلاثاً وهو يحلِفُ له»[1].

وفيه عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الحرورية لما خرجَتْ وهو مع عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حُكْم إلا لله، قال علي: كلمَةُ حقٍّ أُريد بها باطلٌ. إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وصفَ لنا وإنِّي لأَعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بأَلسنتهم ولا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - مِنْ أَبغض خلق اللهِ إليه، منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثديٍ. فلما قتلهم عليُ بنُ أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فواللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبت - مرتين أو ثلاثاً - ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبدالله: وأَنا حاضر ذلك مِنْ أمرهم وقول علي رضي الله عنه فيهم[2].

وفيه عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتي قوماً يقرأون القرآنَ لا يجاوزُ حلاقيمَهُم يخرجون من الدِّينِ كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هُمْ شَرُّ الخلق والخليقَةِ»[3] ومثله عن رافع بن عمر الغفاري رضي الله عنه[4].

---

(١) مسلم (٢/٧٤٨ - ٧٤٩/ح ١٠٦٦) في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج.
(٢) مسلم (٢/٧٤٩/ح ١٠٦٦) في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج.
(٣) مسلم (٢/٧٥٠/ح ١٠٦٧) في الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة.
(٤) مسلم (٧٥٠/ح ١٠٦٧) في الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة.

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال «سيكونُ في أُمَّتي اختلاف وفرقة، قومٌ يحبُّون القتل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون مِنَ الدِّينِ مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هُمْ شرُّ الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يَدْعونَ إلى كتاب الله وليسوا منه في شيءٍ، مَنْ قاتلهم كان أولى باللهِ منهم، قالوا يا رسولَ اللهِ ما سيماهم؟ قال: التحليق»[1].

وله عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأيتموهم»[2] قال أبو داود: التسبيد استئصال الشعر.

والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية.

(و) مبيد (**كل خبٍّ رافضي فاسق**) الخب الخدّاع الخائن، والرافضيّ نسبة إلى الرَّفْض وهو التَّرْك بازدراءٍ واستهانة، سُمُّوا بذلك لِرَفضهم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[3]، وزعموا أَنَّهما ظلما علياً واغتصبوهُ الخلافة ومنعوا فاطمة رضي الله عنها فَدك، وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة.

**وهم أقسام كثيرة لا كَثَّرهم الله تعالى**، أَعظمهم غُلُوّاً وأسوأهم قولاً وأخبثهم اعتقاداً بل وأخبث من اليهود والنصارى هم **السَّبيئة أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي** قَبَّحَهُ الله، كانوا يعتقدون في عليٍّ رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النَّصاري في عيسى عليه السلام، وهُمُ الذين أحرقهم علي رضي الله عنه بالنَّارِ، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاري والمسند وأبي داود والترمذي والنَّسائي

---

(١) أبو داود (٤/٢٤٣/ح ٤٧٦٥) في السنة، باب في قتال الخوارج.

(٢) أبو داود (٤/٢٤٤/ح ٤٧٦٦) في السنة، باب في قتال الخوارج.

(٣) الصحيح أنهم سمّوا روافض لرفضهم إمامة زيد بن علي وذلك أنه لما خرج سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما. فرفضه قوم. فقال لهم رفضتموني، لرفضهم إيّاه. وسمى من لم يرفضه زيدياً لانتسابهم إليه. انظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٨).

عن عكرمة رضي الله عنه قال: أُتي عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسولِ اللهِ ﷺ «لا تُعَذِّبوا بعذابِ الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ «مَنْ بدَّلَ دينهُ فاقتلوه»[1]. حكى عن أبي المظفر الاسفرايني في الملل والنحل أنَّ الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفةً مِنَ الروافض ادّعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهوديّاً ثم أَظْهَرَ الإسلام وابتدع هذه المقالة. وتفصيل ذلك ما ذكره في الفتح من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعليٍّ رضي الله عنه إنَّ هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنَّك ربَّهم، فدعاهم فقال لهم: ويْلَكُمْ ما تقولون؟ قالوا أَنْتَ ربُّنا وخالقنا ورازقنا، قال: ويلكم إنَّما أنا عبدٌ مثلكم آكلُ الطعام كما تأكلون، وأَشربُ كما تشربون، إنْ أَطعتُ اللهَ أثابني إنْ شاء وإنْ عصيتُه خشيت أَنْ يعذبني، فاتَّقوا اللهَ وارجعوا، فأَبوا. فلمَّا كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولونَ ذلك الكلام، فقال أَدخلهم فقالوا كذلك، فلمَّا كان الثالث قال لئن قلتُم ذلك لاقتلنَّكُمْ بأخبث قتلة فأَبوا إلا ذلك، فأَمَرَ عليٌّ رضي الله عنه أَنْ يُخَدَّ لهم أُخدود بين المسجد والقصر، وأمر بالحطب أَنْ يطرح في الأخدود ويضرم بالنَّار ثم قال لهم: إنِّي طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إنِّي إذا رأيتُ أَمراً مُنْكراً ... أَوْقَدْتُ ناري ودعوتُ قنبرا

قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح[2].

---

(١) أحمد (١/٢٨٢) والبخاري (١٢/٢٦٧) في استتابة المرتدين، باب حكم المرتدة واستتابتهم، وفي الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، والترمذي (٤/٥٩/ح ١٤٥٨) في الحدود، باب ما جاء في المرتد، وأبو داود (٤/١٢٦/ح ٤٣٥١) فيه، باب الحكم فيمن ارتد، والنسائي (٧/١٠٤ - ١٠٥) في تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، وابن ماجة القطعة الأخيرة منه (٢/٨٤٨/ح ٢٥٣٥) في الحدود، باب المرتد عن دينه.

(٢) الفتح (١٢/٢٧٠) قال الحافظ: إسناده حسن. هذا في المطبوع وليس كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى وأحسن إليه.

ومنهم طائفة يعتقدون أَنَّ لا إله إلا على، وهم النُّصيرية الذين يقولُ شاعرُهم الملعون قَبَّحَهُ الله:

أَشْـهَـدُ أَلا إلـه إلاَّ حيـدرة الأَذرع البـطين
ولا سـبيـلَ إلـيـه إلاَّ محمـدٌ الصَّـادق الأَمين
ولا حـجـابَ عليـه إلاّ سلمان ذو القُوَّةِ المتين[1]

ومنهم من يدّعي فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

ومنهم من يدّعي فيه العصمة، ويرى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابنُ سلول قبحهم الله.

ومنهم من يدّعي أَنَّه رفع إلى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة.

ومنهم من يَدَّهي أَنَّه وَصَّى رسولُ اللهِ ﷺ بأمته، وأَنَّه عهد إليه ما يعهده إلى غيره وبلغه ما كتمه الناس، وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة.

وأما الزيدية الذين يدعون أَنَّهم أصحاب زيد بن علي وأتباعه فهؤلاء لا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة[2]، ولكنَّهم يفضلون عليّاً رضي الله عنه ويقدِّمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضي الله عنه ويحطُّون على معاوية غَفَرَ اللهُ له.

هذا الذي وقفنا عليه في بعض رسائلهم، ثم رأيتُ في بعضها السكوت عن

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٣٥/١٤٥ ـ ١٦٠) وانظر عقائدهم في الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد الخطيب (ص ٣١٩ ـ ٤٢٩).

(٢) ليس جميع الزيديّة على هذا فهم أربع فرق ١. الزيديّة الجارودية أتباع ابن الجارود وهم يقولون أن النبي ﷺ نص على خلافة علي رضي الله عنه وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء برسول الله ﷺ. ٢. الزيديّة السليمانية أتباع سليمان بن جرير وهم يعترفون بفضل الشيخين ويرون صحة خلافتهما وهم يقدمون عليّاً عليهما. ٣. الكثيريّة أتباع كثير النوى. ٤. الصالحيّة أتابع الحسن بن صالح بن حي. انظر الملل والنحل للشهرستاني وثلاثتهم غير الجارودية هم ما يعنيهم المصنف بما سيذكره. (١/١٥٤) ومنهاج السنة (١/٢٦٥).

أبي بكر وعمر، فلا يذكرونَهما بخيرٍ ولا شَرٍّ، ولا بخلافة ولا غيرها، ثم يَحصرون الخلافةَ في عليٍّ رضي الله عنه وذريته، ففرقة تدَّعي عصمتهم، وأُخرى لا تدّعي ذلك. والمقصود أنَّهم فرق كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخفهم بدعة الزيدية.

هذا في شأْن أَهْلِ البيت طهَّرهُمُ الله تعالى، وأَمَّا في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم ما دُهي غيرهم من الناس، ولكن المشهور مِنْ غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلّاف والجِبَّائي وأَشباهه[1]. والزيدية عمدتهم في تفسير القرآن كشَّاف الزمخشري وقد شحنه بقول القدرية المعتزلة، وهم أَخَفُّ وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله، ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالاتهم كتب المقالات.

هذا وقد قال علي رضي الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما قدَّمناه في الصحيح، وفي كتاب السُّنَّةِ عن علقمة في خطبة علي رضي الله عنه على منبر الكوفة: أَلا إِنَّه بلغني أَنَّ قوماً يفضلونني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولو كنتُ تقدَّمْتُ في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم. من قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري. وخير الناس كان بعد رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكر ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضي الله فيها ما شاء[2].

وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى، لأَنَّه رضي الله عنه وكرّم الله وجهه كان يجهر به ويظهره في المحافل وعلى المنابر، ويذم الرَّافضة كثيراً[3]، وقد جلد من قيل له إِنَّه تكلم في عرْضِ أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، جلده مائة وكان من أَشدِّ الناس على الرافضة وأَسطاهم بهم رضي الله عنه.

---

(١) انظر تفصيل قولهم في منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) عبد الله في السنة (ح ١٣٩٤) وفي سنده أبو معشر (نجيح المدني) وحديث عليّ هذا ثابت من طرق عِدّه. انظر عبد الله في زيادات المسند (١/ ١٢٨) وعبد الله في زيادات فضائل الصحابة (ح ٤٠ و٤٩) وأحمد في المسند (١/ ١٠٦، ١١٠) وغيرهم كثير..

(٣) لم يكن اسم الرافضة قد ظهر بعد كما قدمنا وإنما هو يرد على من يقدح في امامتهما جملة.

(من كان) بمعنى صار (للرسول) ﷺ (في مكان) أي منزلة (هارون من موسى) عليهما السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارون في مدة الميعاد، ومحمد ﷺ استخلف علياً في غزوة تبوك، ففي الصَّحيحين عن ابراهيم بن سعد عن أبيه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه أما ترضى أنْ تكون مِنِّي بمنزلة هارون مِنْ موسى»[1]؟

وفيها من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً رضي الله عنه، فقال: أتخلفني في الصِّبيان والنِّساء؟ قال: ألا ترضى أنْ تكون مِنِّي بمنزلةِ هارون مِنْ موسى؟ إلَّا أنَّه ليس بنبي بعدي»[2] هذا الاستثناء يزيلُ الإشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأُخُوَّةِ والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله تعالى لموسى ﴿أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه/٣١)، وقال لهما ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/١٦) ولهذا قلنا في المتن (لا في نبوة) لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهم ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى، (فقد قدمت) في فصل النبوة (ما يكفي) في هذا الباب (لمن من سوء ظن) بأخيه المسلم (سلما) وهو قولي:

وكلُّ مَنْ مِنْ بعدهِ قَدِ ادَّعَى نبوة فكاذبٌ فيما ادَّعى

وما بعده. وفي الصَّحيحين في تفسير قول الله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج/١٩) عن قيس بن عدي عن أبي ذر رضي الله عنه إنَّه كان يقسم فيها أنَّ هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، برزوا في يومِ بدر[3].

---

(١) البخاري (٧/٧١) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومسلم (٤/١٨٧٠/ح ٢٤٠٤) فيه، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٨/١١٢) في المغازي، باب غزوة تبوك، ومسلم (٤/١٨٧١/ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٨/٤٤٣) في تفسير سورة الحج، باب قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا)، وفي المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، ومسلم (٤/٢٣٢٣/ح ٣٠٣٣) في التفسير، باب

وفيهما عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول مَنْ يجثو بينَ يدي الرَّحمن للخصومَةِ يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلتْ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج/١٩) قال: هم الذين بارزوا يَوْمَ بَدْرٍ علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[1].

وفيهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال يوْمَ خيبر «لأُعْطَيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ. قال فبات الناس يدركون ليلتهم أَيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسولِ اللهِ ﷺ كُلُّهم يرجو أن يُعطاها فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسولُ اللهِ ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأَنْ لم يكن به وجَعٌ، فأعطاه الرَّاية فقال عليٌّ: يارسولَ اللهِ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله تعالى فيه، فوالله لأنْ يهديَ اللهَ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مِنْ أَنْ تكون لك حُمْر النَّعم»[2].

وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصراً، ونحوه عند مسلم أيضاً. وفيهما عَنْ عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أَنَّ رجلاً جاءَ إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر. قال: ماذا يقول لَهُ؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: واللهِ ما سمَّاهُ إلاّ النَّبيّ ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحليب سهلاً وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال «دخل عليٌّ رضي الله

---

= قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم). وهو آخر حديث في صحيح مسلم.

(١) البخاري (٨/٤٤٣ ـ ٤٤٤) في تفسير سورة الحج، باب قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وفي المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش. ولم يخرجه مسلم كما وهم المصنف رحمه الله.

(٢) البخاري (٧/٧٠) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه، وفي الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وباب فضل من أسلم على يديه رجل وفي المغازي، باب غزوة خيبر، ومسلم (٤/١٨٧٢/ح ٢٤٠٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عنه على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النَّبيّ ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد فخرج اليه فوجد رداءَهُ قد سقط عن ظهره، وخلص إلى ظهره، فجعل يمسحُ التُّراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين»[1].

وفي رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال «استُعْمِل على المدينة رجلٌ من آل مروان، قال فدعا سهل بن سعد فأَمَرَهُ أَنْ يشتُمَ عليّاً قال فأبي سهل فقال له أَمَّا إذا أبيت فقل لَعَنَ اللهُ أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعليٍّ اسم أحب إليه مِنْ أبي تراب، وإنْ كان ليفرح إذا دُعي به. فقال له أَخبرنا عن قصَّته أسمى أبا تراب فذكره»[2].

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن عبيدة قال «جاءَ رجلٌ إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن عثمان، فذكر مِنْ محاسن عمله وقال لعل ذلك يسوؤك؟ قال نعم. قال فأرغم اللهُ بأنفك. ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النَّبيّ ﷺ، ثم قال: لعل ذاك يسوؤُكَ؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك. انطلق وأجهد على جهدك»[3]. وفيهما عن ابن أبي ليلى قال: حدَّثنا عليّ رضي الله عنه أَنَّ فاطمة عليها السلام شكتْ ما تلقى من أَثر الرحى، فأَتى النَّبيّ ﷺ سبيٌ، فانطلقتْ فلم تجده فوجدت عائشة رضي الله عنها فأخبرتها، فلمَّا جاءَ النَّبيّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبتُ لأقوم، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت بَرْدَ قدميه على صدري وقال: أَلَا أُعَلِّمكما خيراً مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما؟ تكَبِّران أربعاً وثلاثين وتسبِّحان ثلاثاً

---

(١) البخاري (٧/٧٠) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الصلاة، باب نوم الرجال في المساجد، وفي الأدب، باب التكنّي بأبي تراب، وفي الاستئذان، باب القائلة في المسجد، ومسلم (٤/١٨٧٤/ح ٢٤٠٩) فيه، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) مسلم (٤/١٨٧٤/ح ٢٤٠٩) في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/٧٠ ـ ٧١) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين فهو خيرٌ لكما من خادم»[1].

وفي البخاري عن ابن سيرين عن عبيده عن علي رضي الله عنه قال «اقْضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلافَ حتى يكون الناس جماعة أو أموتُ كما ماتَ أصحابي. فكان ابن سيرين يرى أنَّ عامة ما يروى عن عليٍّ رضي الله عنه الكذب»[2].

قلت وأكثر ما يكذب على عليّ رضي الله عنه الرَّافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من الصحابة، فيسندون ذلك إليه رضي الله عنه وهو بريء منهم، وهم أعدى عدوٍّ له.

وفي الصحيحين من طرق عنه رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «لا تكذبوا عليَّ فإنه من كَذَبَ عليّ فليلج النار»[3].

وفي فضائله رضي الله عنه من الأحاديث الصحاح والحسان ما يغني عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها.

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: أَمَرَ معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أَنْ تَسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أَمَّا ما ذكرت فثلاث قالهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ لأَنْ تكون لي واحدة منهنَّ أحب إليّ من حُمُرِ النَّعَم، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول له وقد خلَّفهُ في مغازيه فقال له عليٌّ رضي الله عنه: يارسولَ اللهِ خلَّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أَنْ تكون مِنِّي بمنزلة هارون مِنْ موسى إلا أَنَّه لا نبوة بعدي؟ وسمعتُهُ يقول يوم خيبر: لأُعْطِيَنَّ الرايةَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، قال فتطاولنا لها قال

---

(١) البخاري (٧/٧١) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الجهاد، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين، وفي النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها، وباب خادم المرأة، وفي الدعوات، باب التكبير والتسبيح، ومسلم (٤/٢٠٩١/ح ٢٧٢٧) في الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٢) البخاري (٧/٧١) في فضائل الصحابة، باب من مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) البخاري (١/١٩٩) في العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ومسلم (١/٩/ح ١) في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

ادعوا لي علياً، فأتى به أرمد فبصقَ في عينيه ودفع إليه الرايةَ ليلة فتح اللهُ عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (آل عمران/٦١) دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمةَ وحسناً وحسيناً فقال «اللهُمَّ هؤلاء أهلي»[1].

وفي صحيح مسلم عن زر قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: والذي فلقَ الحبَّةَ وبرأَ النَّسمة، إنَّه لعهدُ النَّبيّ ﷺ إليَّ أَنْ لا يحبني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق[2].

والأحاديث في فضله كثيرة جداً، وقد تقدم الحديث في الاشارة إلى خلافته رضي الله عنه في رؤيا الرجل الصالح الدلو التي شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم جاء علي وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء، وكان تأويل ذلك ما أصابه رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه والفتن الهائلة والدماء المهرقة والأمور الصعاب والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السَّبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان، وكان غالبهم منافقين، وقليل مِنْهم من أبناءِ الصحابة مغرورون، فحصل من ذلك في يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها.

فأمَّا وقعة الجمل فكانَتْ بمحض فعل السبئيَّة قبَّحَهُمُ اللهُ تعالى ليس باختيار عليٍّ رضي الله عنه ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم، بل باتَ الفريقان متصالحين بخيرِ ليلةٍ، فتواطأ أهلُ الفتنة، وتمالؤا على أَنْ يفرِّقوا بين الفريقين وينشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس، فثار الناس مِنْ نومهم إلى السلاح فلم يشعر أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ إلّا بالرؤوس تندر والمعاصم تتطايرِ ما يدْرونَ ما الأمر حتى عُقِرَ الجمل وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) مسلم (٤/١٨٧٠/ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) مسلم (١/٨٦/ح ٧٨) في الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان.

وإنَّما أَنشب أهلُ الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أَنَّهما إنْ تصالحا دارت الدائرة عليهم وأُخِذوا بدَمِ عثمان وأُقيم عليهم كتاب، فقالوا نشغلهم بأَنفسهم، وكان أَمْرُ اللهِ قدراً مقدوراً.

وأما في قتاله أهل الشام فكانوا هم مع معاوية، وكان هو رضي اللهُ عَنْهُ متأوِّلاً يطلبُ بدم عثمان ويرى أَنَّه وليُّه وإنَّ قتلتَهُ في جيش عليّ، فكان معذوراً في خطئه بذلك، وأَمَّا عليٌّ رضي الله عنه فكان مجتهداً مصيباً وفالجاً محقاً يريدُ جمع كلمة الأُمَّةِ حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتن وطفئت نارها أَخَذَ بالحقّ من قتلة عثمان، وكان رضي الله عنه أَعلم بكتاب الله من المطالبين بدمِ عثمان، وكان السَّبئية يخافونَه أَعظم من خصمائِه، وذلك الذي حملهم على ما فعلوه يوْمَ الجمل فكان أَهْلُ الشام بُغاة اجتهدوا فأَخطئوا وعليٌّ رضي الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحقِّ ويفيئوا إلى أَمْر الله، ولهذا كان أَهْلُ بدرٍ الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه وعمَّار قتل معه رضي الله عنه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد: فقال كُنَّا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرآه النَّبيّ ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عماراً تقتلُهُ الفئةُ الباغية، يدعوهم إلى الجنَّةِ ويدعونه إلى النَّار، قال يقول عمارٌ أَعوذ باللهِ مِنَ الفتن[1].

فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف وإلى طاعة الإمام التي هي مِنْ أَسباب دخول الجنة ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التي هي من أَسباب دخول النار، وكان عليّ رضي الله عنه أَسعد مِنْهم وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان، وقد قال النَّبيّ ﷺ تقتلهم أولى الطائفتين بالحق كما قدَّمنا[2].

وفي سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال؛ بعثني عُمرُ إلى الأُسقف فدعوته فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال

---

(١) البخاري (١/٥٤١) في الصلاة، باب التعاون في بناء المساجد، وفي الجهاد، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل. قلت ولم يخرجه مسلم كما وهم المصنف رحمه الله.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

نعم. قال: كيف تجدني؟ قال أجدك قرناً، فرفع عليه الدرة فقال: قرن مه؟ فقال: قرن حديدٌ، أمينٌ شديد. قال كيف تجد الذي يجيء مِنْ بعدي؟ فقال: أجده خليفةً صالحاً غير أنَّه يؤثِرُ قرابتَهُ، قال عمر: يرحم الله عثمانَ (ثلاثاً). فقال: كيف تجدُ الذي بعده؟ قال أجِدُهُ صداً حديدٍ، فوضع عمر يده على رأسه فقال: يا دفراه يا دَفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح، ولكنَّه يُستخلف حين يُستخلف والسَّيْفُ مسلولٌ والدَّمُ مُهراق»[1]. وكان الأمر كما أخبر.

وكان رضي الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدى محمد ﷺ مجتهداً في جمع شمل الأُمَّةِ واطفاءِ الفتن والتذفيف على أَهْلِ البدع حتى اعتدى على حياته رضي الله عنه الشقيُّ ابنُ ملجم الخارجيُّ قبَّحَهُ الله وقد فعل، وذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول: الصَّلاة الصَّلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي لياة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيتْ مِنْ رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة[2]، فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال، وهو يومئذٍ أفضل من على وجه الأرض بالاجماع. وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسولِ اللهِ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «الخلافة ثلاثونَ سنةً، ثم تكونُ بعد ذلك ملكاً» قال سفينة: فَخُذْ سنتي أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشرةِ عثمان وست علي رضي الله عنهم أجمعين[3].

قلت: سفينة رضي الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب في حذف الكسور في الحساب، وعلى ما قدَّمنا ضَبْطه

---

(١) أبو داود (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤ /ح ٤٦٥٦) في السنة، باب في الخلفاء. وسنده حسن. قال أبو داود: الدفر: النتن. والأسقف: هو كعب الأحبار.

(٢) انظر الطبري (٦/٨٨) والإصابة (٢/١/٥١٠) والاستيعاب (٣/٥٦) وفضائل الصحابة (زوائد عبد الله/ح ٩٣٩ و٩٤٢).

(٣) أحمد (٥/٢٢١ و٢٢٠)، والترمذي (٤/٥٠٣/ح ٢٢٢٦) في الفتن، باب ما جاء في الخلافة. وأبو داود (٤/٢١١/ح ٤٦٤٦ و٤٦٤٧) في السنة، باب في الخلفاء وابن حبان في صحيحه (٨/٢٢٧ ـ إحسان) والحاكم في المستدرك (٣/١٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٤٨/ح ١١٨١) وهو صحيح.

فأيامُ كُلٍّ منهم لا تكمل ثلاثين إلّا بخلافة الحسن بن عليّ رضي الله عنه، وهي ستَّةُ أشهر، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أَخْبَرَ النَّبيّ ﷺ، وولّي معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى «عام الجماعة» وكان معاويةُ رضي الله عنه أَوَّل ملوكِ الإسلام وخيرهم، وروى الإمام أحمد عن عليّ رضي الله عنه قال: سبق رسولُ اللهِ ﷺ، وصلَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ما شاءَ اللهُ. وفي رواية: يقضي الله فيها ما يشاء[1].

وله عنه رضي الله عنه قال ليحبني قوم حتَّى يدخلوا النار في حُبِّي، وليبغضني قومٌ حتى يدْخلوا النَّارَ في بُغضي[2].

وله عنه رضي الله عنه قال: يهلك فيَّ رجلان مفرط غال، ومبغض قال[3]. وله عنه رضي الله عنه قال: يهلك فيَّ رجلان محبٌّ مفرط ومبغضٌ مفتر[4].

وله عن الشعبي عن علقمة قال: أتدري ما مثل عليّ في هذه الأُمَّةِ؟ قال قُلْتُ: وما مثله؟ قال: مثله كمثل ابن مريم، أَحبَّهُ قومٌ حتى هلكوا في حُبِّه، وأَبْغَضَهُ قومٌ حتى هلكوا في بُغْضِهِ[5].

وقد روى عبدالله بن أحمد هذا المعنى مسنداً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دعاني رسولُ اللهِ ﷺ فقال «إنَّ فيكَ من عيسى مثلاً، أبغضته يهودُ حتَّى بهتوا أُمَّهُ، وأَحَبَّتْهُ النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به، ألا وإنَّه يهلك فيَّ اثنان: محبٌّ مُفْرِطٌ يقرظني بما ليس فيّ، ومبغضٌ مفتَرٍ يحمله شنآني

---

(١) أحمد (١/١١٢ و١٢٤ و١٢٥ و١٣٢ و١٤٧) وأحمد في فضائل الصحابة (ح ٢٤١ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٤٤ و٤٤٩ و٥٨٦) ورواه ابن سعد (٦/١٣٠) والخطيب في تاريخه (٤/٣٥٧) والبخاري في التاريخ (٤/١/١٧٢) من طرق أسانيد بعضها صحيحة.
وقوله: صلى: أي ثنى والمصلي في خيل الحلبة هو الثاني، سمي به لأن رأسه يكون عند صلا الأول وهو ما عن يمين الذنب وشماله (النهاية ٣/٥٠).

(٢) أحمد في فضائل الصحابة (ح ٩٥٢) وإسناده صحيح.

(٣) أحمد في فضائل الصحابة (٩٦٤) وإسناده حسن.

(٤) أحمد في فضائل الصحابة (ح ٩٥١) وفي إسناده ضعف وهو صحيح لما تقدم من شواهده.

(٥) أحمد في فضائل الصحابة (٩٧٤) وفي سنده من لا يعرف وهو صحيح لشواهده التي مضت.

على أَنْ بهتني، ألا وإنِّي لستُ بنبيٍّ ولا موصى إليَّ، ولكنْ أعملُ بكتابِ الله تعالى وسنة نبيِّه ﷺ ما استطعت، فما أَمَرتُكُمْ به من طاعةِ الله فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أَحْبَبتُمْ وكَرِهْتُمْ[1].

وكان رضي الله عنه يُخْبِرُ أصحابه بولاية معاوية رضي الله عنه ويقول: لا تكرهوا إمارَة معاوية، والذي نفسي بيده ما بينَكُمْ وبين أَنْ تنظروا إلى جماجم الرِّجال تندر عن كواهلهم كأَنَّها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية[2].

وكان أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله يقول: لا أعلم أَحداً يُحْفَظُ مِنْ الفضائل في الأحاديث الصحاح ما يحفظ لعليٍّ، رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

## [مناقب الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم]

فالسِّتَّةُ المُكَمِّلُونَ العشرة وسائِرُ الصَّحْبِ الكرامِ البَرَره

(فـ) يليهم في الفضل (**الستة المكملون**) عدد (**العشرة**) المشهود لهم بالجنة كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد، فذكر رجُلٌ عليّاً عليه السلام، فقام سعيدُ بن زيد فقال: أَشهد على رسولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سمعتُهُ وهو يقول «عشرةٌ في الجنَّة: النَّبيّ ﷺ في الجنةِ، وأبو بكر في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزبير بنُ العوَّامِ في الجنَّة، وسعدُ بنُ مالك في الجنَّة، وعبدُ الرحمن بن عوف

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند (١/١٦٠) وفي زيادات فضائل الصحابة (ح ١٠٨٧) ورواه النسائي في الخصائص (ص ٢٧) وابن الجوزي في العلل (١/٢٢٣) وقال الهيثمي: رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى أتم منه وفي إسناد عبد الله وأبو يعلى: الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف (المجمع ٩/١٣٦).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/١٣١) وسنده ضعيف فيه الحارث الأعور ومجالد بن سعيد وهما ضعيفان والأول متهم.

في الجنَّة» ولو شئت لسميت العاشر. قال فقالوا: مَنْ هو؟ فسكت، قال فقالوا: مَنْ هو؟ فقال «هو سعيدُ بنُ زيد» رضي الله عنهم[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذُكر يوْمُ أُحُد قال: ذاك يومٌ كُلُّهُ لطلحة[2].

وفي الصحيح عن أبي عثمان قال: لم يَبْقَ مع النَّبيّ ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتَلَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ غير طلحة وسعد[3].

وفيه عن قيس بن أبي حازم قال: رأيتُ يَدَ طلحةَ التي وقَى بها النَّبيّ ﷺ قد شُلَّت[4].

وفيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ يوم الأحزاب «مَنْ يأتينا بخَبَرِ القَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال «مَنْ يأتينا بخبرِ القوْمِ؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا. ثمّ قال «إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريّاً، وحواريّ الزبير»[5].

وفيه عن مروان بن الحكم قال: أصاب عثمانَ رضي الله عنه رعافٌ شديد سنة الرعاف حتَّى حبسه عن الحجِّ وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش قال:

---

(١) أحمد (١/١٨٨) وأبو داود (٤/٢١١ - ٢١٢/ح ٤٦٤٨ و٤٦٤٩ و٤٦٥٠) في السنة، باب في الخلفاء، والترمذي (٥/٦٤٨/ح٣٧٤٨) في المناقب، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه. والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٤/٤). وابن ماجة (١/٤٨/ح ١٣٣) في المقدمة، في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وابن حبان (٩/٦٨ - إحسان) والحاكم في المستدرك (٣/٤٤٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٦٠٥/ح ١٤٢٨) وهو صحيح.

(٢) انظر البداية والنهاية (٧/٢٤٦).

(٣) البخاري (٧/٨٢) في فضائل الصحابة، باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وفي المغازي، باب قوله تعالى: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، ومسلم (٤/١٨٧٩/ح ٢٤١٤) فيه، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما.

(٤) البخاري (٧/٨٢) في فضائل الصحابة، باب ذكر طلحة بن عبد الله رضي الله عنه، وفي المغازي، باب قوله تعالى: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما).

(٥) البخاري (٧/٧٩ - ٨٠) في فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير ابن العوام رضي الله عنه، وفي الجهاد، باب فضل الطليعة، وباب هل يبعث الطليعة وحده، وباب السير وحده، وفي المغازي باب غزوة الخندق، وفي خبر الواحد، باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ومسلم (٤/١٨٧٩/ح ٢٤١٥) في فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه.

استخلف. قال: وقالوه؟ قال نعم. قال ومَن؟ فسكت. فدخل عليه رجل آخر ـ أحسبه الحارث ـ فقال: استخلف. فقال عثمان وقالوا؟ فقال نعم. قال ومَنْ هو؟ فسكت، فلعلَّهم قالوا الزبير، قال: نعم، أما والذي نفسي بيده إنَّه لخيرُهم ما علمتُ، وإنْ كان لاحبُّهم إلى رسول الله ﷺ[1].

وفي رواية قال: أما والله إنَّكم لتعلمون أنَّه خيركم (ثلاثا)[2].

وفيه عن عبدِالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كُنْتَ يوم الأحزاب جُعِلتُ أنا وعمر ابن أبي سلمة في النِّساء فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسِهِ يختلف إلى بني قريظة مرَّتين أو ثلاثاً، فلما رجعْتُ قلت: يا أبتي رأيتُكَ تختلف. قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت نعم. قال: كان رسولُ الله ﷺ قال: من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبَرِهم، فانطلقتُ، فلمَّا رجعتُ جمع لي رسول الله ﷺ بين أبويه فقال: فداك أبي وأُمِّي[3].

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنَّ أصحاب النَّبيّ ﷺ قالوا للزُّبير يوم وقعة اليرموك: ألا شُدَّ فنشدّ معك، فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربةُ ضُربها يوم بدر، قال عروة: فكنْتُ أُدخل أصابعي في تلك الضَّربات ألعب وأنا صغير[4].

قلتُ: وقد اخترق صفوف الروم يومئذٍ أربع مرَّات، مرتين دخولاً فيهم ومرَّتين رجوعاً، وكانت الضَّربتان في رجعته من المرة الأُخرى، كما هو مبسوط في موضعه مِنَ السِّير.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراء هو

---

(١) البخاري (٧/ ٧٩) في فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير ابن العوام رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٧/ ٧٩) في فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير ابن العوام رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/ ٨٠) في فضائل الصحابة، باب من مناقب الزبير بن العوام، ومسلم (٤/ ١٨٧٩/ح ٢٤١٦) فيه، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما.

(٤) البخاري (٧/ ٨٠) في فضائل الصحابة، باب مناقب الزبر بن العوام، وفي المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش.

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرَّكت الصخرة فقال رسولُ اللهِ ﷺ «اهدأْ فما عليك إلاّ نبيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أو شهيد». زاد في رواية: وسعد بن أبي وقاص[1].

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَرِقَ رسولُ اللهِ ذات ليلة فقال «ليت رجلاً صالحاً مِنْ أصحابي يحرسني الليلة». قالتْ وسمعنا صوت السلاح، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «مَنْ هذا؟» قال: سعدُ بن أَبي وقاص يا رسول الله، جئت أحرسك. قالت عائشة: فنام رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى سمعتُ غطيطة[2].

وفيهما عن عبدالله بن شداد قال: سمعتُ عليّاً يقول: ما جمع رسولُ اللهِ ﷺ أَبويه لأَحَدٍ غير سعد بن مالك، فإِنَّه جعل يقول له يوم أُحد «ارم فداك أبي وأُمِّي»[3].

وعن عامر بن سعد عن أَبيه أَنَّ النَّبيّ ﷺ جمع له أَبويه يوم أُحد، قال كان رجلٌ مِنَ المشركين قد أَحرق المسلمين فقال لي النَّبيّ ﷺ «ارم فداك أَبي وأُمِّي» قال؛ فنزعتُ له بسهم ليس فيه نصل، فأصبتُ جنْبَهُ، فسقط فانكشفتْ عورَتُهُ، فضحك رسولُ اللهِ ﷺ نظرتُ إلى نواجذه[4].

وفيه عن مصعب بن سعد عَنْ أبيه أَنَّه نزلتْ فيه آياتٌ من القرآن، قال حلفتْ أُمُّ سعد أَنْ لا تكلِّمه أَبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمْتَ أَنَّ الله وصَّاكَ بوالديك، وأَنا أُمُّك وأَنا آمرك بهذا قال: مكثتْ ثلاثاً حتى غشي

---

(١) مسلم (٤/ ١٨٨٠/ح ٢٤١٧) في فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير.

(٢) البخاري (٦/ ٨١) في الجهاد، باب الحراسة في سبيل الله، وفي التمني، باب قول النبي ﷺ: ليت كذا وكذا ومسلم (٤/ ١٨٧٥/ح ٢٤١٠) في فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/ ٣٥٨) في المغازي، باب قوله تعالى: (إذ همت طائفتان أن تفشلا)، وفي الجهاد، باب المجن يترس غيره. وفي الأدب، باب قول الرجل: فداك أي وأمي، ومسلم (٤/ ١٨٧٦)/ح ٢٤١١) في فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٧/ ٨٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي المغازي، باب قوله تعالى: (إذ همت طائفتان أن تفشلا)، ومسلم (٤/ ١٨٧٦/ح ٢٤١٢) فيه، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

عليها من الجهد، فقام ابنُ لها يقال له عمارة فسقاها فجعلتْ تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآيات ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ (لقمان/١٥) وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ (لقمان/١٥) قال: وأصاب رسولُ اللهِ ﷺ عنيمة عظيمةً فإذا فيها سيفٌ، فأَخَذْتُهُ فأتيت به الرسولَ ﷺ فقلتُ: نَفِّلني هذا السيفَ فأنا مَن علمتَ حالَه، فقال «رُدَّهُ مِنْ حيثُ أَخذتَهُ» فانطلقتُ حتى إذا أردتُ أَنْ أُلقيه في القبضِ لامتني نفسي فرجعتُ إليه فقلتُ: أعطينه. قال فشدَّ لي صوتَهُ «رُدَّهُ من حيث أَخَذْتَهُ» قال فأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾ (الأنفال/١). قال ومرضتُ فأرسلتُ إلى النَّبيِّ ﷺ فأتاني فقلتُ: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال فأبى. قلتُ: فالنِّصْفُ، قال فأبى، قلت فالثُّلُثُ، قال فسكت فكان بعد الثُّلُثُ جائزاً. قال وأتيتُ على نفرٍ من الأنصارِ والمهاجرين فقالوا: تعال نُطْعِمْكَ ونسقيكَ خمراً، وذلك قبل أَنْ تحرَّمَ الخمر، قال فأتيتهم في حَشٍّ ـ والحَشُّ البستان ـ فإذا رأسُ جزور مشويٌّ عندهم وزقٌّ مِنْ خمر، قال فأكلتُ وشربتُ معهم، قال فذُكِرَتْ الأنصار والمهاجرين عندهم فقلتُ: المهاجرونَ خيرٌ من الأنصار، قال فأَخَذَ رجلٌ أحد لَحْي الرأس فضربني به فجرح بأَنْفي، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتُهُ، فأنزل الله عز وجل فيَّ ـ يعني نفسه ـ بشأن الخمر ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة/٩٠)[1].

وعنه رضي الله عنه قال: كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبيِّ ﷺ: اطرد هؤلاءِ لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابنُ مسعود ورجلٌ من هذيل وبلال ورجلان لستُ أسميهما، فوقع في نفس رسولِ اللهِ ﷺ ما شاءَ اللهُ أَنْ يقع فتحدث في نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام/٥٢)[2].

---

(١) مسلم (٤/١٨٧٧/ح ١٧٤٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي الجهاد، باب الأنفال.

(٢) مسلم (٤/١٨٧٨/ح ٢٤١٣) في فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ أميناً وإنَّ أميننا أيَّتُها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1].

وعنه رضي الله عنه أنَّ أهْل اليمن قدموا على رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: ابْعثْ معنا رجلاً يعلمنا السُّنَّةَ والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة قال «هذا أمينُ هذه الأُمَّة»[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاءَ أهل نجران إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا يارسولَ اللهِ ابعثْ إلينا رجلاً أميناً فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقّ أمين حَقّ أمين، قال فاستشرف لها الناس، قال فبعثَ أبا عبيدة بنَ الجرَّاح[3].

وروى ابن إسحاق في قصة خالد مع بني جذيمة فقال له عبدُ الرحمن: عَمِلْتَ بأَمْر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنَّما ثأرتُ بأبيكَ، فقال عبد الرحمن: كذبْتَ قد قتلت قاتل أبي ولكنَّكَ ثأَرْتَ بعمِّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسولِ اللهِ ﷺ فقال «مهلاً يا خالد، دَعْ عنك أصحابي، فواللهِ لو كان لك أُحدٌ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أَدْرَكْتَ غدوة رجُلٍ مِنْ أصحابي ولا روحة»[4].

**(وسائر الصحب)** بقيتهم **(الكرام البررة)** الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه.

---

(١) البخاري (٧/٩٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وفي المغازي، باب قصة أهل نجران، وفي إجازة خبر الواحد في فاتحته، ومسلم (٤/١٨٨١/ح ٢٤١٩) فيه، باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٢) مسلم (٤/١٨٨١/ح ٢٤١٩) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧/٩٣) في فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وفي المغازي، باب قصة أهل نجران، وفي إجازة خبر الواحد في فاتحته، ومسلم (٤/١٨٨٢/ح ٢٤٢٠) فيه، باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٤) ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٤/٧٣ ـ ٧٤) وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ـ لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه. البخاري (٧/٢١) ومسلم (ح ٢٥٤١).

ثم هم على مراتبهم: أفضلهم السَّابقون الأوَّلون من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحد، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم بيعةُ الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحُسنى.

## [أمهات المؤمنين وبقية أهل بيته ﷺ]

وَأَهْلُ بيتِ المُصْطفى الأطهار ... وتابعيه السَّادةُ الأخيارُ
فكُلُّهم في محكم القُرآنِ ... أثنى عليهم خالقُ الأكوان
في الفتح والحديد والقتالِ ... وغيرها بأكْمَلِ الخصال
كذاكَ في التَّوراة والإنجيلِ ... صفاتُهم معلومَةُ التَّفْصيل
وذكرهم في سُنَّةِ المختارِ ... قد سار سَيْرَ الشمْسِ في الأقطار

(وأهل بيت) الرسول محمد ﷺ (المصطفى) تقدم معناه، (المختار) اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاتُه اللاتي هُنَّ أُمَّهاتُ المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب/٦) وخيرهُنَّ اللهُ تعالى بَيْنَ إرادة زينةِ الحياة الدنيا وبين إرادة اللهِ ورسولِهِ فاخترنَ اللهَ تعالى ورسولَ اللهِ ﷺ وقال الله تعالى فيهن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب/٣٣) وهنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

فمنهنَّ خديجة أم المؤمنين الصديقة الأُولى التي هي أول من صدَّقَهُ ﷺ فيما بعث به على الاطلاق قبل كلِّ أحد رضي الله عنها، وقرأ جبريلُ عليها السَّلامَ مِنْ ربِّها وبشَّرها ببيتٍ في الجنَّةِ مِنْ قصبٍ، لا صخَبَ فيه ولا وَصَب[1]، وما زالت

---

(١) حديث تبشيرها البيت في الجنة: رواه البخاري (٧/١٣٣) في فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.
ـ مسلم (٤/١٨٨٨/ح ٢٤٣٢) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها عن جماعة من الصحابة. وحديث أبي هريرة فيه السلام عليها رضي الله عنها.

تؤويه وتسكن جأْشه وتعاضِدَهُ بالنَّفْسِ والمال حتى توفَّاها الله عز وجل.

وعائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان، التي كان ينزل الوحي عليه وهو في حجرها، وتوفي في حجرها، وقد خُلِطَ ريقُها بريقِهِ ﷺ في آخِرِ ساعَةٍ مِنَ الدنيا وأولها من الآخرة[1]، ودفن في حجرتها، وكانت من أفقه الصحابة في الحديث والتفسير وغير ذلك، حتى كان الأَكابرُ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يسألونَها عن أشياءَ كثيرة فيجدون منها عندها علماً، لا سيما ما قاله الرَّسولُ ﷺ أو فعله في الحضرِ. أقرأها جبريلُ السلام أيضاً كما أقرأهُ على خديجة[2].

ومنهنَّ أُمُّ سلمة رضي الله عنها ذات الهجرتين مع زوجها أَبي سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوَّجها نبيُّ اللهِ ﷺ بعد وفاة زوجها رضي الله عنه، وقد رأت جبريل عند النَّبيّ ﷺ في صورة دحية بن خليفة رضي الله عنه.

ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجّه الله إياها من فوق سبع سماوات، وهي أطولهن يدا لإنفاقها مِنْ كسب يدها، وأَسرعهنَّ لحوقاً به ﷺ[3]، وبسببها نزل الحجاب.

وصفية بنت حُيي من ولد هارون بن عمران رسول الله وأخي رسوله موسى الكليم عليهما السلام.

---

(١) تقدم حديثها في وفاة النبي ﷺ.

(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى تريد رسول الله ﷺ رواه البخاري (١٠٦/٧) في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.
ورواه مسلم (١٨٩٥/٤/ح ٢٤٤٧) في فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة رضي الله عنها.

(٣) حديث أولكن (أو أسرعكن) بي لحوقاً أطولكن يداً. وفيه أنها كانت صناعاً تعين بما تصنع في سبيل الله. رواه البزار (كشف الأستار ٢٤٣/٣، ٢٤٤/ح ٢٦٦٧) من حديث عمر رضي الله عنه.
قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.
ورواه الطبراني في الأوسط عن ميمونة. قال الهيثمي: فيه مسلمة بن علي وهو ضعيف.

وجـويريـة بنت الحارث ملك بني المصـطلق التي كـانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها.

وسودة بنت زمعة التي كانت أيضاً من أسباب الحجاب، ولمـا كبرت اختـارت نبيَّ الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحه، ووهبتْ يومهـا لعائشـة تستحقه مـع قسمها.

وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضاً.

وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها التي نكحهـا النَّبيّ ﷺ في عمرة القضاء وهما حلالان على ما حـدثت به هي والسفيـر بينهما. وكلهنَّ زوجـاتُهُ في الدنيا والآخرة رضي الله عنهن.

ويدخل أهل بيته في هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جلَّلهم النَّبيّ ﷺ بكسائه كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خـرج النَّبيّ ﷺ غداةً وعليـه مِرطٌ مُـرَحَّلٌ من شعـرٍ أسـود فجـاء الحسن بنُ علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءتْ فاطمةُ فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قـال ﴿**إِنَّما يُـرِيدُ اللهُ لِيـذْهَبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّـرَكُمْ تَطْهِيـراً**﴾ (**الأحزاب/٣٣**)[1].

ويدخل في أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المـطلب كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال: انطلقتُ أنا وحصينُ بنُ سَبْـرَة وعمرُ بنُ مسلمٍ إلى زيدِ بنِ أرقم، فلمَّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيتَ يا زيـدُ خيراً كثيـراً، رأيتَ رسولَ اللهِ ﷺ وسمعتَ حـديثَهُ وغَـدَوْتَ معـه وصلّيْتَ خلفـهُ. لقـد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيدُ ما سمعت من رسولِ اللهِ ﷺ، قال: يا ابن أخي واللهِ لقـد كبـرتْ سنِّي وقَـدُمَ عهـدي ونسيتُ بعض الـذي كُنْتُ أَعي من رسـولِ اللهِ ﷺ، فمـا حـدَّثْتُكُمْ فـاقبلوا ومـا لا فـلا تكلِّفـونيـه. ثم قـال: قـام رسولُ اللهِ ﷺ يوماً فينا خطيباً بما يُدْعى خُمّاً بين مكَّةَ والمـدينة فحَمِـد اللهَ وأثنى

(١) مسلم (٤/١٨٨٣/ح ٢٤٢٤) في فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

عليه ووعظَ وذكر ثم قال: أَمَّا بعد أَلا أَيُّها الناس فإِنَّما أَنا بشرٌ يوشك أَنْ يأتي رسولُ ربِّي فأُجيبَ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ أوّلهما كتابُ اللهِ فيه الهدى والنور، فخُذُوا بكتابِ الله واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله تعالى ورغَّب فيه ثم قال: وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أَهل بيتي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أَهل بيتي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أهل بيتي، فقال له حصين: ومَنْ أَهلُ بيته يا زيد؟ أَلَيْسَ نساؤه مِنْ أهل بيته؟ قال: نساؤُهُ مِنْ أَهلِ بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصَّدقة بعده، قال ومَنْ هم؟ قال هم آلُ عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآلُ جعفرٍ وآلُ عبَّاسٍ. قال كلُّ هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال نعم ـ وفي رواية ـ أَحَدُهما كتابُ الله عز وجل هو حبلُ اللهِ مِنَ اتبعه كان على الهدى ومن تركَهُ كان على ضلالة. وفيه: فقلنا مَنْ أَهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وايمُ اللهِ، إِنَّ المرأَةَ تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أَهْلُ بيته أَصْله وعصبته الذين حُرِمُوا الصَّدقةَ بعده[1].

وفي الصحيح أيضاً عن المسور بن مَخرمة قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «إِنَّما فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي يؤذيني ما آذاها»[2].

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساءُ النَّبيّ ﷺ فلم يغادر منهنَّ امرأَةٌ فجاءَتْ فاطمةُ تمشي كأَنَّ مشيتها مشيةَ رسولِ اللهِ ﷺ فقال مرحباً بابنتي فأَجلسها عن يمينه أو عَنْ شماله ثم إِنَّه أَسَرَّ إليها حديثاً فبكتْ فاطمةُ، ثم إِنَّه سارَّها فضحكتْ أيضاً، فقلت لها ما يبكيك؟ فقالت ما كنت لأُفْشي سِرَّ رسولِ اللهِ ﷺ. فقلتُ ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب مِنْ حزن. فقلتُ لها حين بكت أَخصَّك رسولُ اللهِ ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال فقالت: ما كُنْتُ لأُفشي سِرَّ رسولِ اللهِ ﷺ. حتى إذا قُبِضَ سألتُها فقالت: إِنَّه كان حدَّثني أَنَّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مَرَّة، وإِنَّه عارضه به في العام مرتين ولا

---

(١) مسلم (٤/١٨٧٣/ح ٢٤٠٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٧/٨٥) في فضائل الصحابة، باب أصهار النبي ﷺ، وباب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، وباب مناقب فاطمة، وفي الجمعة، وفي الجهاد، وفي النكاح، وفي الطلاق، ومسلم (٤/١٩٠٢/ح ٢٤٤٩) في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ.

أراني إلاّ قد حضر أجلي، وإنَّك أول أهلي لحوقاً ونعم السلف أنا لكِ فبكيت لذلك. ثم إنه سارني فقال ألا ترضين أنْ تكوني سيدة نساءِ المؤمنين أو سيدة نساءِ هذه الأمة؟ فضحكت لذلك[1].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ أنه قال لحسن «اللهم إنِّي أُحبه فأَحبه وأحببْ مَنْ يحبه»[2] ونحوه عن براء بن عازب[3].

وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه سمعتُ النَّبيّ ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرَّةً وإليه مرة يقول «ابنى هذا سيدٌ ولعلَّ الله أنْ يصلح به بين فئتين من المسلمين»[4].

وفيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النَّبيّ ﷺ أنَّه كان يأخذه والحسن ويقول «اللهمَّ اني أحبهما فأَحبَّهما»[5] أو كما قال.

وللترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[6] وقال حسن صحيح.

---

(١) البخاري (٧/٧٨) في فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي الاستئذان، ومسلم (٤/١٩٠٤/ح ٢٤٥٠) في فضائل الصحابة، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ.

(٢) البخاري (٤/٣٣٩) في البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، وفي اللباس، باب السخاب للصبيان، مسلم (٤/١٨٨٢/ح ٢٤٢١) في فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٧/٩٤) في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومسلم (٤/١٨٨٣/ح ٢٤٢٢) في فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٤) البخاري (٧/٩٤) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، وفي الصلح، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي العتق، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إن إبني هذا لسيد.

(٥) البخاري (٧/٩٤) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٦) الترمذي (٥/٦٥٦/ح ٣٧٦٨) في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والحاكم في المستدرك (٣/١٦٦ ـ ١٦٧) والطبراني في الكبير (١/١٢٣) وأبو نعيم في الحلية (٥/٧١) والخطيب في تاريخه (٤/٢٠٧ و١١/٩٠) وأحمد (٣/٣ و٦٢ و٦٤ و٨٠ و٨٢). وابن حبان (٩/٥٥ ـ إحسان) وهو صحيح.

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال «إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»[1].

وللترمذي ـ وقال حسن ـ عن بريدة قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يخطبنا إذْ جاء الحسنُ والحسين عليهما قميصان أحمرانِ يمشيان ويعثران، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال «صدق اللهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن/١٥) نظرتُ إلى هذين الصَّبيين يمشيانِ ويعثران فلم أَصْبِرْ حتَّى قطعتُ حديثي ورفعتُهما»[2].

وله عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسولِ اللهِ ﷺ ما بين الصَّدْرِ إلى الرَّأْس، والحسينُ أشبه برسولِ اللهِ ﷺ ما كان أسفل من ذلك. هذا حديث حسن غريب[3].

## [الكلام على التابعين رضي الله عنهم]

(وتابعيه) تابعو الرسول ﷺ وأصحابه (السادة) من ساد يسود (الأخيار) على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة/١٠٠) الآية، وقال تعالى في سُورةَ الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) البخاري (٧/٩٥) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. وفي الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٢) الترمذي (٥/٦٥٨/ح ٣٧٧٤) في المناقب، مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. وأبو داود (١/٢٩٠/ح ١١٠٩) في الصلاة، باب قطع الخطبة للأمر يحدث، والنسائي (٣/١٠٨) في الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعة كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة وأحمد (٥/٣٥٤) وابن حبان (ح ٢٢٣١ ـ موارد) والحاكم (١/٢٨٧) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٣) الترمذي (٥/٦٦٠/ح ٣٧٧٩) في المناقب، مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. وابن حبان في صحيحه (٩/٦٠ ـ إحسان). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وفيه هاني بن هاني: قال الشافعي: ـ أهل العلم بالحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة/٢) هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ (الجمعة/٣ - ٤) وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أتى المقبرة فقال «السَّلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإِنَّا إِنْ شاء اللهُ بكم لاحقون، وددتُ أَنْ قد رأَينا إخواننا. قالوا أَوَلسنا إخوانك يارسولَ اللهِ، قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»[1] الحديث.

وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «وددت أَنِّي لقيتُ إخواني» قال فقال أصحابُ النَّبيِّ ﷺ: نحن إخوانك قال «أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»[2] إسناده حسن وقد صحح.

وفيه عن أبي أمامة وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمَنْ آمن بي ولم يرني سبع مرَّات»[3].

وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كُنَّا عند عبدالله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النَّبيِّ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدالله: إِنَّ أَمر محمدٍ ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أَحدٌ قط إيماناً أفضل من إيمان بغيبٍ، ثم قرأ ﴿أَلَمْ، ذلك الكِتَابُ لَارَيْبَ فيه هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ

---

(١) البخاري (١/٢٣٥) في الوضوء، باب فضل الوضوء والغرّ المحجلون، ومسلم (١/٢١٨/ح ٢٤٩) في الطهارة، باب إستحباب إطالة الغرّة والتحجيل في الوضوء.

(٢) أحمد (٣/١٥٥) وفي سنده جسر بن الحسن وهو ضعيف. والحديث صحيح لشاهده المتقدم.

(٣) أحمد (٣/٧١ و٥/٢٤٨ و٢٥٧ و٢٦٤) والحاكم في المستدرك (٣/٨٦) والخطيب في التاريخ (٣/٤٩ و٣٠٦ و١٣/١٢٧). وابن حبان (ح/٢٣٠٣ - موارد) وأخرجه الطيالسي من حديث ابن عمر (ح/١٨٤٥) وأخرجه من حديث أبي سعيد ابن حبان (ح/٢٣٠٢ - موارد) وأحمد (٣/٧١) والخطيب في التاريخ (٤/٩١) وأخرجه أحمد (٤/١٥٢) من حديث أبي عبد الرحمن الجهني. وهو حديث صحيح.

يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ ـ إِلَى قوله ـ المُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/١ ـ ٥) وقال: على شرطهما[1].

وبالجملة (فكلهم في محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان)

في مواضع من كتابه (كالفتح) أي سورة الفتح من أولها إلى آخرها (و) سورة (الحديد) كقوله تعالى فيها ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ـ إلى قوله ـ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ولِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾ (الحديد/١٠) الآيات.

(و) سورة (القتال) كقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد/٣) الآيات.

(و) سورة (الحشر) الى آخرها، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أَرْدَفهم بذكر التابعين فقال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر/٨ ـ ١٠) أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غل لهم الى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم.

---

(١) الحاكم في المستدرك (٢/٢٦٠) وقد تقدم تخريجه سابقاً.

(و) في سورة (**التوبة و**) سورة (**الأنفال**) بكمالها تارة في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم، وتارة في حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد في سبيل الله والاثخان في الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم، ووعْدِه تعالى إياهم بالنَّصر على عدوِّهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أَنْ هداهم للإسلام وجنَّبهم السُّبُل المضلة. وألَّف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة.

وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وجهادهم بأموالهم في سبيله وله الحمد والمنة، وغير ذلك من سور القرآن وآياته (كذلك في التوراة) الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (و) (في (**الإنجيل**) الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام (**صفاتهم**) التي جعلهم الله عليها (معلومة التفصيل) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**﴾ ﷺ ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾ (الفتح/٢٩) هنا تم الكلام ثم قال تعالى ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ (الفتح/٢٩).

وتقدم قول الأسقف لعمر وصفة الخلفاءِ رضي الله عنهم وغير ذلك.

(**وذكرهم**) بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة (**في سنة المختار**) محمد ﷺ عموماً وخصوصاً من الأحاديث الصحاح والحسان، (**قد سار**) انتشر وأعلن (**سير الشمس في الأقطار**) تمثيلاً لشهرة فضائلهم ووضوحها لا تحصيها الأسفار الكبار.

وفي الصحيح عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ المغرب مع

رسولِ اللهِ ﷺ ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلّي معه العشاء، قال فجلسنا فخرج علينا فقال «ما زلتم ههنا» قلنا يارسولَ اللهِ صلَّينا معك المغرب ثم قلنا نجلسُ حتَّى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم» أو «أصبتم» قال فرفع رأسهُ إلى السماءِ وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال «النجوم أَمَنَةُ السماءِ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمنة لأُمَّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أُمَّتي ما يوعدون»[1].

وفيه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «يأتي على الناس زمانٌ يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى رسولَ اللهِ ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئامٌ مِنَ الناس فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى مَنْ صحِب رسولَ اللهِ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئامٌ من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى مَنْ صحِب مَنْ صَحِب رسولَ اللهِ ﷺ؟ فيقولون نعم فيفتح لهم»[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خير؟ قال «أقراني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم، ثم يجيءُ قومٌ تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «خَيْرُ أُمَّتي القرن الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، والله أعلم أذكر الثالث أم لا «ثم يخلُفُ قومٌ يحبُّون السمانة، يشهدون قبل أَنْ يُستشهدوا»[4].

---

(١) مسلم (٤/١٩٦١/ح ٢٥٣١) في فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه.

(٢) البخاري (٧/٣) في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٤/١٩٦٢/ح ٢٥٣٢) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٣) البخاري (٧/٣) في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي الإيمان والنذور، باب إذا قال: أشهد بالله أو شهدت بالله، ومسلم (٤/١٩٦٢/ح ٢٥٣٣) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٤) مسلم (٤/١٩٦٣/ح ٢٥٣٤) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «إنَّ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أقال رسولُ اللهِ ﷺ بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثاً «ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤتمنون ويَنذرون ولا يُوفون ويظهر فيهم السِّمَن» زاد في رواية «ويحلفون ولا يُستحلفون»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النَّبيّ ﷺ أَيُّ الناس خيرٌ؟ قال «القرنُ الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لا تَسُبُّوا أَصْحابي. فوالذي نفسي بيده لو أَنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[3].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ فسبَّهُ خالدٌ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «لا تسُبُّوا أحداً من أصحابي، فأَنَّ أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[4].

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب مع الضعينة ـ وفيه ـ فقال عمر: إنَّه قد خانَ اللهَ ورسوله فدعني فلأَضْرِبْ عنقه، فقال «أَلَيْس مِنْ أهل بدر» فقال ﷺ «لعلَّ اللهَ اطَّلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبتْ لكم الجنة» أو «فقد غفرت لكم» فدمعتْ عينا عمر رضي الله عنه وقال: اللهُ ورسولُهُ أعلم[5].

---

(١) البخاري (٣/٧) في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الشهادات، باب لا يشهد جور إذا شهد، وفي الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا وزينتها والتنافس فيها، وفي الإيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بالنذر، ومسلم (١٩٦٤/٤/ح ٢٥٣٥) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٢) مسلم (١٩٦٥/٤/ح ٢٥٣٦) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم..

(٣) مسلم (١٩٦٧/٤/ح ٢٥٤٠) في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) البخاري (١٧/٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم (١٩٦٧/٤/ح ٢٥٤١) فيه، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٥) البخاري (٥١٩/٧) في المغازي، باب غزوة الفتح، وفي التفسير، وفي الأدب، وفي الجهاد، =

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: حدَّثني أصحابُ محمدٍ ﷺ ممَّن شهد بدراً أنَّهم كانوا عدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلاّ مؤمن[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ (الفتح/١) قال: الحديبية، قال أصحابه هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (الفتح/٥)[2] وكل هذا في الصحيح.

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ «لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة. وقال الترمذي حسن صحيح[3].

وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم منها عامة ومنها خاص بالمهاجرين ومنها خاص بالأنصار ومنها خاص بالآحاد فرداً فرداً، ومنها القطع لأحدهم بالجنَّة مطلقاً، ومنها القطعُ لبعضهم بمجاورة رسولِ اللهِ ﷺ في الجنة ليس هذا موضع بسطها.

---

= ومسلم (٤/١٩٤١/ح ٢٤٩٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعه.

(١) البخاري (٧/٢٩٠) في المغازي، باب عدة أصحاب بدر.

(٢) البخاري (٧/٤٥٠ ـ ٤٥١) في المغازي، باب غزوة الحديبية، وفي تفسير سورة الفتح، باب قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، ومسلم (٣/١٤١٣/ح ١٧٨٦) في الجهاد، باب صلح الحديبية.

(٣) مسلم (٤/١٩٤٢/ح ٢٤٩٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، والترمذي (٥/٦٩٥/ح ٣٨٦٠) في المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة، وأبو داود (٤/٢١٣/ح ٤٦٥٣) في السنة، باب في الخلفاء.

## [إجماع أهل السنة على وجوب السكوت عما كان بين الصحابة رضي الله عنهم]

ثُمَّ السكوتُ واجبٌ عمَّا جرى ... بينهم مِنْ فعلٍ ما قد قُدِّرا
فكُلُّهم مجتهدٌ مثابُ ... وخطؤهم يغفرهُ الوَهَّابُ

أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتُدّ بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى مِنَ الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملاً بقول الله عز وجل ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمانِ**﴾ (الحشر/١٠) الآية، واعتقاد أنَّ الكلَّ منهم مجتهدٌ إنْ أصاب فله أجران، أجرٌ على اجتهاده وأجْرٌ على إصابته، وإنْ أخطأ فله أجْرُ الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول إنَّهم معصومون بل مجتهدون إمَّا مصيبون وإمَّا مخطئون لم يتعمَّدوا الخطأ في ذلك. وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوزُ عليهم الذنوب في الجملة، ولهم مِنَ السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إنْ صدر، حتى إنَّهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهم خيرُ القرون وإنَّ المدَّ مِنْ أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضل من جبل أحدٍ ذهباً مِنْ بعدهم، ثم إذا كان قد صدر عن أحَدٍ منهم ذنبٌ فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقته

أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أَحَقُّ الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأُمور التي كانوا فيها مجتهدين إنْ أصابوا فلهم أَجران وإنْ أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم نَزْرٌ مغفورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أَنَّهم خيرُ الخلق بعد الأنبياءِ لا كان ولا يكون مثلهم، وأَنَّهم الصفوةُ من قرون هذه الأُمَّةِ التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله عز وجل.

وقال القاضي عياض في ذكر الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم: وأَمَّا الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدتْ تصويب نفسها بسببها، وكُلُّهم عدول رضي الله عنهم ومتأوّلون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيءٌ من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الإجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أَحَدٍ منهم.

**واعلم أَنَّ سبب تلك الحروب أَنَّ القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادُهم وصاروا ثلاثة أقسام:**

**قسم** ظهر لهم بالاجتهاد أَنَّ الحق في هذا الطرف وأَنَّ مخالفه باغٍ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكنْ يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

**وقسم** عكس هؤلاء ظهر لهم بالإجتهاد أَنَّ الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

**وقسم** ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأَنَّهُ لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أَنَّه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأَنَّ الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال

البغاة عليه فكلهم معذورون رضي الله عنهم.

ولهـذا اتَّفق أهـلُ الحق ومن يعتـد بـه في الإجمـاع على قبـول شهـادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين، وكلام الأئمة في هذا البـاب يطول، وما أحسن ما قال إمـام أهل السنـة أحمد بن حنبـل رحمه الله تعـالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تالياً قول الله عز وجل ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة/١٣٤).

## خاتمة
## في وجوب التمسك بالكتاب والسنة
## والرجوع عند الاختلاف اليهما، فما خالفهما فهو رد

شَـرْطُ قُبُـولِ السَّعْيِ أَنْ يَجتمعـا فيـه إِصـابـةٌ وإخـلاصٌ معـاً
لله ربِّ الـعـرش لا سـواهُ مِـوافقُ الشَّـرْعِ الـذي ارتضـاهُ

(شرط) في (قبول) الله تعالى (السعي) أي العمل من العبد وخبر المبتدأ (أن يجتمعا) الألف للاطلاق (فيه) أي في السعي، شيئان: أحدهما (إصابة) ضد الخطأ، والثاني (اخلاص) ضد الشرك (معاً) أي لم يفترقا، وتفسيره في البيت الذي بعده، فتفسير الاخلاص كون العمل (لله رب العرش) خالصاً (لا) شرك فيه لـ (سواه)، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وتفسير الإصابة كونه (موافق الشرع) الثابت عن الله (الذي ارتضاه) الله تعالى لعباده دينا وأرسل به رسله اليهم وأنزل به كتبه عليهم ولم يقبل من أحد ديناً سواه ولا أحسن ديناً ممن التزمه، وقد سفه نفسه من رغب عنه. وقد جمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف/١١٠) وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى في بابه.

**وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولاً:**

**(الفصل الأول) في ذكر وجوب طاعة الله ورسوله:**

قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران/١٣٢)، وقال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ (آل عمران/٣٢)، وقال تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء/٦٥)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً. ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً﴾ (النساء/٦٩)، وقال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً. مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء/٨٠)، وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ. ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء/٥٩).

وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ. وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء/١٣ - ١٤)، وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء/١٠٥)، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينُ﴾ (المائدة/٩٢)، وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال/٢٤)، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ،

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ (النور/٥١ ـ ٥٢)، وقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور/٥٦)، وقال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ. فإِنْ تَوَلَّوْا فإِنَّما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينِ﴾ (النور/٥٤)، وقال تعالى ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ (النور/٦٣).

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور/٦٢)، وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فوزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب/٧١)، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾ (الأحزاب/٣٦)، وقال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب/٢١)، وقال ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد/٣٣)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال/٢٠)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفتح/١٧)، وقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (الحشر/٧)، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاَغُ المُبِينِ﴾ (التغابن/١٢)، وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابَ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الطلاق/١١)، وقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفتح/٨) وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بنُ سنان حدَّثنا فليح حدَّثنا هلال ابنُ علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «كُلُّ أُمَّتِي يدخلون الجنة إلا مَنْ أَبى» قالوا: يارسولَ اللهِ ومَنْ يأبى؟ قال «مَنْ أطاعني دخل الجنة، ومَنْ عصاني فقد أبى»[1].

حدَّثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيدُ حدَّثنا سليمُ بن حيان وأثنى عليه حدَّثنا سعيدُ بن ميناء حدَّثنا ـ أو سمعتُ ـ جابر بن عبدالله يقول «جاءَتْ ملائكةٌ إلى النَّبيّ ﷺ وهو نائمٌ» الحديث تقدم، وفيه «فمن أطاع محمداً فقد أطاع اللهَ ومَنْ عصى محمداً ﷺ فقد عصى اللهَ، ومحمد فرق بين الناس»[2].

وله عن حذيفة قال: يا معشر القُرَّاء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً. وإنْ أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتُم ضلالاً بعيداً[3].

وله عن أبي موسى رحمه الله تعالى عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «إنَّما مثلي ومثل ما بعثني اللهُ به كمثل رجلٍ أَتى قوماً فقال: يا قوم إنِّيَ رأيتُ الجيش بعيني، وإنِّي أنا النَّذيرُ العريان، فالنجاء. فأطاعهُ طائفةٌ من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا؟ وكذَّبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهُم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل مَنْ أطاعني فاتبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به مِنَ الحق»[4].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال «دعوني ما تركْتُكُمْ، إنَّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[5].

---

(١) البخاري (١٣/٢٤٩) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٢) البخاري (١٣/٢٤٩) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقد تقدم تخريجه.
(٣) البخاري (١٣/٢٥٠) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٤) البخاري (١٣/٢٥٠) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٥) البخاري (١٣/٢٥١) في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. ومسلم (٢/٩٧٥/ح

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت «صنع رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً ترخَّص فيه وتنزَّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النَّبيّ ﷺ فحمد الله ثم قال: ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنِّي أعلمهم باللهِ وأشدهم له خشيةً»[1].

وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النَّبيّ ﷺ قال «لا يزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أَمْرُ الله وهم ظاهرون»[2].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول «مَنْ يرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسمٌ، ويعطي اللهُ عز وجل. ولن يزال أَمْر هذه الأُمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أَمْرُ الله تبارك وتعالى»[3].

وفي المسند وابن ماجه وغيرهما قال: كُنَّا جلوساً عند النَّبيّ ﷺ فحطَّ خطّاً هكذا أمامه فقال «هذا سبيلُ اللهِ عز وجل» وخطَّين عن يمينه وخطَّين عن شماله قال «هذه سبيلُ الشيطان» ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام/١٥٣)[4].

---

= ١٣٣٧) في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

(١) البخاري (١٣/٢٧٦) في الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، وفي الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ومسلم (٤/١٨٢٩/ح ٢٣٥٦) في الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته.

(٢) البخاري (١٣/٢٩٣) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وفي الأنبياء، وفي التوحيد، ومسلم (٣/١٥٢٣/ح ١٩٢١) في الامارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم.

(٣) البخاري (١٣/٢٩٣) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وفي الجهاد، وفي العلم، ومسلم (٢/٧١٩/ح ١٠٣٧) في الزكاة، باب النهي عن المسألة.

(٤) أحمد (٣/٣٩٧) وابن ماجة (١/٦/ح ١١) في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/٣٨٥) وعبد بن حميد (ابن كثير ٢/١٩٨). من حديث مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر. ومجالد ضعيف.
وقد رواه أحمد (١/٤٦٥) والحاكم (٢/٢٣٩ و٣١٨) وقال صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي: من حديث ابن مسعود من طرق عنه.

وفي المسند والترمذي وحسَّنَهُ عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتَّحةٌ وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيُّها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرَّقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أَنْ يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحكَ لا تفتحه فإنَّك إنْ تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسُّوران حدود اللهِ، والأبوابُ المفتحة محارمُ الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كلِّ مسلم»[1].

وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسولُ اللهِ ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفتْ منها العيونُ ووجلت منها القلوبُ، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظة مودِّعٍ ، فماذا تعهد إلينا يارسولَ اللهِ؟ قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ عبدٌ حبشي، فإنَّه من يعش منكم يرَ اختلافاً كثيراً، وإيَّاكم ومحدثات الأُمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بُسنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المهدِّيين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ» وقال هذا حديث حسن صحيح[2].

ورواه أحمد وزاد «وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة»[3] وفي رواية. قلنا يارسولَ اللهِ إنَّ هذه لموعظة. فماذا تعهد إلينا. قال «قد تركتُكُمْ على البيضاءِ ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالك»[4] وفي

---

(١) أحمد (٤/١٨٢ و١٨٣)، والترمذي (٥/١٤٤/ح ٢٨٥٩) في الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده وقال في المطبوع عن الترمذي: هذا حديث غريب ونقل المزي قوله: حسن غريب. وأخرجه النسائي في الكبرى كما في التحفة (٩/٦١) والحاكم في المستدرك (١/٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) الترمذي (٥/٤٤/ح ٢٦٧٦) في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتنات البدع، وأبو داود (٤/٢٠٠ ـ ٢٠١/ح ٤٦٠٧) في السنة، باب في لزوم السنة، وبن ماجة (١/١٥ ـ ١٦/ح ٤٢) في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وهو صحيح.

(٣) أحمد (٤/١٢٦) وأبو داود (٢/٢٠٠ ـ ٢٠١/ح ٤٦٠٧) في السنة، باب في لزوم السنَّة.

(٤) أحمد (٤/١٢٦).

رواية «فعليْكُمْ بما عرفتم من سُنَّتي»[1].

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «ما مِنْ نبيٍّ بعثه اللهُ في أُمَّةٍ قبلي إلا كان له من أُمَّتِهِ حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنَّته ويقتدون بأمره؛ ثم إنَّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يُؤْمَرون، فمن جاهدهم بيده فهُوَ مؤمنٌ، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ، وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردلٍ»[2].

ولأحمد عن مجاهد بإسنادٍ جيد قال: كُنَّا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفرٍ بمكان فحاد عنه، فسئِلَ لم فعلت؟ فقال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فعل هذا ففعلتُ[3].

وله عن الحسن بن جابر قال: سمعتُ المقدام بْنَ معْدِ يكرب رضي الله عنه يقول: حرَّم رسولُ اللهِ ﷺ يوم خيبر أَشياءَ ثم قال «يوشِكُ أَحدُكم أَنْ يكذبني وهو متّكىءٌ على أَريكته يحدِّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب اللهِ، فما وجدناه فيه من حلالٍ استحللناه وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه، ألا وإنَّما حرَّم رسولُ اللهِ ﷺ مثل ما حرَّم اللهُ»[4].

وعنه أيضاً قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أَلا إِنِّي أُوتيت الكتاب ومثله معه، أَلا يوشكُ رجلٌ ينثني شبعانَ على أَريكته يقول: عليكم القرآن، فما وجدتم فيه مِنْ

---

(١) أحمد (٤/١٢٦).

(٢) مسلم (١/٦٩ - ٧٠/ح ٥٠) في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٣) أحمد (ح/٤٨٧٠/ نسخة أحمد شاكر) والبزار كما في المجمع (١/١٧٩) وقال الهيثمي رجاله موثوقون، وصححه أبو الأشبال. وفعل ابن عمر رضي الله عنهما هذا مما كان ينهى عنه أبوه عمر. وتحري مقامات الأنبياء والصالحين للعبادة عندها من المسائل التي ينبغي للمسلم فهمها على وجهها الصحيح. انظر محتاجاً إليه: اقتضاء الصراط المستقيم لعلم الأعلام ابن تيمية (٢/٧٤٢).

(٤) أحمد (٤/١٣٢) والترمذي (٥/٣٨/ح ٢٦٦٥) في العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجة (١/٦/ح باب ١٢) في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، وإسناده حسن.

حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه، ألا لا يحلُّ لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي نابٍ من السِّباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلاَّ أنْ يستغني صاحبُها. ومَنْ نزل بقومٍ فعليهم أنْ يُقروه، فإذا لم يقروهم فعليهم أنْ يعقبوهم بمثل قراهم». ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، واسناد أحمد جيد، وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذي[1]، ولأحمد عن أبي هريرة نحوه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

**(الفصل الثاني) في تحريم القول على الله بلا علم، وتحريم الافتاء في دين الله بما يخالف النصوص:**

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/٣٣)، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾ (الأحزاب/٣٦)، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء/٣٦)، وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات/١)، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء/١٠٥)، وقال تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/٣).

وقال تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام/٥٧)، وقال ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ (الكهف/٢٦)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ

---

(١) أحمد (٤/١٣١ و١٣٢)، وأبو داود (٤/٢٠٠/ح ٤٦٠٤) في السنة، باب لزوم السنة. والترمذي (٦/ح ٢٦٦٤) في العلم، باب رقم ١٠. ابن ماجة (١/ح ١٢) في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ: وهو حديث صحيح.

اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ (المائدة/٤٤) ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة/٤٥) ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (المائدة/٤٧)، وقال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (الأنعام/١٥٦) الآيات، وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف/٤٤).

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كُنْتُ مع النَّبيّ ﷺ في حرْثٍ بالمدينة وهو يتوكَّأُ على عسيب، فمرَّ بنفرٍ من اليهود فقال بعضهم: سلوهُ عن الرُّوح، وقال بعضهم: لا تسألوهُ لئلاَّ يُسْمِعَكُمْ ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثنا عن الرُّوح، فقام ساعةً ينظر، فعرفت أَنَّه يُوحى إليه، فتأخّرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُ الرُّوح مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] (الإسراء/٨٥).

وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة المتلاعنين لما جاءتْ به على النَّعْتِ المكروه فقال النَّبيّ ﷺ «لولا ما مضى مِنْ كتابِ اللهِ لكانَ لي ولها شأنٌ»[2].

وفيه عن جابر رضي الله عنه قال «مرضتُ فجاءني رسولُ اللهِ ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيانِ، فأتاني وقد أُغمى عليَّ، فتوضَّأَ رسولُ اللهِ ﷺ ثم صبَّ وضوءَهُ عليَّ فأفقت فقلت: يارسولَ اللهِ كيف أقضي في مالي كيف أصنع في مالي؟ قال فما أجابني بشيءٍ حتى نزلت آيةُ الميراث[3].

---

(١) البخاري (١٣/٢٦٥) في الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه، وفي التوحيد، وفي العلم، وفي التفسير، ومسلم (٤/٢١٥٢/ح ٢٧٩٤) في صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.

(٢) البخاري (٨/٤٤٩) في تفسير سورة النور، باب (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين).

(٣) البخاري (١/٣٠١) في الوضوء، باب صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، وفي تفسير سورة النساء. وفي المرضى، وفي الفرائض، وفي الاعتصام، ومسلم (٣/١٢٣٤/ح ١٦١٦) في الفرائض، باب ميراث الكلالة.

وعلى هذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب ما كان النَّبيّ ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقبل برأي ولا بقياسٍ لقوله تعالى ﴿بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ الآية. وترجم رحمه الله تعالى: بابْ ما يذكر مِنْ ذمِّ الرَّأْي وتكلف القياس ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء/٣٦) ثم ذكر فيه حديث عبدالله بن عمر وقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «إنَّ الله تعالى لا ينزعُ العلم بعد أَنْ أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جُهَّالٌ يستفتون فيفتون برأيهم فيضلُّون ويُضِلُّون»[1].

وحديث سهل بن حنيف قال: يا أَيُّها الناس أتهموا رأْيكُم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رسولِ اللهِ ﷺ لرددْتُهُ[2]. الخبر.

وفي خطبه ﷺ ما لا يحصى أَنْ يقول «أَمَّا بعد فإنَّ أَصْدق الحديث كتابُ اللهِ، وإنَّ أَفضل الهدي هدى محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[3].

وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان لا يجلس مجلساً للذكر حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون. فقال معاذ بن جبل يوماً: إنَّ مِنْ ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمنُ والمنافقُ والرجلُ والمرأَةُ والصغيرُ والكبيرُ والعبد والحر، فيوشك قائلٌ يقول: ما للنَّاس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبدع لهم غيره فإيَّاكم وما ابتدع، فإنَّ ما ابتدع ضلالة. وأحذِّرُكُمْ زيغة الحكيمِ

---

(١) البخاري (١٣/٢٨٢) في الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، وفي العلم، باب كيف يقبض العلم، ومسلم (٤/٢٠٥٨/٢٦٧٣) في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

(٢) البخاري (١٣/٢٨٢) في الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، وفي الجزية، وفي المغازي، وفي التفسير، ومسلم (٣/١٤١١ - ١٤١٣/ح ١٧٨٥) في الجهاد، باب صلح الحديبية.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

فإنَّ الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال قلت لمعاذ: ما يدريني رحِمَكَ اللهُ أَنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأَنَّ المنافق قد يقول كلمةَ الحق؟ قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فإنَّه لعله أَنْ يراجع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته فإنَّ على الحقِّ نوراً[1].

وله من طرق عن سفيان الثوري قال: كتب رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز سأَلَهُ عن القدر، فكتب: أَمَّا بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمرِهِ واتِّباع سنة نبيِّه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سُنَّتُهُ وكفوا مؤنته، فعليك بلزومِ السُّنَّة فإنَّها لك بإذن اللهِ عصمة. ثم أعلم أَنَّه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإنَّ السنَّة إنَّما سنَّها من قد علم، أَمَّا في خلاف من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فأَرْضَ لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم، فإنَّهم على علمٍ وقعوا، وبِبَصر نافذ كُفوا، ولهم على كشف الأُمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى. فإنْ كان الهدى ما أَنْتُمْ عليه لقد سبقوكم إليه. ولئِنْ قلتم إنَّما حدث بعدهم، ما أحدثه إلاّ من اتَّبع غير سبيلهم ورغِبَ بنفسه عنهم، فإنَّهم هم السَّابقون فقد تكلَّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مِنْ مقصر. وما فوقهم مِنْ محسر، وقد قصر قوم مِنْ دونهم فجفوا، وطمح عليهم أقواماً فغلوا، وإنَّهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. كتبت تسأل عَنِ الاقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن الله وقعت، ما أعلم ما أحدث النَّاسُ من محدثة ولا ابْتدعوا مِنْ بدعة هي أبين أثراً، ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر. لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء. لا يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يعزّون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعْدُ إلا شدة. ولقد ذكره رسولُ اللهِ ﷺ في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منهم المسلمون فتكلَّموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربِّهم وتضعيفاً لأنفسهم أَنْ يكون شيء لم

---

(١) أبو داود (٤/٢٠٢/ح ٤٦١١) في السنة، باب لزوم السنة، والطبراني في الكبير (٢٠/١١٤ ـ ١١٥/ح ٢٢٧).

لم يحط بـه علمه ولم يحصـه كتابـه ولم يمضِ فيه قـدره، وإنَّـه مـع ذلـك لفي محكم كتابه، منه اقتبسوه ومنه تعلموه. ولئِنْ قلتم لمَ أنزل الله آية كـذا، ولم قال كذا؟ لقد قرأوا منه ما قرأْتُم، وعلموا مِنْ تأويل ما جهلتم، وقالوا بعـد ذلك كله: بكتابٍ وقدر، وكتبت الشقاوة، وما يقـدَّر يكن، وما شـاءَ اللهُ كان ومـا لم يشأْ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرّاً ولا نفعاً، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً.

**(الفصل الثالث) في عظم إثْمِ مَنْ أحدث في الدين ما ليس منه:**

قـال تبارك وتعـالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَـوْمَ القِيَـامَـةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّـذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْـرِ عِلْمٍ أَلَا سَـاءَ مَـا يَـزِرُونَ﴾ (النحـل/٢٥) وقـال تبـارك وتعـالى ﴿لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَـعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـأَلُنَّ يَوْمَ القِيَـامَةِ عَمَّـا كَانُـوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت/١٣).

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ «ليس من نفس تقتـل ظلماً إلا كـان على ابن آدم الأول كِفْـلٌ منهـا، لأنَّـه أوَّل من سنَّ القتل»[2].

ولأحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـولُ الله ﷺ «مَـنْ سنَّ سُنَّـةَ ضلال فـاتبع عليهـا كان عليـه مثل أوزارهم مِنْ غيـر أَنْ ينقص مِنْ مثل أوزارهم شيءٌ، ومن سنَّ سُنَّةَ هدى فاتبع عليها كان لـه مثل أجـورهم مِنْ غير أَنْ ينقص مِنْ أجورهم شيء»[3].

ولأحمـد بـاسنـاد جيِّـدٍ عن حبيب بن عبيـد الـرحبي عن غضيف بن الحـارث

---

(١) أبو داود (٤/٢٠٢ ـ ٢٠٤/ح ٤٦١٢) في السنة، باب لزوم السُّنَّة.

(٢) البخـاري (١٣/٣٠٢) في الاعتصـام، بـاب إثم من دعـا إلى ضـلالـة أو سن سنّـة سيئـة، وفي الـديات، بـاب قول الله تعـالى: (ومن أحياهـا) وفي الأنبيـاء، بـاب خلق آدم صلوات الله عليـه وذريته، ومسلم (٣/١٣٠٣ ـ ١٣٠٤/ح ١٦٧٧) في القسامة، باب بيان إثم من سن القتل.

(٣) أحمد (٢/٥٠٥)، ومسلم (٤/٢٠٦٠/ح ٢٦٧٤) في العلم، باب من سنّ سنّة حسنه أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

الثمالي رضي الله عنه قال: بعث إليَّ عبدُ الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء إنَّا قد جمعنا الناس على أمْرين. قال: وما هما؟ قال: ترفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصُّبْحِ والعصرِ. فقال: أما إنَّهما أمثل بدعتكم عندي، ولستُ مجيبك إلى شيءٍ منهما. قال: لم؟ قال: لأنَّ النَّبيّ ﷺ قال «ما أحْدث قومٌ بدعة إلا رُفِعَ مثلها من السنّة، فتمَسُّكٌ بسنةٍ خيرٌ من إحداثِ بدعة[1].

وفي حديث الحوض عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرهم قال «ليردن عليَّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولنَّ: ربِّي أصحابي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك». وفي بعضها زيادة «فأقولُ سحقاً سحقاً لمن بدَّلَ بعدي»[2].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران/٧) قالت: قال رسولُ الله ﷺ «فإذا رأيتَ الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذروهم»[3].

وعن جرير ابن عبد الله قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسولِ الله ﷺ عليهم الصُّوف، فرأى سوءَ حالهم قَدْ أصابتهم حاجة، فحثَّ الناس على الصَّدَقَةِ، فأبْطأوا عنه حتى رؤى ذلك في وجهه، قال: ثم إنَّ رجلاً مِنَ الأنصار جاء بصُرَّةٍ مِنْ ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرور في وجهه فقال

---

(١) أحمد (٤/١٠٥) والبزار (١٣١/ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (١٨/٩٩/ح ١٧٨) وسنده ضعيف، فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو منكر الحديث.

(٢) تقدم تخريج أحاديث الحوض بتمامها.

(٣) البخاري (٨/٢٠٩) في تفسير سورة آل عمران، باب (ومنه آيات محكمات)، ومسلم (٤/٢٠٥٣/ح ٢٦٦٥) في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

رسولُ اللهِ ﷺ «مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فعمل بها بعده كُتِب له مثل أَجْرِ من عمل بها، ولا ينقص مِنْ أُجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر مَنْ عمل بها، ولا ينقص مِنْ أوزارهم شيء»[1].

ورواه الترمذي بلفظ: قال رسول الله ﷺ «مَنْ سنَّ سُنَّةَ خيرٍ فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور مَنْ اتبعه غير منقوصٍ منْ أجورهم شيئاً، ومَنْ سنَّ سُنَّةَ شرٍّ فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار مَنِ اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئاً»[2].

وله عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده أَنَّ النَّبيّ ﷺ قال لبلال بن الحارث «اعلم» قال أعلم يا رسول الله، قال «إِنَّه مَنْ أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له منَ الأجر مثل مَنْ عمل بها مِنْ غير أَنْ ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعةً ضلالة لا يرضاها اللهُ ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً» قال هذا حديث حسن[3].

والأحاديث في هذا كثيرة وفي هذا كفاية.

**(الفصل الرابع والخامس) ما في هذه الأبيات:**

**وكلُ ما خالفَ للوحيين ... فإِنَّهُ رد بغيْر مَين**
**وكلُّ ما فيه الخلاف نصبا ... فرَدُّه إليهما قد وجبا**
**فالدينُ إِنَّما أتى بالنقلِ ... ليس بالأوهام وحدْس العقلِ**

---

(١) مسلم (٤/٢٠٥٩/ح ١٠١٧) في العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(٢) الترمذي (٥/٤٣/ح ٢٦٧٥) في العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو ضلاله، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الترمذي (٥/٤٥/ح ٢٦٧٧) في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وقال: هذا حديث حسن. ولا يستقيم ذلك ففيه كثير بن عبد الله قال الحافظ في «التقريب» ضعيف، منهم من نسبه إلى الكذب ولكن للحديث شواهد يتقوى بها.

(وكل ما) أي أمر كان (خالف للوحيين) نصوص الكتاب والسنة لأن السنة وحي ثان أيضاً كما قال تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى﴾ (النجم/٢ ـ ٥) وقال النَّبيّ ﷺ «أوتيت القرآن ومثله معه»[1] الحديث.

(فإنَّهُ) أي ذلك الأمر المخالف (رَدٌّ) أي مردود على مبتدعه من كان (بغير مين) بدون شك، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران/٨٥) ودين الإسلام هو الذي أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس، فتلاه الرَّسولُ ﷺ على أُمَّته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ، وتقدم في الأحاديث قوله ﷺ «وإِيَّاكُمْ ومحدثات الأمور فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالة»[2].

وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة/١٣٠)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ (النساء/١٢٥)، وقال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُوْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ (آل عمران/٨٣) وقال تبارك وتعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/٣)، وقال تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية/١٨) الآيات وقال تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/٥١) وقال تبارك وتعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (التوبة/٣١) الآية، وقال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾

---

(١) أحمد (٤/١٣٢)، والترمذي (٥/٣٨/ح ٢٦٦٥) في العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، وابن ماجة (١/٦/ح ١٢) في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه. وقد مَرَّ.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(الشورى/٢١) الآية وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيحين مِنْ حديث أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[١].

وفي رواية مسلم «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أَمْرنا فهو ردّ»[٢].

وقال ﷺ «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها بعدي إلّا هالك»[٣].

وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «افترقتِ اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقة»[٤].

وفيها عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال «ألا إنَّ مَنْ قبلكم مِنْ أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» ـ زاد في رواية ـ «وإنَّه سيخرج مِنْ أُمَّتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ لصاحبه» وفي لفظ «بصاحبه، لا يبقى مِنْه عرق ولا مفصل إلا دخله»[٥].

---

(١) البخاري (٥/٣٠١) في الصلح، باب إذا ما اصطلحوا على جور فالصلح مردود، وفي البيوع تعليقاً بصيغة الجزم، باب النجش،، ومسلم (٣/١٣٤٣/ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(٢) مسلم (٣/١٣٤٣ ـ ١٣٤٤/ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

(٤) أبو داود (٤/١٩٧ ـ ١٩٨/ح ٤٥٩٦) في السنة، باب شرح السنة، والترمذي (٥/٢٥/ح ٢٦٤) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وهو كما قال، وأخرجه أحمد (٢/٣٣٢)، والحاكم في المستدرك (١/١٢٨)، وابن حبان في صحيحه (٨/٤٨ ـ إحسان) والآجري في الشريعة (ص ٢٥) وعبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص ٤ ـ ٥).

(٥) أبو داود (٤/١٩٨/ح ٤٥٩٧) في السنة، باب شرح السنة، والدارمي (٢/٢٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١/١٢٨)، والآجري في «الشريعة» (ص ١٨) وللحديث شواهد كثيرة عن جماعة من =

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال «لا تقومُ الساعة حتى تأخذَ أُمَّتي بأَخْذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع» فقيل: يارسولَ اللهِ كفارسِ والروم؟ فقال «ومن الناس إلا أولئك»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال «لتتبعن سنن مَنْ كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتَّى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ لتبعتموه» قلنا: يارسولَ اللهِ اليهود والنصارى؟ قال «فمَنْ»[2]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

= الصحابة كأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر، وأبي سعيد الخدري، وأبيّ بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع وغيرهم. انظر السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

(١) أخرجه البخاري (١٣/٣٠٠) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» ولم يخرجه مسلم ولا غيره من أصحاب الكتب الستة كما توهم المصنف رحمه الله.

(٢) البخاري (١٣/٣٠٠) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم». وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، ومسلم (٤/٢٠٥٤/ح ٢٦٦٩) في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

## [البدع]

ثم اعلم أَنَّ البدع كلها مردودة ليس منها شيءٌ مقبولاً، وكلّها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، ولكها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها حق.

**ومعنى البدعة** هو شرع ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أَمْر النَّبيّ ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسَّرَ النَّبيّ ﷺ البدعة بقوله «كُلَّ عمل ليس عليه أمرنا»[1].

ووصف الطائفة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة بقوله «هُمُ الجماعة»[2] وفي رواية «هُمْ من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي»[2].

**ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان:**

مكفرة لمنتحلها.

وغير مكفرة.

**فضابط البدعة المكفرة:** مَنْ أنكر أمراً مجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة مِنْ جحودِ مفروضٍ أو فرض ما لم يفرض أو إحلال محرم أو تحريم حلال أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه مِنْ نفي أو إثبات، لأَنَّ ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل اللهُ به رُسُله ﷺ كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن، أو خلق أي صفة من صفات الله، وإنكار أَنْ يكون الله تعالى اتَّخذ إبراهيم خليلاً وكلَّم موسى تكليماً وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله عز وجل وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسِّمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه، وغير ذلك من الأهواء.

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) تقدم تخريجه بتمامه سابقاً.

ولكن هؤلاء منهم مَنْ عُلِمَ أَنَّ عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبيٌّ عن الدين من أعدى عدو له. وآخرون مغرورون مُلَبَّسٌ عليهم، فهؤلاء إنَّما يُحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها.

**والقسم الثاني البدع التي ليست بمكفرة**: وهي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيءٍ مما أرسل الله به رُسُلَه كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدا مِنْ بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، وجلوسهم في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها وسبهم كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعية، بل بنوعِ تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية.

كما روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن أبي عمران الجوني قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما أعرف شيئاً اليوم مما كُنَّا عليه على عهد رسولِ اللهِ ﷺ، قال قلنا: فأَيْن الصلاة؟ قل أو لم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم[1]؟

وله عن ثابت البناني بإسناد نَيِّر قال: قال أَنسُ بنُ مالك رضي الله عنه: ما أعرف فيكم اليوم شيئاً كنت أعهده على عهد رسولِ اللهِ ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا الله. قال قلتُ: يا أبا حمزة الصلاة؟ قال قد صلَّيْتُ حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ[2]؟.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى الى المصلَّى فأول شيء يبدأُ به

---

(١) أحمد (٣/١٠٠ ـ ١٠١)، والترمذي (٤/٦٣٢/ح ٢٤٤٧) في صفة القيامة، باب رقم «١٧» وقال: هذا حديث حسن غريب. وقع في المطبوع عن أبي عمر الجوني وهو خطأ وإنما هو أبو عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب. وسنده صحيح.

(٢) أحمد (٣/٢٧٠).

الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوسٌ على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإنْ كان يريدُ أَنْ يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيءٍ أَمَرَ به ثم ينصرف. قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجتُ مع مروان وهو أميرُ المدينة في الأضحى أو الفطر فلمَّا أتينا المصلَّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد يرتقيه قبل أَنْ يصلِّي، فجبذت بثوبه، فجبذني فارتفع فخطب قبل الصَّلاةِ، فقلت له: غيرتُم واللهِ، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلتُ: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إنَّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاةِ[1].

وفي رواية مسلم: فلما رأيتُ ذلك منه قلتُ أَيْن الابتداء بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم، قلتُ كلاَّ والذي نفسي بيده لا تأتون بخيرٍ مما أعلم - ثلاث مرات - ثم انصرف[2].

وروى أحمد أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه أيضاً قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجلٌ فقال: يا مروان خالفْتَ السُّنَّة، أَخْرجْتَ المنبر في يوم عيدٍ ولم يكن يخرج فيه، وبدأْتَ الخطبة قبل الصلاة ولم يكن يُبدأ بها. فقال أبو سعيد الخدري: مَنْ هذا؟ قالوا فلان ابن فلان، فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «مَنْ رأى منكراً فاستطاع أَنْ يغيره بيده فليغيِّرهُ بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانِهِ، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أَضعفُ الإيمان»[3].

---

(١) البخاري (٢/٤٤٨ - ٤٤٩) في العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر، وفي الحيض، باب ترك الحائض الصوم، وفي الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، وفي الصوم، باب الحائض تترك الصوم والصلاة، وفي الشهادات، باب شهادة النساء، ومسلم (٢/٦٠٥/ح ٨٨٩) في العيدين في فاتحته.

(٢) مسلم (٢/٦٠٥/ح ٨٨٩) في العيدين، في فاتحته.

(٣) أحمد (٣/١٠ و٥٢)، وأبو داود (١/٢٩٦ - ٢٩٧/ح ١١٤٠) في صلاة العيدين، باب الخطبة يوم العيد، و(٤/١٢٣/ح ٤٣٢٠) في الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي (٤/٤٦٩/ح ٢١٧) في الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/١١١) في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، وابن ماجة (٢/١٣٣٠/ح ٤٠١٣) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قلت: والمرفوع من قول النَّبيّ ﷺ في صحيح مسلم[1]، ولعل تغيير هذا الرجل على مروان كان تارة أخرى في غير المرة التي غير فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأنَّ تغيير أبي سعيد كان عند أول ما ابتدع ذلك ابتداء والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يخطبُ قائماً ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن نبَّأك أنَّه كان يخطبُ جالساً فقد كذب، فقد واللهِ صلَّيْتُ معه أكثر من ألفي صلاة[2].

وفيه عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: دخل المسجد وعبدُ الرحمن بن أم الحكم يخطبُ قاعداً، فقال انظر إلى هذا الخبيث يخطبُ قاعداً، وقال الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تجارةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[3] (الجمعة/١١).

وفيه عن عمار بن رويبة قال: رؤي بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال: قَبَّحَ اللهُ هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ما يزيد على أنْ يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبِّحة[4].

وتقدم في فضائل الصحابة نصيحة سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وعظته إياهم عن سبِّ الصحابة.

وعن عامر بن سعد رأى جماعةً عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسُبُّ علياً وطلحة والزبير فنهاهُ عن ذلك فلم ينته فقال ادعو عليك، فقال الرجُلُ تتعهدني كأنَّك نبيٌّ، فانصرف سعدٌ فدخل دار آل فلان فتوضَّأ وصلَّى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إنْ كنت تعلم أنَّ هذا الرجل قد سبَّ أقواماً قد سبق لهم منك سابقةَ الحسني وأنَّه قد أسخطك سبَّهُ إياهم فاجعله اليوم آيةً وعبرة. قال فخرجت بختيَّة نادرة من دار آل فلان لا يردها شيءٌ حتى دخلت بين

---

(١) مسلم (١/٦٩/ح ٤٩) في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٢) مسلم (٢/٥٨٩/ح ٨٦٢) في الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة.

(٣) مسلم (٢/٥٩١/ح ٨٦٤) في الجمعة، باب في قول الله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا اليها وتركوك قائماً).

(٤) مسلم (٢/٥٩٥/ح ٨٧٤) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

أضعاف الناس فافترق الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبطه حتى مات، قال فلقد رأيتُ الناس يستعدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءكَ يا أبا إسحاق[1]. وعن مصعب نحوه. وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب نحوه[2]، وغير ذلك من انكار الصحابة عليهم، وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يخافون في الله لومةَ لائم. رضي الله عنهم وأرضاهم آمين.

## فصل

**ثم تنقسم البدع بحسب ما تقع فيه إلى:**

**بدعة في العبادات**

**وبدعة في المعاملات.**

**فالبدع في العبادات قسمان أيضاً:**

**الأول: التعبد بما لم يأْذن الله تعالى أَنْ يُعبد به البتة**، كتعبد جهلة الصُّوفية بآلاتِ اللهو والرَّقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ (الأنفال/٣٥).

**والثاني: التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع في غير موضعه**، كَكَشْفِ الرأْس مثلاً هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما شرعت فيه كصلواتِ النَّفل في أوقات النَّهي، وكصيام الشك والعيدين ونحو ذلك، وفي الصحيح عن أنس في الرجل الذي رآه النَّبيّ ﷺ يمشي بين أبنيه فقال ﷺ «إنَّ الله لغنيٌّ عَنْ تعذيب هذا نفسه»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/١٤٠/ح ٣٠٧). وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٥٤) رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظرها في مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا. وفي سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١١٦).

(٣) البخاري (١١/٥٨٥ ـ ٥٨٦) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، وفي =

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ وهو يطوفُ بالكعبة بإنسان يقود إنساناً بخزامة في أنفه فقطعها النَّبيّ ﷺ بيده ثم أمره أَنْ يقودَهُ بيده[1].

وفيه عنه رضي الله عنه قال: بينا النَّبيّ ﷺ يخطب إذ هو برجل قائمٌ فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أَنْ يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النَّبيّ ﷺ «مُرْهُ فليتكلم وليستظل وليقعد وليتمَّ صومه»[2] فأمره النَّبيّ ﷺ بإتمام الصوم الذي هو عبادة مشروعة وضعت في محلها، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإنْ كان عبادة في بعض الأحوال لكن ليس هذا محله، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة.

وفيه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما سُئل عن رجلٍ نذر أَنْ لا يأتي عليه يوم إلا صام فوافق يوم الأضحى أو الفطر فقال ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (الأحزاب/٢١) لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر ولا يرى صيامهما[3].

وعن زياد بن جبر قال: كُنْتُ مع ابن عمر رضي الله عنهما فسأَلهُ رجلٌ فقال: نذرت أن أصوم كل يوم ثلاثاء أو أربعاء ما عشت، فوافقت هذا اليوم يوم النّحر، فقال: أمر الله بوفاء النَّذْرِ ونهينا أَنْ نَصُوم يوم النَّحْر، فأعاد فأعاد عليه، فقال مثله لا يزيدُ عليه[4].

---

= الحج، باب من نذر المشي إلى الكعبة، ومسلم (٣/١٢٦٣ ـ ١٢٦٤/ح ١٦٤٢) في النذور، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة.

(١) البخاري (١١/٥٨٦) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية.

(٢) البخاري (١١/٥٨٦) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية.

(٣) البخاري (١١/٥٩٠ ـ ٥٩١) في الإيمان والنذور، باب من نذر أن يصوم أياماً فوافق النحر أو الفطر، وفي الصوم، باب الصوم يوم النحر، ومسلم (٢/٨٠٠/ح ١١٣٩) في الصيام، باب النهي عن صوم يومي الفطر والأضحى.

(٤) البخاري (١١/٥٩١) في الإيمان والنذور، باب من نذر أن يصوم أياماً فوافق النحر أو الفطر، ومسلم (٢/٨٠٠/ح ١١٣٩) في الصيام، باب النهي عن صوم يومي الفطر والأضحى.

والمعنى أَنْ النذر قربة من القربات إذا كان مشروعاً كصوم ما لم ينه عنه من الأيام، فإنْ نذر صوم يوم منهى عنه كان ناذراً معصية لا طاعة، وقد قال ﷺ «لا نَذْر في معصية اللهِ»[1] وقال ﷺ «مَنْ نذر أَنْ يعصي الله فلا يعصِهِ»[2].

وعن عطاء أَنَّ ابن عباس رضي الله عنهما أَرْسَلَ الى ابن الزبير في أَوَّلِ ما بويع له: إنَّه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنَّما الخطبة بعد الصلاة. قال ذلك ردّاً لبدعة المروانية في ذلك[3].

وفيه عن البراء بن عازب قال: قال النَّبيّ ﷺ «إنَّ أَوَّل ما نبدأ في يومنا هذا أَنْ نصلي، ثم نرجعُ فننحر. فمَنْ فعل ذلك فقد أصاب سُنَّتنا، ومَنْ نحر قبل الصلاة فإنَّما هو لحم قدَّمَهُ لأَهله، ليس من النُّسْكِ في شيءٍ»[4] الحديث.

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهْطٍ إلى نساء النَّبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النَّبيّ ﷺ، فلمَّا أُخبروا كأَنَّهم تقالّوها فقالوا: وأَيْنَ نحن من النَّبيّ ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر، فقال أحدهم أَمَّا أنا فإنِّي أُصلِّي الليل أبداً، وقال آخر أنا أصوم الدهر، ولا أُفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أَتزوج أبداً، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أَما والله إنِّي لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكنِّي أَصوم وأُفطرُ وأُصلِّي وأَرقدُ وأَتزوَّجُ النساء، فمَنْ رغب عن سُنَّتي فليس منِّي[5].

---

(١) مسلم (٣/١٢٦٢ - ١٢٦٣/ح ١٦٤١) في النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) البخاري (١١/٥٨٥) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) البخاري (٢/٤٥١) في العيدين، باب المشي والركوب إلى العيد بغير أذان ولا إقامة، ومسلم (٢/٦٠٤، باب ٨٨٦) في صلاة العيدين، في فاتحته.

(٤) البخاري (٢/٤٥٣) في العيدين، باب الخطبة بعد العيد، ومسلم (٣/١٥٥٣/ح ١٩٦١) في الأضاحي، باب وقتها.

(٥) البخاري (٩/١٠٤) في النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم (٢/١٠٢٠/ح ١٤٠١) فيه، باب استحباب النكاح.

وقال ﷺ «ليس من البرِّ الصيام في السفر»[1].

وقال ﷺ للذين صاموا بعد أَمْرِهِ بالإفطار «أولئك العصاةُ، أولئك العُصاةُ»[2] وغير ذلك من الأحاديث في هذا الباب ما لا يحصى، وهذا مثال يدل على ما بعده.

ثم البدعة الواقعة في العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التي تقع فيها لمن صلَّى الرباعية خمساً، أو الثلاثية أربعاً، أو الثنائية ثلاثاً، وما شابه ذلك.

وقد تكون معصيةً ولا تُبْطِلُ العمل الذي تقع فيه كالوضوء أربعاً أربعاً، لأَنَّ النَّبيّ ﷺ قال في الوضوء المشروع «فمَنْ زاد على هذا فقد أساءَ وتعدَّى وظلم»[3] ولم يقل فقد بطل وضوؤهِ، وكذا قراءة القرآن راكعاً أو ساجداً منهيٌّ عنه شرعاً ولا يبطل الصلاة.

**والبدعة في المعاملات**: كاشتراط ما ليس في كتابِ الله ولا في سُنَّةِ رسوله ﷺ كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت بريرةُ رضي الله عنها فقالت: إِنِّي كاتبتُ أَهلي على تسع أَواقٍ في كل عام أوقية فأعينيني، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: إِنْ أَحبَّ أَهْلُكِ أَعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلتُ ويكون ولاؤك لي، فذهبتْ إلى أَهلها فأَبوا ذلك عليها فقالتْ عرضْتُ ذلك عليهم فأبوا إلا أَنْ يكون الولاءُ لهم، فسمِعَ بذلك رسولُ اللهِ ﷺ فسأَلني فأَخْبرتُهُ فقال «خُذيها فأَعتقيها واشرطي لهم الولاءَ فإِنَّما الولاءَ لمن أَعْتق» فقالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأَثنى عليه ثم قال «أَمَّا بعدُ فما بالُ رجال منكم

---

(١) البخاري (٤/١٨٣) في الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: ليس من البر الصيام في السفر، ومسلم (٢/٧٨٦/ح ١١١٥) فيه، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.

(٢) مسلم (٢/٧٨٥/ح ١١١٤) في الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.

(٣) أحمد (٢/١٨٠)، وأبو داود(١/٣٣/ح ١٣٥) في الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ، والنسائي (١/٨٨) فيه، باب الاعتدال في الوضوء، وابن ماجة (١/١٤٦/ح ٤٢٢) في الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه. وإسناده حسن.

يشترطون شروطاً ليست في كتابِ الله، فأيُّما شرط ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ وإنْ كان مائة شرط، فقضاء اللهِ حقٌّ وشرطُ الله أوثق. ما بال رجال منكم يقول أَحَدُهم أعتق يا فلان ولي الولاء، إنَّما الولاءُ لمن أعتق»[1] وأمثاله كثيرة

(١) البخاري (٥/١٨٧) في المكاتب، باب ما يجوز، وفي باب بيع الولاء وهبته، وباب استعانة المكاتب وسؤاله الناس، وباب بيع المكاتب إذا رضي، وفي الشروط، باب الشروط في البيع، وباب ما يجوز في شروط المكاتب إذا رضي بالبيع على أن يعتق وغيرها. ومسلم (٢/١١٤١/ح ١٥٠٤) في العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق.

## [كل ما وقع فيه الخلاف يحتكم فيه إلى الكتاب والسنّة]

(**وكل ما فيه الخلاف**) بين الصحابة فمن بعدهم (**نَصَبَ**) من فروع العبادات والمعاملات (**فرده**) أي المختلف فيه من ذلك (**إليهما**) أي إلى الكتاب والسنّة (**قد وجبَ**) على المعتبر، قال الله تبارك وتعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (النساء/٥٩) والردّ إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه وإلى الرسول الى سنته بعد انقطاع الوحي، فما وافقهما قبل وما خالفهما رد على قائله كائنا من كان (**فالدين**) الإسلام وشرائعه (**إنما أتى**) حصل بيانه (**بالنقل**) عن الله ورسوله (**ليس**) هو (**بالأوهام**) من آحاد الأمة (**وحَدْس**) تخمين (**العقل**)، قال الله تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجح الخلائق عقلاً وأولاهم بكل صواب ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ (النساء/١٠٥) الآيات، ولم يقل بما رأيْتَ.

ويقول الله تعالى له ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ (الإسراء/٣٦) وقال تعالى له ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ**﴾ (الزخرف/٤٣) وأمثال هذا من الآيات ما لا يحصى.

وتقدم في الأحاديث جملة واحدة. وأنّه ﷺ لا يقول في التشريع إلا عَن الله عز وجل، ولهذا لم يُجِبِ اليهودَ في سؤالهم إيَّاهُ عن الروح، ولا جابراً في سؤاله عن ميراثِ الكلالة، والمجادلة في سؤالها عن حُكْم الظِّهار حتى نزل عليه القرآن بتفصيل ذلك وبيانه، وأمثال هذا كثير ﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾ (الفرقان/٣٣) وفي قصة عمر رضي الله عنه قال لرسولِ اللهِ ﷺ وفيه قال: فعملتُ لذلك أعمالاً[1].

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٢) في الشروط، باب الشروط في الجهاد.

وقال عثمان بن حنيف: اتهموا الرَّأْي في دينكُم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أَنْ أَرُدَّ أَمْر رسولِ اللهِ ﷺ لرددته[1].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كان الدين بالرَّأْيَ لكان أَسفل الخفِّ أولى بالمسحِ من أَعلاه، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يمسحُ على ظاهر خُفِّه[2].

وأفتى عمر السائل الثقفي في المرأة التي حاضت بعد أَنْ زارت البيت يوم النحر أن لا تنفر، فقال له الثقفي: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أفتاني في مثل هذه المرأة بغير ما أَفتيتَ به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لِمَ تستفتيني في شيءٍ قد أَفتى فيه رسولُ اللهِ ﷺ[3]؟

وكان ابن مسعود أفتى بأشياء فأخبره بعض الصحابة عن النَّبيّ ﷺ بخلافه، فانطلق عبدالله إلى الذين أفتاهم فأَخبرهم أَنَّه ليس كذلك[4].

وقال عمر بن عبد العزيز: لا أرى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ[5]. والآثار في هذا عن الصحابة والتابعين لا تحصى.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أجمعَ الناس على أَنَّ مَنِ استبانتْ له سنةً عن رسولِ اللهِ ﷺ لم يكن له أَنْ يدعها لقول أَحَدٍ من الناس[6]. وصح عنه أنه قال: لا قول لأَحدٍ مع سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ[7]. وقال رحمه الله: إذا وجدتم في كتابي

---

(١) تقدم ذكره قبل قليل.

(٢) رواه أبو داود (١/٤١ ـ ٤٢/ح ١٦٢ و١٦٣ و١٦٤) في الطهارة، باب كيف المسح. وهو حديث صحيح.

(٣) أبو داود (٢/٢٠٨/ح ٢٠٠٤) في المناسك، باب الحائض تخرج بعد الإفاضة وسنده صحيح. ورواه الترمذي (٣/٢٨٢/ح ٩٤٦) في الحج، باب ١٠١ وفيه الحجاج بن أرطأه وهو كثير التدليس وعبد الرحمن البيلماني وهو ضعيف ورواه النسائي في الكبرى كما في التحفة (ح ٣٢٧٨) بسند صحيح.

(٤) انظر اعلام الموقعين (٢/٢٨٢).

(٥) رواه أبو بكر بن أبي شيبة وانظر اعلام الموقعين (٢/٢٨٣).

(٦) اعلام الموقعين (٢/٢٨٣) وتحفة الأنام (ص ٨٦) والإيقاظ (ص ٥٨، ١٠٣).

(٧) اعلام الموقعين (٢/٢٨٣).

خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ودعوا ما قلتُ: وفي لفظ: فاضربوا بقولي عَرْضَ الحائط[1]. وقال رحمه الله: إذا وجدتم سُنَّةَ رسول الله ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي فإنِّي أَقولُ بها[2]. وقال رحمه الله تعالى: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النَّبيّ ﷺ عند أَهْل النقل بخلاف ما قلت فأَنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي[3]. وقال رحمه الله تعالى ـ وروى حديثاً فقال له رجُلٌ: تأخذ بهذا يا أَبا عبدالله؟ فقال: ـ متى رويتُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أَنَّ عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم[4]. وسأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال: قالَ النَّبيّ ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أَرأَيتَ في وسطي زناراً؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قالَ النَّبيّ ﷺ وتقول لي أقول بهذا! أروي عن النَّبيّ ﷺ ولا أقول به[5]؟! وفي لفظ: فارتعد الشافعي رحمه الله واصفرَّ لونه وقال: ويحكَ، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسولِ اللهِ ﷺ شيئاً فلم أَقُلْ به. نعم على الرأس والعينين[6]. وقال رحمه الله تعالى: ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسولِ اللهِ ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول وأَصَّلت فيه عن النَّبيّ ﷺ خلاف ما قلتُ فالقول ما قال رسولُ اللهِ ﷺ وهو قولي[7]. وجعل يردد هذا الكلام. وقال الشافعي رحمه الله أيضاً: لم أَسمع أحداً نسبته العامة أو نسب نفسه الى علم يخالف في أَنَّ فرض الله تعالى اتباع أَمْر رسولِ اللهِ ﷺ والتسليم لحكمه، فإنَّ الله لم يجعل لأَحَدٍ بعده إلّا اتِّباعَهُ، وأَنَّه لا يلزم قول رجل قال إلّا بكتابِ الله أو سُنَّة رسولِ اللهِ ﷺ وأَنَّ ما سواهما تبع لهما، وان فرض الله علينا

---

(١) الحلية (٩/١٠٧) والاعلام (٢/٢٨٨) والإيقاظ (ص ٦٣).

(٢) الحلية (١/٤٧١، ٤٧٢) وتاريخ ابن عساكر (١٥/١٠/١) وتوالي التأسيس (ص ٦٣).

(٣) إعلام الموقعين (٢/٢٨٥).

(٤) الحلية (٩/١٠٦) وإعلام الموقعين (٢/٢٨٥).

(٥) حلية الأولياء (٩/١٠٦) وتاريخ ابن عساكر (١٥/١٠/٢) ومناقب الشافعي (١/٤٧٤) وتوالي التأسيس (ص ٦٣).

(٦) الحلية الأولياء (٩/١٠٦) وتاريخ ابن عساكر (١٥/١٠/٢) ومناقب الشافعي (١/٤٧٥).

(٧) إعلام الموقعين (٢/٢٨٦).

وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه[1].

وقال الربيع سألت الشافعي عن الطيب قبل الإحرام بما يبقى ريحه بعد الإحرام وبعد رمي الجمرة والحلاق وقبل الافاضة، فقال: جائز وأحبه ولا أكرهه، لثبوت السنة فيه عن النَّبيّ ﷺ والأخبار عن غير واحد من الصحابة. فقلت وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبار فيه والآثار ثم قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال: قال عمر رضي الله عنه: من رمى الجمرة فقد حل له ما حرم عليه إلّا النساء والطيب. فقال سالم وقالت عائشة رضي الله عنها: طيبتُ رسولَ اللهِ ﷺ بيدي. وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع[2]. قال: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهل العلم، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شيء بل لرأي أنفسكم فالعلم إذا إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم. وقال رحمه الله تعالى: من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن خلط فتركها خالفته. صاحبي الذي لا أفارق الملازم الثابت مع رسول الله ﷺ وإن بعد، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسول الله ﷺ وإن قرب.

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتاب (إبطال الاستحسان): الحمد لله على جميه نعمه بما هو أهله وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال ﴿وَنزلنا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً﴾ (النحل/٨٩)، وقال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل/٤٤) وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله ﷺ فقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) إعلام الموقعين (٢/٢٨٦).

(٢) إعلام الموقعين (٢/٢٨٨).

فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ (الأحزاب/٣٦) فأعلم أن معصيته في ترك أمره وأمر رسول الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعه، وكذلك قال لرسول الله ﷺ ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللهِ﴾ (الشورى/٥٢ ـ ٥٣) مع ما علم نبيه. ثم فرض اتباع كتابه فقال ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (الزخرف/٤٣) وقال ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة/٤٩) وأعلمهم أنه كمل لهم دينهم فقال عز وجل ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾(المائدة/٣). إلى أن قال: ثم من عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيره إلا ما علمهم فقال لنبيه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإيمانَ﴾ (الشورى/٥٢)وقال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ (الأحقاف/٩) وقال لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ (الكهف/٢٣)ثم أنزل على نبيه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانه عنه وأنه أول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق وقال لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء/٣٦) وجاءه ﷺ رجل في امرأة رجل رماها بالزنا فقال له يرجع، فأوحى الله إليه آية اللعان فلاعن بينهما، وقال ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ (النمل/٦٥) وقال ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ (لقمان/٣٤) الآية، وقال لنبيه ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ (النازعات/٤٢) فحجب عن نبيه علم الساعة، وكان من عادا ملائكة الله المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصر علماً من ملائكته وأنبيائه، والله عز وجل فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً.

وكلامه رحمه الله تعالى في هذا الباب كثير مشهور مذكور. وهذا الذي قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذي نطقا به وصرحت

به نصوصهما وأجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعهم هو وغيره وكما هو المشهور من سيرتهم في الأقوال والأفعال، ونصوصهم في هذا الباب ملء الدنيا، وتصانيفهم في ذلك قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، ولو رأوا ما عليه مقلدوهم في هذا الوقت لتبرأوا منهم ومقتوهم أشد المقت، فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه، ولا اهتدوا إلى ما أرشدوهم إليه، بل اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وكل منهم يحصر الحق في إمامه ويرى ما خالفه باطلاً، ويرى سائر أهل العلم مفضولين وإمامه فاضلاً، وإذا خالف مذهبه نصاً ضرب له الأمثال، وتكلف له التأويل المحال، ويقابله الآخر بمثل ذلك، فهم بين رادّ ومردود وحاسد ومحسود، وكان فيهم شبه من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم/٣٢)، ولم يعلم هؤلاء المساكين أنَّ سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا أبعد من هذه الصفة بعد ما بين المشارق والمغارب، بل كانوا رضي الله عنهم وأرضاهم أجل شأناً وأكمل إيماناً من أن يقدموا بين يدي الله ورسوله، بل هم تبع له في أوامره ونواهيه، ولَنصوص الشرع أعظم عندهم من أن يقدموا عليها آراء الرجال، وهي أجل قدرا في صدورهم من أن تضرب لها الأمثال، وأعلى منزلة من أن تدفع بالأقيسة والتأويل المحال، وإنما المقتدى بهم على الحقيقة من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وحفظ وصيتهم وأحيا سنتهم في طلب الحق وأخذه أين وجده، والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما بلغته، فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله في جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة والاستنباطات والأخذ بالأصح منها مع من كان وبيد من وجد، فإن الحق واحد لا يجزئه الاختلاف، وكل واحد من أولئك الأئمة يدأب في طلبه جاداً مجتهداً إن أصابه فله أجران وإن أخطأه فله أجر والخطأ مغفور، وهذه أقوالهم مدونة في كتبهم، كلها تذم الرأي في الدين، وتحث من بعدهم على اقتفاء أثرهم في طلب الحق أين ما كان، ولم يدعُ أحد منهم إلى تقليده، ولم يكن أحد منهم معصوماً ولا ادعى ذلك ولا قال إن الحق معي لا يفارقني فتمسكوا بما أقول وأفعل، ولا كان لأحد منهم التزام قول أحد من آحاد الأمة لا

ممن هو مثلهم ولا من هو أفضل منهم فضلاً عمن هو دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النص الذي لم يبلغه أو لم يستحضره، ولو كان ذلك خيراً لسبقونا إليه، بل كان إمام الجميع محمد رسول الله ﷺ الذي بيَّن للناس ما نزل اليهم، ويتبعون آثاره من الأفعال والأقوال والتقريرات يتلقنونها من حفاظها من كانوا وأين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها ولم يعدوها إلى غيرها. وكانت طريقتهم في تلقي النصوص أنهم يردون المتشابه الى المحكم ويأخذون ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً، فإنها كلها من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، قال الله تعالى ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختلافاً كثيراً**﴾ (النساء/٨٢).

## [الخاتمة]

﴿ثم إلى هنا قد انتهيتُ وتمَّ ما بجمعه عُنيتُ﴾
﴿سميته بسلم الوصول الى سما مباحث الأصول﴾
﴿والحمد لله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي﴾
﴿أسأله مغفرة الذنوب جميعها والستر للعيوب﴾
﴿ثم الصلاة والسلام أبدا تغشى الرسول المصطفى محمداً﴾
﴿ثم جميع صحبه والآل السادة الأئمة الأبدال﴾
﴿تدوم سرمداً بلا نفاد ما جرت الأقلام بالمداد﴾
﴿ثم الدعا وصية القراء جميعهم من غير ما استثناء﴾
﴿أبياتها «يسر» بعجد الجمل تأخريها «الغفران» فافهم وادع لي﴾

(**ثم إلى هنا**) الإشارة إلى آخر الكلام على الاعتصام بالكتاب والسنة. وناسب جعل ذلك هو الخاتمة بكون الآية التي فيها الإشارة الى ذلك هي من آخر ما نزل وهي قوله تعالى ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (المائدة/٣) بل السورة كلها من آخر ما نزل، وروى أنها نزلت جملة، ومن جهة أنها الاعتصام بها آخر ما أوصى به النَّبيّ ﷺ في خطبته في حجة الوداع ثم في خطبته في غدير خم ثم كان من آخر ما تكلم به عند خروجه من الدنيا. (**قد انتهيت**) أي اقتصرت على هذا القدر، وفيه إن شاء الله تعالى كفاية (**وتم**) أي قضى (**ما**) أي الذي (**بجمعه**) في نظمي (**عنيت**) اهتممت له: (**سميته**) حين تم (**بسلم**) أي المرقاة التي يصعد فيها لأجل (**الوصول إلى سما**) بتثليث السين (**مباحث**) جمع مبحث وهو ما يحصل به فهم الحكم (**الأصول**) جمع أصل وهو ما يبنى عليه، والمراد بها عند الاطلاق أصول الدين، وهو ما يجب اعتقاده فيه وهو المراد هنا، وأما إذا أضيفت فهي بحسب المضاف اليه: فأصول الحديث علم الاصطلاح الذي يبحث فيه عن تفاصيل أحوال السند والمتن وأحكامها. وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك. وأصول العربية والنحو والصرف والمعاني

والبديع كل بحسبه وتعريفه في فنه. وقولنا ﴿«**سما مباحث الأصول**» وصف له بالسمو وهو العلو إشارة الى أنه أعلى العلوم وأهمها وأوجبها وألزمها لأنه معرفة ما خلق الله له الخلق والدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وفيه وله شرع الجهاد، وعليه يرتب الجزاء من الثواب والعقاب وغير ذلك، فحقيق بعلم هذا قدره أن يكون هو أول ما يهتم به العبد وأعظم ما يبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يموت على ذلك. وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول لأن العروج هو الصعود والمعارج المصاعد فكان القارىء في هذا الشرح يصعد في هذا السلم. وأضيفت المعارج الى القبول لمناسبة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد أو ينقطع.

(**والحمد لله على**) جزيل النعمة التي منها أن قدر (**انتهائي**) أي إتمامي هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ (**كما حمدت الله في ابتدائي**) في نظمه كما تقدم، وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح ذكر الخلق بالأمر فقال ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ (الأنعام/١) وختم ذكرهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ (يونس/١٠). (**أسأله**) أي أسأل الله (**مغفرة**) أي مغفرته تعالى (الذنوب) ذنوبي وجميع المسلمين، والمغفرة ستر الذنب في الدنيا والآخرة والعفو عنه وعدم المؤاخذة به (**جميعها**) من صغائر وكبائر، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر (**والستر**) منه تعالى (**للعيوب**) مني ومن جميع المسلمين. (**ثم**) عطف على الحمد والاستغفار (**الصلاة والسلام**) تقدم معناهما (**تغشى الرسول المصطفى محمداً**) تغمره من ربه عز وجل (**ثم**) تغشى (**جميع صحبه والآل**) تقدم تعريفهما (السادة) جمع سيد وهو النقيب المقدم (**الأئمة**) المقتدى بهم في الدين (الابدال) أو الأولياء لله تعالى (**تدوم**) متواصلة متواترة (**سرمداً**) تأكيداً للدوام يفسره (**بلا نفاد**) فناء وانقطاع (**ما جرت الأقلام بالمداد**) أي عدد ما جرت به. (**ثم الدعا**) لجامع هذا العقد متنا وشرحاً (**وصية**) منه يلتمسه من (**القراء**) أن يدعو له بخيري الدنيا والآخرة (**جميعهم**) شاهدهم وغائبهم معاصريه ومن يأتي بعد عصره (**من غير ما**) صلة أي من غير (**استثناء**) إخراج أحد منهم

من هذه الوصية. (**أبياتها**) أي عدتها رمز حروف (**يسر**) وذلك مائتان وسبعون (**بعدّ الجّمل**) الحروف الأبجدية المعروفة عند عامة العرب، وبما زدت فيها أقول (**أبياتها المقصود**) أي الذي فيه الأحكام والمسائل (**يسر فاعقل**) عني. (**تأريخها**) الذي ألفت فيه رمزه حروف (**الغفران**) وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون، أي عامئذ. نسأل الله الغفران (**فافهم**) ما في ذا المعتقد (**وادع لي**) بصالح الدعوات في أوقات الإجابة كما أوصيتك، فإن ذلك من أعظم الصدقات ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ (يوسف/٨٨).

اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض، برحمتك نستغيث. اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك الغفور الرحيم. اللهم ما كان في هذا السفر من حق وصواب فبتعليمك وإلهامك، وفضلك وإنعامك، أنت أهله ومولیه، فلك الحمد كما أنت أهله، فانفعنا اللهم بتفهمه، وارزقنا العمل بما علمنا وجميع المسلمين. وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي وشيطاني، فألهمني اللهم رشدي، وأعذني من شر نفسي، وقيض له من يصلحه ويسد خلله، وأعذني أن أضل عن سواء صراطك المستقيم، أو يضل بخطإي أحد من عبادك، واغفر لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، ورضي الله عن آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بفضله ورحمته ووالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين.

وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

## فهرس المجلد الثالث


**باب الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الركن السادس** ..... ٩١٧
**الايمان بالقدر على أربع مراتب: الأولى** علم الله بكل شيء ..... ٩٢٠
**المرتبة الثانية** أن كتاب الله لم يفرط فيه من شيء ..... ٩٢٤
الإيمان بكتابة المقادير تدخل فيه خمسة تقادير:
الأول التقدير الأزلي ..... ٩٢٨
الثاني كتابة الميثاق يوم (ألست بربكم) ..... ٩٣٠
الثالث التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم ..... ٩٣٤
الرابع التقدير الحولي في ليلة القدر ..... ٩٣٧
الخامس التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت ..... ٩٣٧
**المرتبة الثالثة** الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ..... ٩٤٠
**المرتبة الرابعة** الإيمان بأن الله خالق كل شيء ..... ٩٤٠
للعباد قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة، والله خالقهم
وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأعمالهم ..... ٩٤٠
مذهب الجهمية والمعتزلة في انكار القدر ..... ٩٤٣
مذهب الجبرية في اضافة الفعل والانفعال إلى الله وقبائح أقوالهم في ذلك ٩٤٦
القضاء والقدر أربع مراتب ..... ٩٥٠
الايمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع
مرتبط بالإيمان بالقدر ..... ٩٥٠

القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال ..... ٩٥٤
**ما جاء من الأحاديث في ذم منكري القدر** ..... ٩٥٥
**أقوال الصحابة في هذا الباب** ..... ٩٥٥
**أقوال التابعين** ..... ٩٦٩
الكلام على النوء ..... ٩٨٠
ما ورد في العدوى ..... ٩٨٤
الجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح ..... ٩٨٥
الكلام على الطيرة والتطير والغول والهامة والصفر ..... ٩٩٠
**مرتبة الإحسان** (وهي الثالثة من مراتب الدين في حديث جبريل) ..... ٩٩٨
هي على مقامين: أولهما أن تعبد الله كأنك تراه ..... ٩٩٩
المقام الثاني مقام الاخلاص، واطلاع الله عليه ..... ٩٩٩
حديث «أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني» ..... ١٠٠٢
**ست مسائل تتعلق بمباحث الدين:** ..... ١٠٠٤
١ ـ الإيمان يزيد وينقص ..... ١٠٠٤
٢ ـ تفاضل أهل الإيمان ..... ١٠٠٧
٣ ـ فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان ..... ١٠١٧
٤ ـ العاصي لا يخلد في النار وأمره إلى الله ..... ١٠٢١
٥ ـ لا يكفر المؤمن بالمعاصي إلا إذا استحلها ..... ١٠٣٩
التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب ..... ١٠٤٤
**فصل ـ في معرفة نبينا ﷺ وتبليغه الرسالة: نسبه ﷺ** ..... ١٠٤٨
مولده ..... ١٠٥١
بدء الوحي إليه ..... ١٠٥٢
دعوته إلى سبيل ربه ..... ١٠٥٥
**حديث الاسراء والمعراج** ..... ١٠٥٨
هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟ ..... ١٠٦٨
حديث الهجرة ..... ١٠٧٤

الإذن بالقتال ..... ١٠٨٤
**وفاته صلوات الله وسلامه عليه** ..... ١٠٨٩
تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله ..... ١٠٩٤
اختصاصه بعموم الرسالة إلى الثقلين وتأييده بالمعجزات الباهرة ..... ١١٠١
ما على الرسول إلا البلاغ وطاعتنا له طاعة ﷺ عز وجل ..... ١١٠٦
بلغ ﷺ جميع ما أرسل به ولم يكتم منه حرفاً ..... ١١٠٨
الذي بلغه عن ربه هو جميع دين الإسلام كاملاً محكماً ..... ١١١٠
الدين الذي بلغه الرسول للناس لا يقبل زيادة عليه
ولا نقصاً منه ولا تبديلا ..... ١١١٤
محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل فلا نبي بعده ..... ١١١٥
أعظم معجزاته ﷺ هذا القرآن ..... ١١٢١
ظهور فضيلته ليلة الاسراء والمعراج بتقدمه على الأنبياء
إماماً لهم، وعلوه فوق الجميع ..... ١١٢٢
حديث «ما ينبغي لعبد أن يقول أني خير من يونس بن متى» ..... ١١٢٣
فصل فيمن هو أفضل الأمة بعد رسول الله،
وذكر الصحابة بمحاسنهم ..... ١١٢٦
**الكلام على خلافة الصديق رضوان الله وسلامه عليه** ..... ١١٢٦
ما منحه الله من المواقف العظيمة مع النبي ﷺ من حين بعثته
إلى أن توفاه الله ..... ١١٤٤
ما أشارت إليه الآية ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ ..... ١١٤٧
**الكلام على خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه** ..... ١١٥١
**الكلام على خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه** ..... ١١٦٠
**الكلام على خلافة أبي السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنه** ..... ١١٧٠
**مناقب الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم** ..... ١١٩٠
**الكلام على أمهات المؤمنين وسائر أهل البيت رضي الله عنهم** ..... ١١٩٦
**الكلام على التابعين رضي الله عنهم** ..... ١٢٠١

إجماع أهل السنة على وجوب السكوت
عما كان بين الصحابة رضي الله عنهم ..... ١٢٠٨
**(خاتمة) في التمسك بالكتاب والسن، والرجوع إليهما عند الاختلاف** .. ١٢١١
فصل في وجوب طاعة الله ورسوله ..... ١٢١١
تحريم القول على الله بلا علم ..... ١٢١٨
عظم إثم من أحدث في الدين ما ليس منه ..... ١٢٢٢
كل ما خالف الوحيين مردود ..... ١٢٢٤
البدع كلها مردودة، وهي بدع مكفرة، وبدع ملبس على أهلها ..... ١٢٢٨
والبدع: بدعة في العبادات، وبدعة في المعاملات ..... ١٢٣٢
كل ما وقع فيه الخلاف يحتكم فيه إلى الكتاب والسنة ..... ١٢٣٧
**نهاية الخاتمة** لمتن (سلم الوصول) وشرحه (معارج القبول) ..... ١٢٤٤